

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ (٤)

شرح ثلاثة الأصول

لشيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب التميمي
أجزل الله له المثوبة والمغفرة

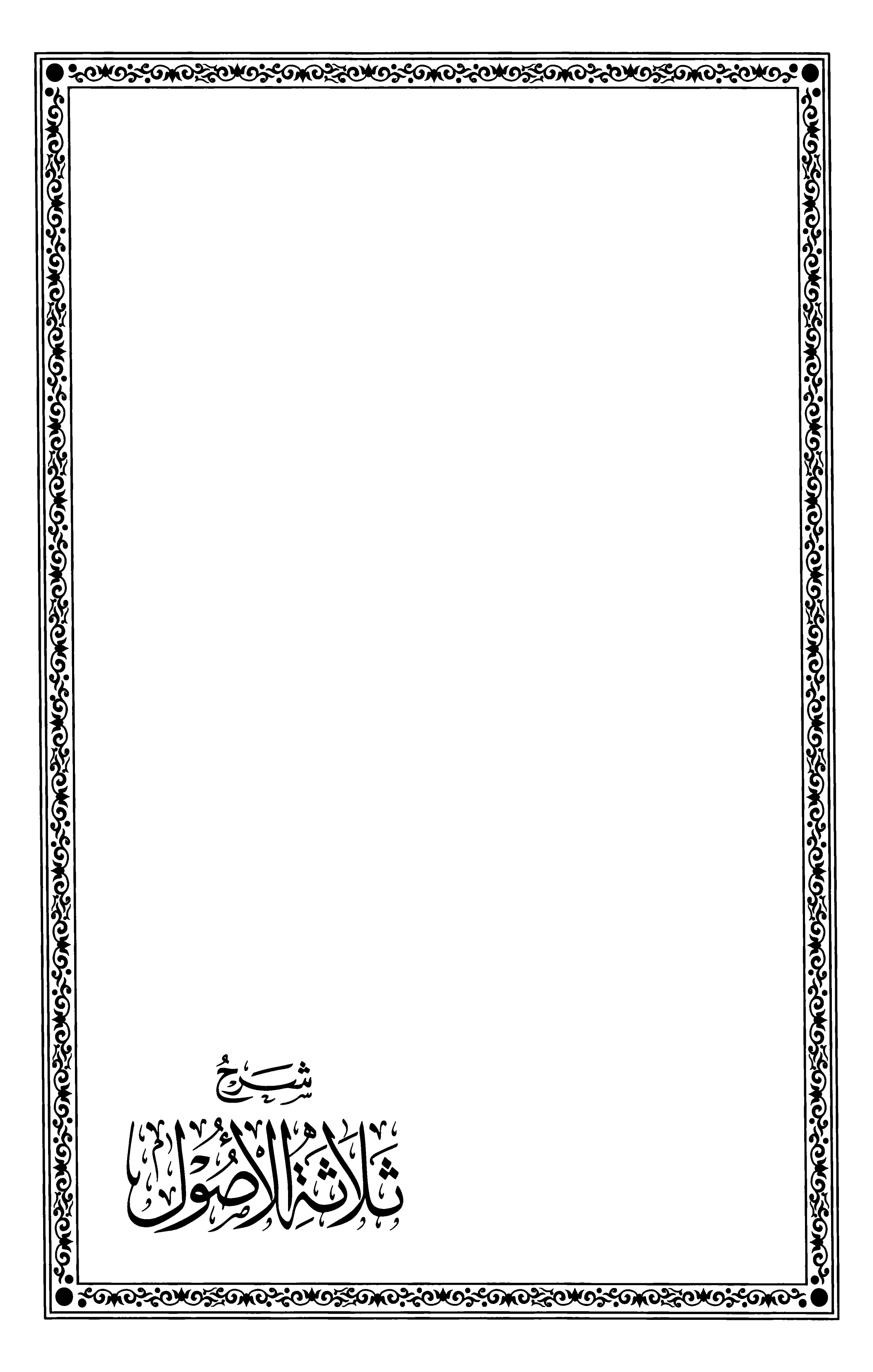
الشرح لمعالي الشيخ
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته

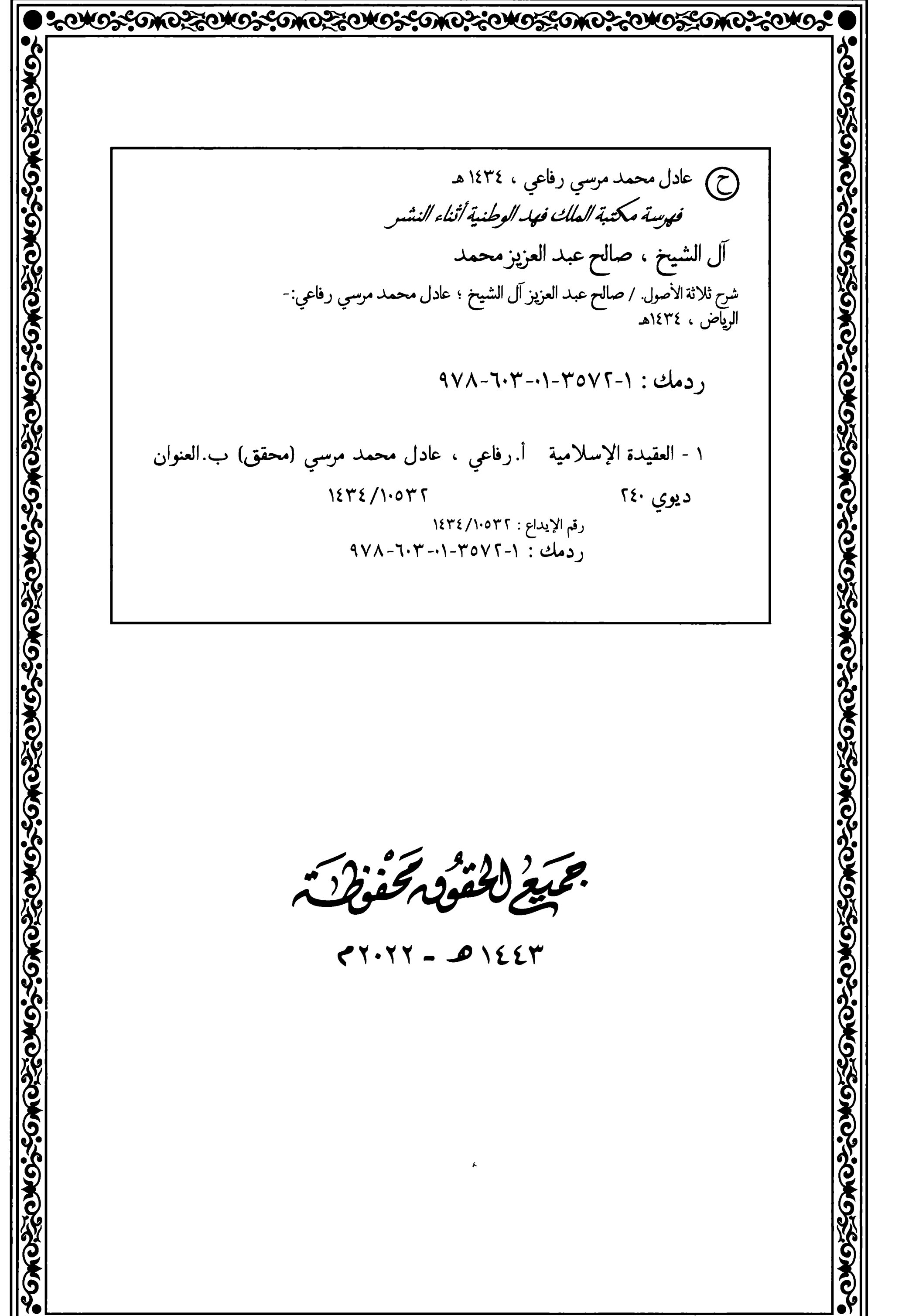
تحقيق وعناية
عادل بن محمد مرسي رفاعي
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

طبع على نفقة الفقير إلى عفو ربه ورضاه
غفر الله له ولوالديه ولذريته ولجميع المسلمين

توزيع
جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بسلطانة
الرياض - ص.ب ٩٢٦٧٥ الرمز البريدي ١١٦٦٣




شرح
ثلاثة الأصول



ح عادل محمد مرسي رفاعي ، ١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل الشيخ ، صالح عبد العزيز محمد

شرح ثلاثة الأصول. / صالح عبد العزيز آل الشيخ ؛ عادل محمد مرسي رفاعي:- الرياض ، ١٤٣٤هـ

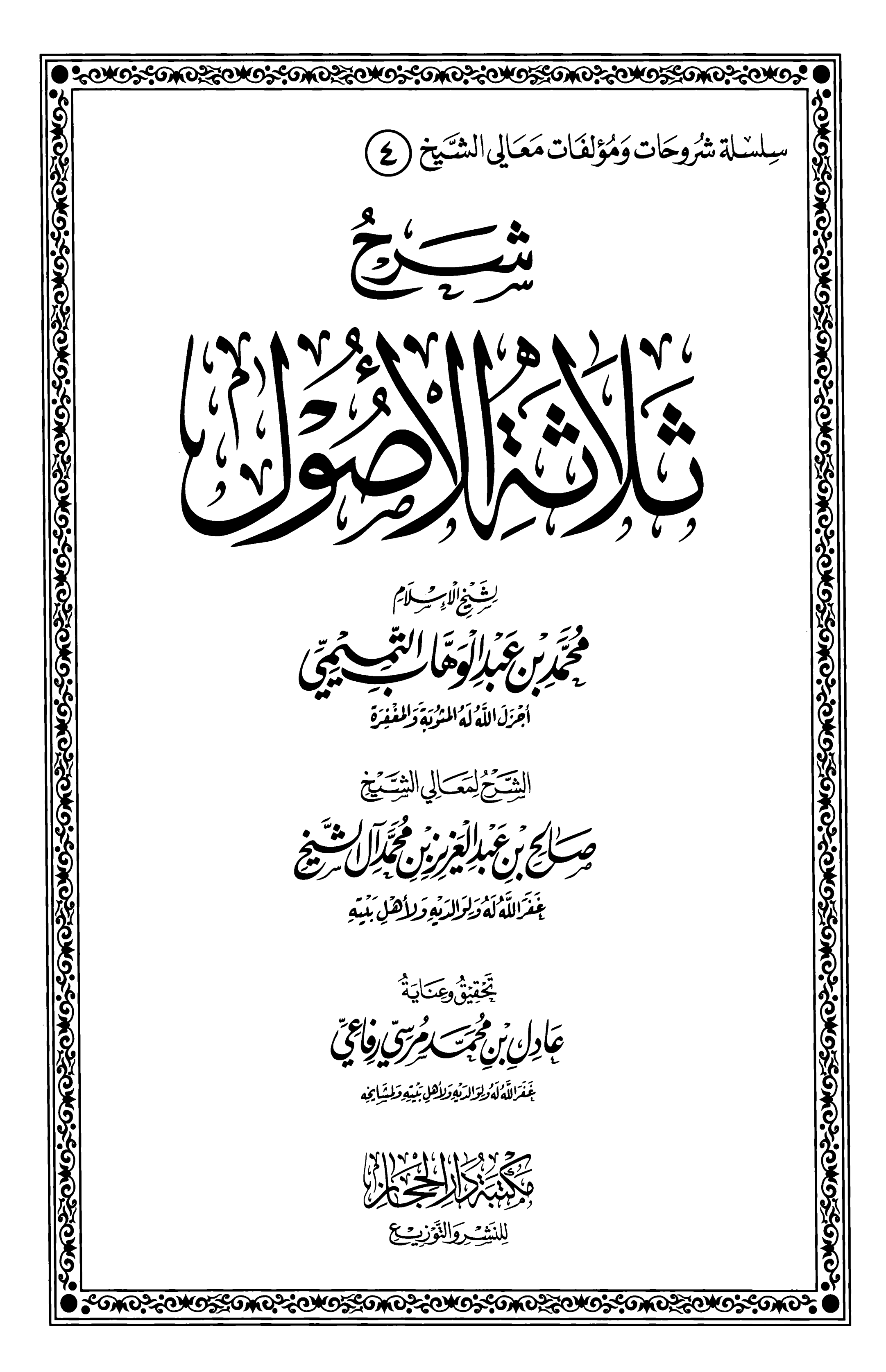
ردمك : ١-٣٥٧٢-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١ - العقيدة الإسلامية أ. رفاعي ، عادل محمد مرسي (محقق) ب. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٤/١٠٥٣٢

رقم الإيداع : ١٤٣٤/١٠٥٣٢

ردمك : ١-٣٥٧٢-٠١-٦٠٣-٩٧٨



سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ (٤)

شرح ثلاثة الأصول

لشيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب التميمي

أجزل الله له المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته

تحقيق وعناية

عادل بن محمد مرسي رفاعي

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

مكتبة دار الحجاز
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

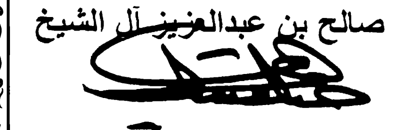
صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

الرياض في 2022/04/10م

بسم الله الرحمن الرحيم فقد أذنت للأخ الشيخ عادل بن محمد مرسي رفاعي بفسح وطباعة الكتب الطبعة الثانية بعد التعديل والاضافة ، وإعادة الصف ، وهي : اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية ، وأصول الأيمان ، وشرح الأصول الثلاثة وشرح الطحاوية ، وشرح الفتوى الحموية ، وشرح الفرقان ، وشرح فضل الإسلام ، وشرح لمعة الاعتقاد، وشرح القواعد الأربع ، وشرح فتح المجيد ، وشرح كشف الشبهات ، وسلسلة المحاضرات العلمية ، وسلسلة الأجوبة والبحوث والدراسات المشتملة عليها الدروس العلمية ، واللقاءات والجلسات الخاصة ، وشرح كتاب الطهارة من بلوغ المرام ، وتفسير المفصل من سورة (ق)، إلى سورة (الحديد)، وتفسير سورة الفاتحة ، والخطب المنبرية ، ومحاضرات في الحج .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ



مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، **وبعد:**

فهذا شرح رسالة ثلاثة الأصول
للإمام المجدد شَيْخِ الإسْلامِ
محمدِ بنِ عبد الوَهَّابِ بنِ سُلَيْمَانَ بنِ عَلِيٍّ آل مُشَرَّفٍ التَّمِيْمِيِّ
أَجْزَلَ اللهُ لَهُ المَثُوبَةَ وَالمَغْفِرَةَ
الشَّرْحُ لمَعَالِي الشَّيْخِ
صَالِحِ بنِ عبد العَزِيْزِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ آلِ الشَّيْخِ
غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلأَهْلِ بَيْتِهِ

وكان ذلك في دروس ألقاها ـ حفظه الله ـ في مدينة الدمام في يوم الأربعاء الثامن من شهر ربيع الأول عام أربعة عشر وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية المباركة، نسأل الله ﷻ أن ينفع بها، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول، وقد استأذنت شيخنا بالعمل على هذا الشرح المبارك فأذن لي ـ جزاه الله عنا خير الجزاء ـ فأسأل الله ﷯ أن يرفع بهذا الشرح المبارك ذكره، وأن يعلي درجاته، وأن يجزل لشيخنا الأجر والمثوبة، وأن يجعله إمام هدى ورشاد، وأن يجمعه ووالديه وأهل بيته تحت لواء الحمد، وفي جنات النعيم، وفي زمرة السابقين مع

النبي الأمين، وصحابته الغر الميامين، وأن يقيه شر الحاسدين، وأن يجعل لي من الخير نصيبًا، وأن يجزي كل من شارك في إعداد هذا العمل المبارك خير الجزاء وأحسنه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

✐ كتبه

عادل بن محمد مرسي رفاعي

الرياض في /١٨/ ١٢/ ١٤٣٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ الشَّارِحِ

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله أصل العلوم، وعلَّم الإنسان ما لم يعلم، نحمده سبحانه على أن هيأ لنا أبواب الخيرات، ونسأله أن يثبتنا على ذلك إلى أن نلقاه وهو راضٍ عنا، غير مبدلين ولا مغيرين ولا مفتونين ـ اللَّهُمَّ آمين ـ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن العلم وطلبه من أفضل القربات إلى الله ﷻ، بل عد جمعٌ كثيرٌ من أهل العلم طلب العلم أفضل النوافل التي يطلبها العبد، ولهذا فإن السعي لنشر العلم النافع المقتبس من كتاب الله ﷻ، ومن سُنَّة رسوله ﷺ، ومما بيَّنه أئمة الإسلام المؤتمنون على الدين في فهم الكتاب والسُّنَّة، إن السعي في ذلك من الجهاد في سبيل الله ﷻ، ومما يراغم به الشيطان وأعداء الدين.

وهذا لا شك حاصل؛ لأن أهل العلم في كل زمان وفي كل مكان هم الذين يرثون الأنبياء، وإذا كانوا هم ورثة الأنبياء فإن ذلك يعني أنهم القائمون بأعباء الدّين، فكلما ازداد العلم ازداد الخير، وإذا قَلَّ العلم كثرت الجهالة، وكثر الشر.

ومن جهة أخرى فإن المسلمين اليوم بحاجة ماسة إلى أعداد كبيرة من طلاب العلم؛ ليفقِّهوا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فالناس في حاجة ماسة إلى مَنْ يُبيِّن لهم الحق، ويُبيِّن لهم التوحيد الصحيح، والعقيدة الخالصة، ويُبيِّن لهم معنى اتباع سُنَّة النبي ﷺ، ويبيِّن لهم أحكام الشرع، ويبيِّن لهم ما به قوتهم في دينهم، وهذا مما يحتاج إلى أعداد كبيرة من طلاب العلم.

وبين أيدينا رسالة **(ثلاثة أصول وأدلتها)**، وهي رسالة مهمة لكل مسلم، وكان علماؤنا يعتنون بها في أول ما يشرحون من كتب العلم، وذلك لسببين:

السبب الأول: أنها من المتون المختصرة، فالعلم لا يُنال مرة واحدة، وإنما يُنال على مرِّ الأيام والليالي، كما قال ابن شهاب الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما رواه ابن عبد البر في كتاب الجامع[1]، قال: **«مَنْ رَامَ الْعِلْمَ جُمْلَةً ذَهَبَ عَنْهُ جُمْلَةً، وَإِنَّمَا يُطْلَبُ الْعِلْمُ عَلَى مَرِّ الْأَيَامِ وَاللَّيَالِي»**.

وهذا حق، فالعلم يُبدأ بتحصيل صغاره قبل كباره[2]، فإذا

---

(١) انظر: الجامع لابن عبد البر (١/ ٤٣١) عن يونس بن يزيد قال: «قال لي ابن شهاب: يا يونس لا تكابر العلم، فإن العلم أودية، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملة؛ فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الليالي والأيام». وانظر أيضًا: الجامع للخطيب البغدادي (١/ ٢٣٢)، والإلماع للقاضي عياض (١/ ٢٢٠).

(٢) قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه (١/ ١٩٢ فتح): «ويُقال الرباني: الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره».

=

حصلت صغار المسائل[1] قبل الكبار فأنت على طريق العلم، وأما إذا ابتدأت بالكبار التي تحتاج إلى بحث وترتيب، وقد تنازع العلماء فيها، كما هو ديدن بعض طلبة العلم، أو بعض المبتدئين في العلم دون معرفة صغار وواضحات المسائل، فإنه يذهب عنك العلم، لهذا أؤكد على ضرورة تأصيل العلم والسير فيه خطوة فخطوة، وإنما يُطلب العلم على مرِّ الأيام والليالي، كما قال القائل[2]:

الْـيَـوْمَ عِـلْـمٌ وَغَـدًا مِـثْـلُـهُ ... مِنْ نُخَبِ الْعِلْمِ الَّتِي تُلْتَقَطْ

يُحصِّلُ الْمَرءُ بِهَا حِكْمَةً ... وَإِنَّمَا السَّيْلُ اجْتِمَاعُ النُّقَطْ

وهذا واقع، فقد ذكر الخطيب البغدادي بإسناده في كتاب **(الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)**[3] عن الفضل بن سعيد ابن سلم قال: «كان رجل يطلب العلم فلا يقدر عليه، فعزم على تركه، فمر بماء ينحدر من رأس جبل على صخرة قد أَثَّر الماء فيها، فقال: الماء على لطافته قد أَثَّر في صخرة على كثافتها، والله لأطلبن العلم. فطلب فأدرك».

= وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مفتاح دار السعادة (١/ ٦٦): «فيه تنبيه لأهل العلم على تربية الأمة كما يربي الوالد ولده فيربونهم بالتدريج والترقي من صغار العلم إلى كباره وتحميلهم منه ما يطيقون».

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح الباري (١/ ١٩٥): «والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها».

(٢) القائل هو: محمد بن إبراهيم بهاء الدين بن النحاس (٦٩٨هـ)؛ كما في بغية الوعاة للسيوطي (١/ ١٤).

(٣) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٧٩).

فالعلم يحتاج إلى مواصلة وحفظ ومدارسة وترك اليأس، ولكن يجب أن يكون على طريقة خطوة فخطوة، ومن بدأ بالأهم ثم أعقبه بالمهم، فإنه يحصل من العلم ما شاء الله.

السبب الثاني: لأن فيها الجواب على أسئلة القبر الثلاثة(١)؛ ألا وهي: سؤال الملكين العبد عن ربه، ودينه، ونبيّه، وهي ثلاثة الأصول؛ أي: معرفة العبد ربه، وهو معبوده، ومعرفة العبد دينه ـ أي: دين الإسلام ـ بالأدلة، ومعرفة العبد نبيّه ﷺ، فمن هنا جاءت أهمية هذه الرسالة؛ لأن فيها من أصول التوحيد والدين الشيء الكثير.

ولهذا ينبغي لنا أن نحرص على هذه الرسالة تعليمًا لها للعوام، وللنساء في البيوت، وللأولاد ونحو ذلك، على حسب مستوى من يُخاطب بذلك، وقد كان علماؤنا ـ رحمهم الله تعالى ـ يعتنون بثلاثة الأصول هذه تعليمًا وتعلمًا، بل كانوا يلزمون عددًا من الناس بعد كل صلاة فجرٍ أن يتعلموها، وأن يحفظوها، وذلك هو الغاية في رغبة الخير، ومحبة الخير لعباد الله المؤمنين، إذ أعظم ما

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٨٧) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وفيه: «**فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ؛ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ**».

قال المنذري في الترغيب والترهيب، (٤/ ١٩٦): (رواه أبو داود وأحمد بإسناد رواته محتج بهم في الصحيح). وأصله في البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧٠).

تُسدي للمؤمنين من الخير أن تُسدي لهم ما ينجيهم عند سؤال الملكين للعبد في قبره؛ لأنه إذا أجاب جوابًا حسنًا صحيحًا عاش بعد ذلك سعيدًا، وإن لم يكن جوابه مستقيمًا ولا صحيحًا عاش بعد ذلك ـ والعياذ بالله ـ على التوعد بالشقاء والعذاب.

ولقائل أن يقول: ما إعراب **(ثلاثة أصول وأدلتها)**؟ ولماذا لم يقل المصنف: الأصول الثلاثة وأدلتها، وما هي العبارة الأصح؟

والجواب: أن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ له رسالة أخرى بعنوان: **(الأصول الثلاثة)**، وهي رسالة صغيرة أقل من هذه علمًا؛ ليعلمها الصبيان والصغار، وأما **(ثلاثة أصول)** فهي هذه التي نشرحها، ويكثر الخلط بين التسميتين، وربما أُطلق عليها ثلاثة الأصول، أو الأصول الثلاثة، ولكن تسميتها المعروفة أنها **(ثلاثة أصول وأدلتها)**.

إعراب ثلاثة أصول وأدلتها: (ثلاثة): خبر لمبتدأ تقديره هذه ـ هذه ثلاثة ـ خبر مرفوع بالابتداء، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

و**(أصول)**: مضاف إليه مجرور بالتبعية، وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

و**(الواو)**: عاطفة.

و**(أدلة)**: معطوف على ثلاثة مرفوع بالتبعية، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

و**(ها)**: ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة.

قَالَ الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، أَجْزَلَ اللهُ لَهُ الْمَثُوبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اِعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ أَنَّهُ يجبُ عَلَيْنَا تعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الشَّرْح

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في أول هذه الرسالة: (**اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ**)، أو (**اِعْلَمْ رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ**) وهذا فيه التلطف، وفيه تنبيه إلى أن مبنى هذا العلم على التلطف، وعلى الرحمة بالمتعلمين؛ لأنه دعا له بالرحمة، وكان العلماء يَروُون ويُروُّون لمن بعدهم فيمن طلب الإجازة في الحديث حديث: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ**»[١]، وهذا الحديث هو المعروف عند أهل العلم بالحديث بالمسلسل[٢] بالأولية، لم؟ **الجواب:** لأن كل راوٍ يقول لمن بعده: وهو أول حديث سمعته منه. فعلماء الحديث يروون هذا الحديث لتلامذتهم ويكون أول حديث

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ١٦٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن صحيح).

(٢) المسلسل هو: «عبارة عن تتابع رجال الإسناد وتواردهم فيه واحدًا بعد واحد على صفة أو حالة واحدة، وينقسم ذلك إلى ما يكون صفة للرواية والتحمل، وإلى ما يكون صفة للرواة أو حالة لهم». انظر: مقدمة ابن الصلاح، النوع الثالث والثلاثون، (ص٢٧٥)، وفتح المغيث للسخاوي (٣/ ٥٧).

فيما يروون، ألا وهو حديث: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ**»، ففي الإجازات ترى أن كل شيخ يقول عن شيخه: حدثني فلان، وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثني شيخي فلان، وهو أول حديث سمعته منه، إلى أن يصل إلى منتهاه: قال الرسول ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**».

قال العلماء: سبب ذلك أن مبنى هذا العلم على الرحمة، ونتيجته الرحمة في الدنيا، وغايته الرحمة في الآخرة؛ ولهذا نبَّه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك تنبيهًا لطيفًا دقيقًا حيث قال: (**اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ**)، وهو دعاء للمتعلم بالرحمة؛ لأن مبنى التعلم بين المعلم والمتعلم وهو التراحم كل بما يناسبه.

قوله: (**يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ**) الوجوب ها هنا المقصود به: ما يشمل الوجوب العيني والوجوب الكفائي.



الْأُولَى: الْعِلْمُ؛ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

الشَّرْح

قال رَحِمَهُ اللهُ: (**الْأُولَى: الْعِلْمُ**)؛ أي: المسألة الأولى مما يجب علينا أن نتعلمها وجوبًا عينيًا هي العلم، وهو معرفة ثلاثة الأصول:

* معرفة العبد ربه.
* ومعرفة العبد دينه.
* ومعرفة العبد نبيَّه.

فمثل هذا العلم لا ينفع فيه التقليد، والواجب فيه أن يحصله العبدُ بدليله، والعبارة المشهورة عند أهل العلم: أن التقليد لا ينفع في العقائد، بل لا بد من معرفة المسائل التي يجب اعتقادها بدليلها، وهذا الدليل أعم من أن يكون نصًّا من القرآن، أو من سُنَّة، أو من قول صاحب، أو من إجماع، أو قياس، وسيأتي تفصيل الدليل ـ إن شاء الله تعالى ـ في موضعه.

والتقليد لا يجوز في العقائد عند أهل السُّنَّة والجماعة[1]،

---

(١) قال السفاريني رَحِمَهُ اللهُ: «قال علماؤنا وغيرهم: يحرم التقليد في معرفة الله تعالى، وفي التوحيد والرسالة، وكذا في أركان الإسلام الخمس ونحوها، مما تواتر واشتهر عند الإمام أحمد والأكثر، وذكره أبو الخطاب عن عامة العلماء، وذكره غيره أنه قول الجمهور، قاله في شرح التحرير، قال: وأطلق الحلواني =

وكذلك لا يجوز عند المبتدعة من الأشاعرة والماتريدية والمتكلمة.

لكن ننتبه إلى أن الوجوب عند أهل السُّنَّة يختلف عن الوجوب عند أولئك في هذه المسألة، والتقليد عند أهل السُّنَّة يختلف عن التقليد عند أولئك، فأولئك يرون أن أول واجب هو النظر[١]، فلا يصح الإيمان إلا إذا نظر، ويقصدون بالنظر: النظر في الآيات المرئية في الآيات الكونية، ينظر إلى السماء فيستدل على وجود الله ﷻ بنظره، أما أهل السُّنَّة فيقولون: يجب أن يأخذ الحق بالدليل، وهذا الدليل يكون بالآيات المتلوَّة. فأولئك يحيلون على الآيات الكونية المرئية بنظرهم ـ بنظر البالغ ـ وأما أهل السُّنَّة فيقولون: لا بد من النظر في الدليل، لا لأجل الاستنباط، ولكن لأجل معرفة أن هذا قد جاء عليه دليل.

= من أصحابنا وغيره منع التقليد في أصول الدين».اهـ. انظر: لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٢٦٧، ٢٦٨)، وانظر: المسودة في أصول الفقه لآل تيمية، (ص٤٠٧ ـ ٤٠٨)، وتفسير القرطبي (٢/ ٢١٢)، والتبصرة للشيرازي (١/ ٤٠١)، والمحصول للرازي (٦/ ١٢٥)، وروضة الناظر (ص٤٠٦)، وكشاف القناع للبهوتي (٦/ ٣٠٦)

(١) قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ: «التوحيد هو أول واجب على المكلف لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك في الله؛ كما هي أقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسوله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة، فهو أول واجب وآخر واجب، وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا». انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٢١). ولمعرفة أقوال القوم ومأخذهم انظر: درء التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٧/ ٣٥٢ وما بعدها)، (٨/ ٨ وما بعدها)، وفتح الباري (١/ ٧٠) و(١٣/ ٣٤٩).

لكن هذا في أي المسائل يكون[١]؟ **الجواب:** في المسائل التي لا يصح إسلام المرء إلا بها، مثل معرفة المسلم أن الله ﷻ هو المستحق للعبادة دونما سواه، فلا بد أن يكون عنده برهان عليه، يعلمه في حياته ولو مرة، ليكون قد دخل في هذا الدين بعد معرفةِ الدليل، ولهذا كان علماؤنا يعلِّمون العامة في المساجد، ويحفظونهم هذه الرسالة ـ ثلاثة الأصول ـ؛ لأجل عظم شأن الأمر.

فقوله: **(الأُولى: الْعِلمُ)** هذه أول المسائل الأربع التي يجب علينا تعلمها وهي **(الْعِلمُ)**، والعلم أجمله هاهنا بما سيأتي تفصيله في الرسالة ـ رسالة ثلاثة الأصول ـ شرح لهذا الواجب الأول.



(١) قال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يجوز التقليد فيما يطلب فيه الجزم ولا يثبت إلا بدليل قطعي، ويجوز التقليد فيما يطلب فيه الظن وإثباته بدليل ظني ولا اجتهاد في القطعي». انظر: المسودة في أصول الفقه لآل تيمية (٤٠٨).

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ.

الشَّرْح

المسألة (الثانية: **الْعَمَلُ بِهِ**)، والعمل بالعلم منه ما تَرْكُه كفر، ومنه ما تَرْكُه معصية، ومنه ما تَرْكُه مكروه، ومنه ما تَرْكُه مباح.

وبيان ذلك أن العلم ينقسم، فالعلم بالتوحيد بأن الله ﷻ هو المستحق للعبادة وحده، إذا علمه العبد ولم يعمل بهذا العلم، بأن أشرك بالله ﷻ لم ينفعه علمه، فكان ترك العمل في حقه كفرًا.

وقد يكون معصية بأن علم ـ مثلًا ـ أن الخمر حرامٌ شُرْبها، حرامٌ بيعُها، حرامٌ شراؤها، حرام سقيها، حرام استسقاؤها[1]، ونحو ذلك، وخالف العلم الذي عنده، فعَلِمَ أنه حرام وخالف، فتكون مخالفته معصية، وقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب في هذه المسألة.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٥) من حديث ابن عمر ﭭ، ولفظه: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ، وَلَعَنَ شَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا»**.

ومنه ما هو مكروه؛ مثل: إذا علم أن النبي ﷺ كان يصلي على هيئة، وصِفة معينة، فخالفه في سُنَّة من السنن بعد عِلمه بها، وترك العملَ بالعلم الذي عنده فهذا مكروه؛ لأنه ترك العمل بسُنَّة ليست واجبة، فيكون تركه مكروهًا، ويكون العمل بذلك مستحبًّا.

وقد يكون العمل بالعلم مباحًا، وتركه مباحًا أيضًا، مثل المباحات، والعادات ونحو ذلك، ومن ذلك ما ورد أن النبي ﷺ كان من هيئته في لباسه كذا وكذا، وكانت مشيته على نحوٍ ما، هذه الأمور الجِبليِّة الطبيعية، فيما نتعلمه، مما لم نخاطب فيها بالاقتداء، إذا ترك العمل بها، كان تركه لها مباحًا؛ لأن المسلم لم يُخاطب بأن يقتدي بمثل هذه الأمور، بنحو سير النبي ﷺ، وبصوته، وبالأمور الجِبليِّة التي كان عليها ﷺ، فيكون العمل بذلك مباحًا[1]، وقد يُؤجر عليه إذا نوى الاقتداء، ويكون ترك العمل أيضًا مباحًا.

والعمل هذا مأخوذ من قوله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣] كما سيأتي.

المسألة (الثالثة: الدَّعْوَةُ إليهِ)، إذا علم وعمل فإنه يدعو إلى ذلك، والدعوة قد تكون بالمقال، وقد تكون بالأفعال؛ لأن الامتثال بالفعل دعوة، فإذا امتثل المسلم لما أُمر به، فإنه بفعله هذا يرشد

---

(١) قال أبو المعالي الجويني في الورقات: «فعل صاحب الشريعة لا يخلو إما أن يكون على وجه القربة والطاعة أو غير ذلك..، فإن كان على غير القربة والطاعة فيحمل على الإباحة في حقه وحقنا». وانظر: البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي (١/ ٣٢١)، والإحكام للآمدي (١/ ٢٢٧)، والتقرير والتحبير (٢/ ٤٠٣)، والمسودة (ص٦٧).

غيره إرشادًا صامتًا إلى أن هذا الفعل مطلوب، وأما الدعوة بالقول باللسان، فقد تكون واجبة، وقد تكون مستحبة، فيتفرع عن الدعوة باللسان أنواع منها: الدعوة بالكتابة بالقلم في تأليف، أو في رسائل ونحو ذلك، ومنها النصائح المختلفة، والمواعظ ونحو ذلك.

والمسألة (الرابعة: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ)، بعد الدعوة يأتي الواجب الرابع وهو الصبر، فالذي عَلِمَ، ثم عَمِلَ، ثم دعا، يجب عليه أن يصبر على الأذى؛ لأن من سُنَّة الله ﷻ أن جعل الأنبياء والمرسلين ـ الذين هم أفضل الخلق وأعلاهم درجة ـ أشد الناس ابتلاءً وتعرضًا للأذى، فصبروا على الإعراض عنهم، وصبروا على الأذى، وحصل لهم ما حصل؛ فالداعية يحتاج إلى أن يصبر كما صبر المرسلون، بل إن النبي ﷺ أُمر بأن يحتذي حذو الصابرين بقول الله ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فالصبر في غاية المهمات لمن عَلِمَ، فعمل، فدعا، فإن لم يصبر كان من الذين يستخفهم الذين لا يوقنون، قال ﷻ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]؛ وقد حذَّر النبي ﷺ أصحابه من العجلة قال: «**وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»(١).

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢، ٣٨٥٢، ٦٩٤٣) من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه، وفيه: «**وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ، والذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**».

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ[1].

الشَّرْح

هذه المسائل الأربع: (العلم، والعمل، والدعوة، والصبر)[2]، واجبٌ تعلمها، والعمل بها، ودليل ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

قوله: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، العصر هو: الزمان المطلق[3]، أقسم الله ﷻ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٥٢)، ومفتاح دار السعادة، (١/ ٥٦)، وتفسير ابن كثير، (١/ ٦٣) و(٤/ ٥٤٨).

(٢) أشار ابن القيم رحمه الله إلى ذلك في كلام طويل لطيف له، انظر: مفتاح دار السعادة (١/ ٥٦) حيث قال رحمه الله: «المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله: **إحداها**: معرفة الحق. **الثانية**: عمله به. **الثالثة**: تعليمه من لا يحسنه. **الرابعة**: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه. فذكر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة». وانظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢٥).

(٣) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٨٩): «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر، والعصر اسم للدهر وهو العشي والليل والنهار =

به لشرفه، ومعناه: والزمن، والعمر، والوقت؛ لأنه أشرف شيء أُعطيه الإنسان، فأُعطي عمرًا ليَعبد الله ﷻ فيه ويطيعه، فبسبب العمر عَبَد الله، وبسبب العمر شَرُفَ العبد ـ إنْ كتب الله ﷻ له الجنة ـ أن يكون من أهل الجنة، فهو شريف القدر، عظيم القدر.

هنا أقسم الله بالعصر، علام أقسم الله ﷻ بالعصر؟ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾، فهذا هو جواب القسم، وأكد ذلك، بـ ﴿إِنَّ﴾ وباللام في قوله: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾، ومن المتقرر في علم المعاني من علوم البلاغة[1]؛ أَنَّ: إنَّ واللام من أنواع المؤكدات، فاجتمعت هاهنا أنواع من المؤكدات:

الأول: القسم.

الثاني: مجيء (إنَّ).

الثالث: مجيء اللام في خبر (إنَّ)، والتي تسمى المزحلقة أو المزحلفة[2].

وأهل العلم بالمعاني يقولون: إن مجيء المؤكدات يصلح إذا كان المخاطَبُ منكِرًا لما اشتمل عليه الكلام.

= ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه».اهـ. وانظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ١٨٠)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٨).

(١) قال أبو البقاء: «إنما دخلت إن على الكلام للتوكيد عوضًا عن تكرير الجملة وفي ذلك اختصار تام مع حصول الغرض من التوكيد، فإن دخلت اللام في خبرها آكد وصارت إن واللام عوضًا عن تكرير الجملة ثلاث مرات»، انظر: اللباب في علل البناء والإعراب (١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص٣٠٤).

فمثلًا: تقول لمن لم يكن عنده الخبر وأراد أن يستقبل الخبر: فلان قادم. فأخبرته بقدوم فلان، لكن إن كان منكرًا له، أو نُزِّل منزلة المنكِر له، فتؤكد الكلام له لكي يزيد انتباهه، ويعظم إقراره لما اشتمل عليه.

والمشركون لأجل ما هم فيه من شرك، وما عاندوا فيه الرسالة، كان حالهم بل ومقالهم أنهم أصحاب النجاة: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، فهم ينكرون أنهم سيكونون في خسارة، وينكر طائفة أخرى منهم أن الإنسان سيرجع إلى خسارة، وأنه لن ينجو إلا أهل الإيمان، فأكد ذلك لأجل إنكارهم بالمقال والفعل والحال، بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾، الألف واللام هذه للجنس (ال) الجنسية[١]؛ يعني: إن جنس الإنسان في خسارة عظيمة، إلا ما استثني، وهذا نوع آخر من جذب الذهن لقبول الكلام، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾؛ كل إنسان في هلاك وخسارة، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ والإيمان قول وعمل واعتقاد، هذا الاعتقاد هو العلم؛ لأن العلم مورده القلب والعقل[٢]، فأهل العلم ناجون من الخسارة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فعطف بالواو العمل على الإيمان، وأهل اللغة ـ النحاة ـ يقولون: إن الواو تأتي كثيرًا للمغايرة[٣]، فهل معنى ذلك أن العمل

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (٥/ ٥٢٦).

(٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٥٢٧)، ومجموع الفتاوى (١٩/ ٩٥، ٩٦)، ومفتاح دار السعادة (١/ ١٠٤).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٢): =

غير الإيمان؟ وأن مسمى الإيمان لا يدخل فيه العمل؟ **الجواب**: لا؛ لأن المغايرة تكون بين حقائق الأشياء، وحقيقة الإيمان أكبر من حقيقة العمل؛ لأن العمل جزء من الإيمان، العمل بعض الإيمان، وعطف الخاصّ على العام يأتي كثيرًا[1]، وكذلك عطف العام على الخاص يأتي كثيرًا بالواو، مثل قول الله ﷻ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فهنا عطف جبريل وميكال على الملائكة، وهو من باب عطف الخاص على العام.

فلماذا يعطف الخاص على العام مع دخول الخاص في العام؟ لا بد أن يكون ثَمَّ فائدة، هي: التنبيه على أنه في الحكم مثل الأول؛ ولهذا قال ﷻ هنا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، والشيخ رحمه الله فهم ذلك؛ **فقال: (يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ)**، فذكر العلم ثم العمل؛ لأنه قال: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فلما عطف الخاص على العام دلَّ على شرفه والاهتمام به، وعلى مزيد مكانته، ثم لأنه في الحكم مثل الأول.

قال ﷻ بعد ذلك: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾؛ أي: دعا

= «وعطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما».

(١) قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٣/ ١٩٨): «وقد تقرر في فن المعاني أن عطف الخاص على العام إذا كان الخاص يمتاز عن سائر أفراد العام بصفات حسنة أو قبيحة، من الإطناب المقبول تنزيلًا للتغاير في الصفات منزلة التغاير في الذوات». وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (ص١٨٨)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٧).

بعضهم بعضًا إلى الحق، ودعا بعضهم بعضًا إلى الصبر، وهذه هي المسائل الأربع.

قوله ﷻ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ والصبر أقسام ثلاثة(١):

الأول: صبر على الطاعة.

الثاني: صبر عن المعصية.

الثالث: صبر على أقدار الله التي تَسُرُّ، والتي تؤلم.

هذه أنواع الصبر الثلاثة: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على قدر الله، كلها يحتاج إليها العالمون، العاملون، الدعاة.

ثم أورد المؤلف قول الشافعي رحمه الله: **(لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ)**؛ أي: لو ما أنزل الله ﷻ من القرآن حجة على الخلق مع رسول الله ﷺ إلا هذه السورة، لكفى بها حجة، لِمَ؟

الجواب: لأنها اشتملت على أن كل الناس آيلون إلى خسارة ووبال وهلاك، إلا أهل هذه الأوصاف، وهم المؤمنون، مؤمنون بمَنْ؟ لا بد أن يكون هناك شيء، يؤمنون به، ثم يعملون، يعملون على أي شيء؟ وبأي شيء؟

الجواب: لا بد أن يكون هناك سبيل، وهو سُنَّة النبي ﷺ، وهناك تواصٍ بالحق ودعوة إلى ذلك، وتواصٍ بالصبر؛ أي: صبر على هذا، فهذه السورة اشتملت على كل ما يدل الخلق على ربهم ﷻ، ويقودهم إلى اتباع رسالة النبي ﷺ.

---

(١) انظر: طريق الهجرتين (ص٤٠٠)، ومدارج السالكين (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٦)، وفتح الباري (١١/ ٣٠٥).

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، **فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ**(١).

الشَّرح

ثم ذكر قول البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه: (**بابٌ: العلمُ قبل القولِ والعملِ**) وساق قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ فبدأ بالعلم قبل العمل، والقول الذي هو الاستغفار، لِمَ ذكر الشيخ هذا؟

الجواب: لأجل أن هذه الرسالة رسالة علم، كلها شرح وبيان للواجب الأول، ألا وهو **العلم**، فينبه طالب العلم على أنَّ العلم مهم للغاية، حتى إنه قبل القول والعمل، فقبل أن يستغفر العبد لا بد أن يعلم العلم الواجب عليه، وهذا العلم هو الذي ينجي به نفسَه بفضل الله عَزَّ وَجَلَّ إذا سُئل عن هذه المسائل الثلاثة.

فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ يريد أن يُبيِّن لك، ثلاثة الأصول هذه والمسائل المتعلقة بها، فأكد لك أهمية العلم بقوله فيما ساق عن البخاري: (**بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالعَمَلِ**)، العلم قبل ولا شك.

(١) قال البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه في كتاب العلم ـ باب رقم (١٠): (بابٌ العلمُ قبل القولِ والعملِ ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم). انظر: فتح الباري (١/ ١٦٠).

ولهذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) وما أحسن ما قال:

وَالـجَـهـلُ دَاءٌ قَـاتِـلٌ وَشِـفَـاؤُهُ ... أمرَانِ فِي التَّركِيبِ مُتَّفِقَانِ
نَصٌّ مِنَ القُرآنِ أَوْ مِن سُنَّةٍ ... وَطَبِيبُ ذَاكَ العَالِمُ الرَّبَّانِي
وَالعِلـمُ أقسَامٌ ثَلَاثٌ مَا لَهَا ... مِـنْ رَابِـعٍ وَالـحَـقُّ ذُو تِبيَانِ
عِـلْـمٌ بِأَوْصَافِ الإلَـهِ وَفِـعْـلِـهِ ... وَكَـذَلِـكَ الْأَسْـمَـاءُ لِـلـرَّحـمَـنِ
وَالْأَمْرُ وَالنَّهيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ ... وَجَزَاؤُهُ يَـوْمَ الـمَـعَـادِ الـثَّانِـي
وَالكُلُّ فِي القُرآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... جَاءَت عَنِ المَبعُوثِ بالفُرقَان
وَاللهِ مَا قَالَ امرُؤٌ مُتَحَذْلِقٌ ... بِسِوَاهُمَا إِلَّا مِنَ الـهـذَيَـانِ

بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الجهلَ داءٌ قاتل، ولكن بِمَ يُزال الجهل؟ قال: (**نَصٌّ مِنَ القُرآنِ أو مِن سُنَّةٍ**)، مَنْ ذا الذي يرشدك ويبيِّن لك؟ قال: (**وَطَبِيبُ ذَاكَ العَالِمُ الرَّبَّانِي**)، فليس هو كل منتسب للعلم، ولكنه العالم الرباني، الذين وصفهم الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة آل عمران، بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ثم بيَّن **العلم** الذي تسعى إليه ما هو؟، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عِلْمٌ بِأوصَافِ الإلَهِ وَفِعْلِهِ ... وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحمَنِ

هذه شملت التوحيد: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

ثم العلم الثاني ما هو؟ قال: (**وَالأمرُ وَالنَّهيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ**)

---

(١) انظر: النونية لابن القيم مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٨٣).

يعني: الفقه، الأمر والنهي، والأحكام والحلال والحرام، هذا مأمور به، وهذا منهي عنه، هذا اِفعله، وذاك لا تفعله، هذا النوع الثاني من العلم النافع.

ثم الثالث، قال: **(وَجَزَاؤهُ يَومَ المَعَادِ الثَّانِي)** الذي هو العلم بما يكون يوم القيامة، ووسائل ذلك.

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول: (الْعِلمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)**، فالعلم إذا كان قبل القول والعمل بورك لصاحبه في القليل، وإن كان العملُ والقول قبل العلم، فربما كانت الأعمال والأقوال جبالًا، ولكنها ليست على سبيل نجاة.

ولهذا روى الإمام أحمد في الزهد، وأبو نعيم وجماعة عن أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أنه قال: «**يَا حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ، كَيْفَ يَغْبنُونَ سَهَرَ الْحَمْقَى وَصَوْمَهُمْ؟ وَلَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ برٍّ مَعَ تَقْوى وَيَقِينٍ، أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ وَأَرْجَحُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ عِبَادَةً مِنَ الْمُغْتَرِينَ**»[(١)]، يقول: «**يَا حَبَّذَا**» يتمنى نوم الأكياس مَنْ هم الأكياس؟ **الجواب: (إِنَّ لِلَّه عِبادًا فُطَنًا)** هؤلاء هم الأكياس الأحياء قلوبهم وعقولهم صحيحة، يقول: «**يَا حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ**»، وهم أهل العلم، الأكياس ناموا، والحمقى ـ على كلام أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (١٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١١)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٤٧/ ١٧٥) من طرق عن أبي سعيد الكندي عمن أخبره عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موقوفًا، وفي سنده مجهول. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا من جواهر الكلام وأدلة على كمال فقه الصحابة وتقدمهم على من بعدهم في كل خير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ». انظر: الفوائد لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص١٤١).

سهروا ليلهم في صلاة، لكن هؤلاء لا يستوون عند أبي الدرداء رضي الله عنه مع أولئك؛ لأن أولئك عبدوا الله عز وجل على جهل، وهؤلاء عبدوا الله بعبادات قليلة، ولكنها مع علم وبصيرة، فكانوا أعظم أجرًا، حيث قال: «**ولمثقالُ ذرةٍ مِنْ برٍّ مَعَ تقوى ويقينٍ، أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ وَأَرْجَحُ مِنْ أمثالِ الْجِبَالِ عِبَادَةً مِنَ الْمُغْتَرِينَ**». لهذا نقول: العلم في غاية الأهمية، ويُبدأُ به قبل أي شيء، خاصة العلم الذي يصحح العبادة، ويصحح العقيدة، ويصحح القلب، ويجعل المرء في حياته يسير على بيِّنة وفق سُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم وليس على جهالة.



اِعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَسَائِلَ، وَالْعَمَلُ بِهِنَّ:

الْأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥].

الشَّرْح

هذه المسائل الثلاث التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ صلة لما قبلها، وتمهيد لما بعدها، فأعاد وكرر **بقوله: (اِعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ)**، وفي هذا ما فيه من التلطف بالمتعلمين، اعلم أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل مع المسائل الأربع التي سبقت، وهذه المسائل يجب أن يتعلمها كل مسلم وكل مسلمة؛ لأن فيها بيان أصل الدين وقاعدة الدين:

المسألة (الأولى): أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ خلق الخلق لغاية، لم يخلقهم سُدًى ولا عبثًا ـ سبحانه وتعالى عما يصفون ـ بل خلق الخلق لغاية، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]؛ أي: لغير غايةٍ ولغير حكمة؟ ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾، وأنه لن يكون بعث بعد خلقكم، وأنه لن

يكون إرجاع لكم إلى مَنْ خلقكم؟ هذا الظن فيه قدح في حكمة الله ﷻ؛ لذلك قال ﷻ بعدها: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، فتعالىٰ الله عما يصفه به المبطلون، وسبحانه وتعالى عما يظنه به الجاهلون القادحون في حكمته.

فالخلق إذًا مخلوقون لغاية، ما هذه الغاية؟ **الجواب:** هي ما بَيَّنَها الله ﷻ في قوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]، فالله ﷻ ما خلق الجن والإنس إلا لغاية واحدة وهي الابتلاء؛ ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك: ٢]، والابتلاء هو الاختبار.

والسؤال: الاختبار في أي شيء؟

الجواب: الاختبار في عبادته، هل يُعبد وحده لا شريك له، أم يُتخذ آلهة أخرى معه ﷻ؟

وهذه مسألة ولا شك عظيمة، فالإنسان خُلق لهذه الغاية، لكن يحتاج إلى من يُبَصِّره بهذه الغاية، ويعلمه الحكمة من خلقه، ويعلمه كيف يصل إلى عبادة ربه على الوجه الذي يرضى به الله ﷻ عنه، فبعث الله ﷻ رسلًا مبشرين ومنذرين يدُلُّون الخلق على خالقهم، ويعرفونهم بمن يستحق العبادة وحده، ويعرفونهم بالطريق التي أذن لمَنْ خلقهم أن يعبدوه بها.

قال الله ﷻ لنبيِّنا محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾ [المزمل: ١٥]، وكُلُّ أمةٍ قد خلا

فيها نذير كما قال ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، نذير ينذرهم ويبشرهم، يُبَشِّر مَنْ أطاع، ويُنْذِرُ مَنْ عصى ويخوفه من النار، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فثبت بهذه النصوص أن الله ﷻ لم يترك الخلق وشأنهم بعد أن خلقهم، بل بعث لهم رسلًا يعلمونهم ويَهْدُونَهُمْ ويُبصِّرُونَهم الطريق التي يَرْضَى اللهُ ﷻ أن يعبدوه بها دون غيرها من الطرق الموصلة، وتلكم الطريق طريق واحدة، ليست بطرقٍ متعددة؛ كما قال ﷻ: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] فهو صراطٌ واحد، وهناك طرق أخرى، هي طرق أهل الضلال والجهل والغِواية والهوى، أما الطريقُ الموصلة إلى الله ﷻ فهي الطريق التي جاء بها المرسلون من عند الله ﷻ؛ وهو دين الإسلام العام، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهو الاستسلام لله ﷻ بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

فالرسل بَيَّنوا للناس هذه الغاية، ودلُّوهم على عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له، فقامت العداوةُ بين الرسل وبين أقوامهم في هذا الأصل؛ حيث إن الخلق يريدون أن يعبدوا الله ﷻ بالطريقة التي يحبون لا بالطريقة التي يحبها الله ﷻ؛ ولهذا قال بعض أئمة السلف: «**لَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ أَنْ تُحَبَّ**»[1]؛ ليس

---

(١) انظر: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١/ ٧٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٥٩).

الشأن أن تُحِبَّ اللهَ، فإن محبةَ الله ﷻ يدعيها المشركون، ويدعيها الضالون، كل قوم بُعث فيهم الرسل يَدَّعون أنهم يريدون وجه الله، ويريدون ما عند الله ويحبونه، وربما يتصدقون ويُصَلون ويَدْعُون ويَصِلُون الرحم، وما فِعل أهل الجاهلية ـ جاهلية العرب ـ مِنَّا ببعيد، لكن ليس الشأن أن يُحبَّ المحبُّ ربَّه، ولكن الشأنَ أن يُحب اللهُ ﷻ عبده. لكن متى يكون ذلك؟ **الجواب:** لا بد أن يبحث العبد عن سبيل محبة الله ﷻ له، وهذا السبيلُ بيَّنه الله ﷻ في قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ زعمًا: ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ طاعةً: ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فسبيلُ محبةِ الله للعبد هي طاعة الرسل، واتباعهم، وخاتم المرسلين نبينا محمد ﷺ الذي ببعثته وبرسالته نُسخت جميع الرِّسالات، ونسخت جميع الكتب من قبله ﷺ، فبقي للناس طريقٌ واحد يصلون به إلى ربهم ﷻ؛ ألا وهو طريقُ محمد ﷺ، إذ هو الواسطة العملية للاتباع للوصول إلى الله ﷻ، فمن اتبع واهتدى بغير هدي النبي ﷺ ـ هذا النبي الخاتم ـ فهو من الضالين الذين تنكبوا سبيل الحق.

هذا **الأصل الأول**، وهذه المسألة الأولى عظيمةٌ جدًّا؛ لأنها إذا استقرت في قلب العبد قادته إلى كل خير، فيعلم أنه ما خُلِقَ إلا لغاية، لكن ما هذه الغاية؟ **الجواب:** هي عبادة الله وحده لا شريك له، كيف يعرف طريق هذه العبادة؟ **الجواب:** باتباع النبي ﷺ، فتلخص الدّين في هذه المسألة العظيمة.

وما أحسن قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته بعد أبيات قال[1]:

فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ   أَعْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالإِيمَانِ

(فَلِوَاحِدٍ) لله عَزَّوَجَلَّ وحده دون غيره، (كُنْ وَاحِدًا) في قصدكِ وإرادتك وتوجهك وطلبك، (فِي وَاحِدٍ) في طريق واحد.

قال بعدها: (أَعْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالإِيمَانِ) الذي هو سبيل النبي ﷺ.



(١) انظر: النونية لابن القيم مع شرحها لابن عيسى (٢/٢٥٨).

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الشَّرْح

المسألة (الثانية: **أَنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**)، فالكُلّ عبيد لله عَزَّ وَجَلَّ.

فالله عَزَّ وَجَلَّ إنما يرضى التوحيد، ويرضى أن يُعبد وحده دون سواه، فمن أشرك مع الله عَزَّ وَجَلَّ إلـٰهًا آخر فقد نقض الغاية العمليةُ ـ التي كُلِّف بها ـ من خلقه ومن إيجاده؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟﴾ دعاء مسألة، ودعاء عبادة: ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

المساجد يُفعل فيها شيئان:

الأول: سؤال الله عَزَّ وَجَلَّ ودعاؤه، وهذا هو **دعاء المسألة**.

الثاني: عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ بأنواع العبادات: من صلاة الفرض والنفل، ومن التلاوة، والذكر، والتعلم والتعليم، ونحو ذلك.

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ المَسَاجِدُ أقيمت لله عَزَّ وَجَلَّ؛ لعبادته وحده دون غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿فَلَا تَدْعُوا۟﴾ دعاء مسألةٍ أحدًا غير الله، ولا تدعو دعاء عبادة أحدًا غير الله، وكما أنَّ المصلي لا يصلي إلا لله،

فكذلك في المسجد وفي غيره فلا يسأل ولا يدعو إلا الله عَجَّلَ.

ودعاءُ المسألة: هو الذي يسميه العامَّة أو يسمِّيه الناس الدعاء، وهو المقصود إذا قيل: دعا فلان؛ أي: سأل الله عَجَّلَ وقال: اللَّهُمَّ أعطني، اللَّهُمَّ قني، اللَّهُمَّ اغفر لي. ونحو ذلك.

أمَّا دعاءُ العبادة: فهو العبادة نفسُها؛ لأن المتعبد لله عَجَّلَ بصلاةٍ أو بذكرٍ هو سائلٌ لله عَجَّلَ؛ لأنه إنما عَبَدَ وصلَّى، أو صام وزكَّى، أو ذكر وتلا، رغبةً في الأجر؛ كأنه سأل الله عَجَّلَ الثواب، لهذا يُقال: الدعاء قسمان[1]: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

قال الله عَجَّلَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، قال في أول الآية: ﴿ادْعُونِي﴾، وقالَ عَجَّلَ في آخرها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ فدلَّ على أن الدعاء عبادة، أو هو العبادة، ولهذا فسَّر السلف الاستجابة في قوله عَجَّلَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ بتفسيرين[2]:

﴿أَسْتَجِبْ﴾ بمعنى: أُعطكم ما سألتم، أو أُثِبْكُم؛ ادعوني

---

(١) قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ في تيسير العزيز الحميد (ص١٨٠): «واعلم أن الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة، كما حققه غير واحد منهم: شيخ الإسلام وابن القيم وغيرهما». وانظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٤٠٥) و(١٥/ ١١)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ٥١٣) وزاد المعاد (١/ ١٣٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٧٨)، وتفسير البغوي (٤/ ١٠٣)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٢٦)، وزاد المسير (٧/ ٢٣٤).

أُثِبْكُم، وإذا كانت في هذا التقسيم (ادعوني أثبكم) بهذا المعنى فيكون الدعاء هنا بمعنى العبادة؛ لأنها هي التي يتعلق بها الثواب. وإذا كانت الإجابة هنا بمعنى إعطاء السُّؤل يكون الدعاء هنا دعاء مسألة.

وهذه المسألة مقررة تقريرًا واضحًا في كتب أهل العلم، ألا وهي أن قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، أنه يشمل نوعي الدعاء: دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن النعمان بن بشير رضي الله عنه؛ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**الدعاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١)، وفي معناه ما جاء عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ**»(٢).

فالله ﷻ لا يرضى أن يشرك معه أحد، قد يُتَوهَّم أن المخلوق إذا بلغ إلى غاية عظيمة أنه يمكن أن يَصِلَ إلى الله ﷻ باتخاذه

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٥٠)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٦٧)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ١٧٢)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٦٧)، (٤/ ٢٧١)، (٤/ ٢٦٧) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. قال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح). وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال الحافظ في الفتح (١/ ٤٩): (أخرجه أصحاب السنن بسند جيد).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧١)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٢٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي سنده ابن لهيعة. قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة»، وقال الطبراني: «تفرد به ابن لهيعة».

واسطة؛ أي: باتخاذه وسيلة، وأعلى المخلوقات مقامًا عند الخلق الملائكة والرسل والأنبياء؛ لهذا نفى الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هذين **فقال: (أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)**.

قوله: **(لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ)** حتى ولو كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي هو سيد الملائكة وأشرفهم وأعظمهم. **(وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)** حتى النبي ﷺ.

ودليل ذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، ووجه الاستدلال: أن كلمة (أَحَدًا) نكرة جاءت في سياق النهي، وقد تقرر أن النكرات إذا أتت في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام، فإنها تعُم[1]، فقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ يدخل في قوله: ﴿أَحَدًا﴾ الملائكة والأنبياء.

هذا الأصل يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعلمه علمًا يقينيًا لا شك فيه ولا شبهة بدليله، وهو قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، فلا يخطر على قلب المسلم أو المسلمة أنه يمكن أن يدعوَ غيرَ الله، أو أن يستغيثَ بغيرِ الله، أو أن يتوجه إلى غير الله، بأي نوعٍ مِنْ أنواع العبادات، حتى ولو كان المتوجه إليه مَلَكًا مقربًا، أو نبيًّا مرسلًا.

ومن المتقرر أن ثَمَّ فرقًا بين النَّبيِّ والرسول[2]؛ فليس كل نبي

---

(١) انظر: المسودة لآل تيمية (ص١٤٣)، وروضة الناظر (ص٢٢١).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في النبوات (ص١٨٤): «فالنَّبيِّ هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أُرْسِلَ مع ذلك إلى من خالف أمر الله =

رسولًا، بينما كُلُّ رسولٍ نبي، وقول الشيخ هنا: **(وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)**؛ لأن الرسالة أرفع درجة من النبوة، والفرق بينهما أن:

النَّبيُّ: هو من أوحي إليه بشرع، وأُمر بتبليغه إلى قوم موافقين له، أو لم يؤمر بالتبليغ.

والرسول: هو من أوحي إليه بشرع، أو كتاب، وأُمر بتبليغه إلى قوم مخالفين.

فإذًا؛ النبي مرسل، وقد يكون مرسلًا إلى نفسه، لكنه ليس رسولًا بالمعنى الأخص؛ وذلك لقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، فأثبت أن الرسول مُرسل، وأن النبي أيضًا يقع عليه الإرسال، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ﴾ فبيَّن أن **(الرسول)** يقع عليه الإرسال، وقوله: «**وَلَا نَبِيٍّ**» فيه أيضًا أنَّ النبي يقع عليه الإرسال؛ أي: يؤمر أن يبلغ ذلك لمن يوافقه هذا النبي، مثل أنبياء بني إسرائيل إذا مات فيهم نبي، خلفه نبي يبلغ من يوافقه في عقيدته، ومن يوافقه في اتباعه لشريعة النبي أو الرسول الذي قبله، فإذا بلَّغ موافقًا، وكان هذا التبليغ مأمورًا به من الله ﷻ، ومعه شرع، أو بعض شرع، فإن هذا نبي.

وقد لا يكون مأمورًا بتبليغه إلى قومٍ موافقين، فقد يُبَلِّغُ نفسَه،

= ليبلغه رسالةً من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يُرْسَلْ هو إلى أحدٍ يبلغه عن الله رسالةً فهو نبي وليس برسول». وانظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٩٤)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٩٨).

وعلى هذا يحمل أحد شروح العلماء، لما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمْ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»[١]، فقد يكون لأنه لم يُستجب له، وقد يكون لأنه إنما أُمر أو أوحي إليه لنفسه لا لغيره.



(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

الشَّرْح

المسألة (الثالثة: أَنَّ مَنْ وَحَّدَ الله، وَأَطَاعَ الرَّسُولَ وَاتَّبَعَ دِينَ الإِسْلَام لَا يَجُوزُ لَهُ أَنَّ يُوَالِي مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ)، ولو كان ذلك أباه أو أمه أو أخاه أو أخته أو قريبه، وذلك لقول الله ﷻ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾، إلى آخر الآية، وقال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ [المائدة: ٥١]، لمّا ذكر اليهود والنصارى.

فأصل الدّين الذي هو من معنى كلمة التوحيد الولاء والبراء،

الولاء للمؤمنين وللإيمان، والبراءة من المشركين والشرك، ولهذا يُعرِّف علماؤنا الإسلام: بأنه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وهاهنا تنبيه: في بعض نسخ كتاب الشيخ عرَّف الإسلام بهذا، وقال في آخره: **(والخلوص من الشرك وأهله)**، والمعروف عنه في النسخ الصحيحة التي قُرِئَت على العلماء: **(البراءة من الشرك وأهله)**؛ لأن البراءة تشمَل الخلوص وزيادة، وهي الموافقة لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

قال هنا: لا يجوز لمَنْ وَحَّد الله، وأطاعَ الرسولَ، واتبع دينَ الإسلامِ، أن يواليَ أحدًا من المشركين.

(الموالاة) معناها[1]: أن تتخذه وليًا، وأصلها من الوَلاية والوَلاية هي المحبة، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤]؛ أي: هنالك المحبة والمودة والنُّصرة لله الحق، فأصل الموالاة المحبة والمودة؛ ولهذا استدل بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ففسَّر الموالاة بأنها المُوادّة، وهذا معناه: أن أصل الموالاة في القلب، وهي محبة الشرك أو محبة أهل الشرك والكفر.

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (١٥/ ٤١١): (تَوَلَّاه: اتَّخذه وَلِيًّا، وإنه لَبَيِّنُ الوِلاةِ والوَلْية والتَّوَلِّي والوَلاء والوِلاية والوَلايةِ. والوَلْيُ: القَرْبُ والدُّنُوُّ). وانظر: مختار الصحاح (ص٣٠٦).

فأصل الدين أن من دخل في **(لا إلـه إلا الله)** فإنه يحب هذه الكلمة وما دلَّت عليه من التوحيد، ويحب أهلها، ويُبغضُ الشركَ المناقض لهذه الكلمة، ويبغض أهله. فكلمة الولاء والبراء هي معنى الموالاة والمعاداة، وهي بمعنى الحب والبغض، فإذا قيل: الولاء والبراء في الله هو بمعنى الحب والبُغض في الله، وهو بمعنى الموالاة والمعاداة في الله؛ ثلاثة بمعنىً واحد، فأصله القلب؛ محبة القلب، إذا أحبَّ القلبُ الشرك صار مواليًا للشرك، وإذا أحب القلبُ أهل الشرك صار مواليًا لأهل الشرك، كذلك إذا أحب القلبُ الإيمان صار مواليًا للإيمان، وإذا أحب القلبُ اللهَ ﷻ صار مواليًا لله، وإذا أحب القلبُ الرسول ﷺ صار وليًّا ومواليًا للرسول ﷺ، وإذا أحب القلبُ المؤمنين صار مواليًا ووليًّا للمؤمنين؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]؛ أي: من يحب وينصر اللهَ ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون.

أما حكم الموالاة: فإن موالاة المشركين والكفار محرمة وكبيرة من الكبائر، وقد تصل بصاحبها إلى الكفر والشرك، ولهذا ضبطها العلماءُ بأن قالوا: تنقسم الموالاة باسمها العام إلى قسمين(١):

---

(١) سُئل الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن ـ رحمهم الله ـ عن الفرق بين الموالاة والتولي، فأجاب رحمه الله: «التولي كفر يُخرج من الملة، وهو كالذب عنهم وإعانتهم بالمال والبدن والرأي، والموالاة كبيرة من كبائر الذنوب؛ كَبلِّ الدواة أو بَري القلم أو التبشش لهم، أو رفع السوط لهم».اهـ. انظر: الدرر السنية (٨/ ٤٢٢).

القسم الأول: التولي، وهو الذي جاء في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، يُقال: تولاه توليًا؛ فالتولي معناه: محبة الشرك وأهل الشرك، ومحبة الكفر وأهل الكفر، أو نصرة الكفار على أهل الإيمان، قاصدًا ظهور الكفر على الإسلام، بهذا الضابط يتضح معنى التولي، وهو كفرٌ أكبر، وإذا كان مِنْ مسلم فهو ردة.

ما معنى التولي؟ **الجواب:** معناه محبة الشرك وأهل الشرك ـ لاحظ العطف بالواو ـ أي: يحب الشرك وأهل الشرك جميعًا مجتمعة، أو أَلَّا يحب الشرك ولكن ينصرُ المشركَ على المسلم، قاصدًا ظهور الشرك على الإسلام، وهذا الكفر الأكبر الذي إذا فعله مسلم صار رِدَّة في حقه والعياذ بالله تعالى.

القسم الثاني: الموالاة، والموالاة المحرَّمة مِنْ جنس محبة المشركين والكفار؛ لأجل دنياهم، أو لأجل قراباتهم، أو لنحو ذلك، وضابطها: أن تكون محبة أهل الشرك؛ لأجل الدنيا، ولا يكون معها نصرةٌ؛ لأنَّه إذا كان معها نصرةٌ على مسلم بقصدِ ظهور الشرك على الإسلام صار توليًا، وهو في القسم المُكَفِّر، فإن أحب المشرك والكافر لدنيا، وصار معه نوع موالاة لأجل الدنيا، فهذا محرم ومعصية، وليس كفرًا؛ دليل ذلك قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

قال علماؤنا ـ رحمهم الله تعالى ـ: أثبت الله ﷻ في هذه الآية أنه حصل ممن ناداهم باسم الإيمان اتخاذ المشركين والكفار

أولياء بإلقاء المودة لهم[١].

وذلك كما جاء في الصحيحين[٢]، وفي التفسير في قصة حاطب رضي الله عنه المعروفة، أنه أرسل بخبر رسول الله ﷺ ـ وهذه عظيمة من العظائم ـ للمشركين لكي يأخذوا حِذْرَهم مِنْ رسول الله ﷺ، فلما كُشِفَ الأمر، قال النبي ﷺ لحاطب رضي الله عنه: «**يَا حَاطِبُ ما حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟**»؛ فدل على اعتبار القصد؛ لأنه إن كان قاصدًا ظهور الشرك على الإسلام، وظهور المشركين على المسلمين، فهذا يكون نفاقًا وكفرًا، وإن كان له مقصد آخر فله حكمه.

قال ﷺ مستبينًا الأمر: «**يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يُدْفَعُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي وَلَيْسَ مِنْ أَصْحَابِكَ أَحَدٌ إِلَّا لَهُ هُنَالِكَ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ

---

(١) قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ـ رحمهم الله ـ: «...فدخل حاطب في المخاطبة باسم الإيمان ووصفه به، وتناوله النهي بعمومه، وله خصوص السبب الدال على إرادته معه أن في الآية الكريمة ما يشعر أن فعل حاطب نوع موالاة، وأنه أبلغ إليهم بالمودة، وأن فاعل ذلك قد ضل سواء السبيل، لكن قوله ﷺ: «**صَدَقَكُمْ خَلُّوا سَبِيلَهُ**» ظاهر في أنه لا يكفر بذلك، وإذا كان مؤمنًا بالله ورسوله غير شاك ولا مرتاب، وإنما فعل ذلك لغرضٍ دنيوي، ولو كفر لما قال: «**خلوا سبيله**».اهـ. انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٤٧٣). وانظر أيضًا: تفسير القرطبي (١٨/ ٥٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي رضي الله عنه.

وَمَالِهِ. قَالَ: «**صَدَقَ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا**». قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. قَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

قال الله ﷻ في بيان ما فعل حاطب رضي الله عنه: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١]؛ يعني: حاطبًا، ففِعْلُه ضلال.

وما منع النبي ﷺ من إرسال عمر رضي الله عنه أو ترك عمر رضي الله عنه إلا أنَّ حاطبًا رضي الله عنه لم يخرج من الإسلام بما فعل؛ ولهذا جاء في رواية أخرى قال: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[١].

قال العلماء[٢]: لعلمه ﷻ بأنهم يموتون ويبقون على الإسلام. دلَّت هذه الآية وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، مع بيان سبب نزولها من قصة حاطب، أن إلقاء المودة للكافر لا يسلب اسم الإيمان؛

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٨٨)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٩٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٩٨).

(٢) نقل الحافظ عن القرطبي قوله: «وقد أظهر الله صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ولازم الطريق المثلى ويعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من يتحقق على سِيَرِهم». انظر: فتح الباري (٨/ ٦٣٥)، وأحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٢٦).

لأن الله ناداهم باسم الإيمان، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المُمتَحنَة: ١] مع إثباته ﷻ أنهم ألقَوا المودة. ولهذا استفاد العلماء من هذه الآية، ومن آية سورة المائدة: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، ومن آية المجادلة التي ساقها الشيخ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ أنَّ الموالاة تنقسم إلى: تولٍ وموالاة؛ الموالاة بالاسم العام: منه تولٍ وهو المُكَفِّر بالضابط الذي ذكرتُه لك، ومنه موالاة وهو نوع مودة لأجل الدنيا ونحو ذلك.

والواجب: أن يكون المؤمن محبًّا لله ﷻ ولرسوله وللمؤمنين، وألا يكون في قلبه مودة للكفار ولو كان لأمور الدنيا، فإذا عَامَل المشركين أو عَامَل الكفار في أمور الدنيا، إنما تكون معاملةً ظاهرةً بدون ميل القلب، أو محبة القلب؛ لأن المشرك حمل قلبًا فيه مسبَّة الله ﷻ، وهو سابٌّ لله ﷻ بفعله، إذ اتخذ مع الله ﷻ إلـٰهًا آخر، والمؤمن متولٍّ لله ﷻ ولرسوله وللمؤمنين، فلا يمكن أن يكون في قلبه مُوادَّة لمشرك حمل الشرك والعياذ بالله.

هذه الثلاث مسائل من المهمَّات العظيمات:

الأولى: أن يعلم المرء الغاية من خلقه، وإذا علم الغاية، يعلم الطريق الموصلة لإنفاذ هذه الغاية.

الثانية: أن يعلم أنّ الطريق واحدة، وأن الله ﷻ لا يرضى الشرك به، حتى بالمقربين عنده، والذين لهم المقامات العالية عنده ﷻ، لا يرضى أن يشرك معه أحد.

الثالثة: ألا يكون في قلب الموحِّد الذي وحَّد الله، وأطاع الرسول، وخلص من الشرك، ألا يكون في قلبه محبة للمشركين.

هذه الثلاث هي أصول الإسلام بأَحد الاعتبارات، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعلنا ممن تحققوا بها قولًا وعملًا واعتقادًا وانقيادًا.



اِعْلَمْ ـ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ ـ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، **وَمَعْنَى (يَعْبُدُونِ): يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ وَأَعْظَمُ مَا نَهى عَنْهُ الشِّرْكُ؛ وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾** [النساء: ٣٦].

الشرح

قوله: (اِعْلَمْ ـ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ ـ) فيه تلطُّف ثالث منه رحمه الله؛ حيث دعا للمتعلم بقوله: **(أَرْشَدَكَ اللهُ)**، وهذا الذي ينبغي على المعلمين أن يكونوا متلطفين بالمتعلمين؛ لأن التلطف والتعامل معهم بأحسن ما يجد المعلم يجعل قلبَ المتعلم قابلًا للعلم، مُنفتِحًا له، مُقبلًا عليه.

ويقول رحمه الله: **(أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ** عليه السلام**)** هي التي أمر الله عز وجل نبيَّه صلى الله عليه وسلم، وأمر الناسَ أَنْ يكونوا عليها، قال عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، وملة إبراهيم هي التوحيد؛ لأنه هو الذي تركه فيمن بعده؛ حيث قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، هذه الكلمة ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ اشتملت على نفي في الشق **الأول**: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ البراءة نفيٌ، واشتملت على إثبات في الشق **الثاني**: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فتبرأ من المعبودات المختلفة، وأثبت أنه عابد للذي فطره وحده[١]، وهذا هو معنى كلمة التوحيد، ولهذا قال ﷻ بعدها: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]؛ أي: لعلهم يرجعون إليها، وعَقِبُ إبراهيم عليه السلام منهم العرب، ومنهم أتباع الأنبياء، فهو أبو الأنبياء؛ أي: أنه أبٌ لأقوام الأنبياء، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إليها.

وهذه الكلمة هي كلمة التوحيد **(لا إلـه إلا الله)**[٢]؛ لأن التوحيد هو ملة إبراهيم عليه السلام، **(لا إلـه إلا الله)**، معناها: ما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فـ **(لا إلـه)** مشتملة على البراءة من كل إلـه عُبد، و**(إلا الله)** إثبات للعبادة، إثبات لعبادة الله وحده دونما سواه، ولهذا يقول العلماء[٣]: **(لا إلـه إلا الله)**

---

(١) قال ابن القيم في بدائع الفوائد (١/ ١٤٥): فقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ براءة محضة ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ إثبات أَنَّ له معبودًا يعبده، وأنتم بريئون من عبادته، فتضمنت النفي والإثبات وطابقت قول إمام الحنفاء: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾. وانظر: منهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ٣٤٧)، وطريق الهجرتين (ص٢٣٦)، ومعنى لا إلـه إلا الله للزركشي (ص٨٣)، وعمدة القاري للعيني (٦/ ١٣٣)، ومؤلفات الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١/ ١٧٠)، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٥٧).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٥/ ٦٣).

(٣) قال الخطابي في الغنية عن الكلام وأهله (١/ ٣٩): «لا إلـه إلا الله؛ أي: لا معبود بحق في الوجود إلا الله، فلا إلـه نفي لجميع المعبودات الباطلة، وإلا الله إثبات =

معناها: لا معبود حقٌّ أو بحقٍّ إلا الله. ومعنى ذلك: أن كل المعبودات إنما عُبدت بغير الحق، قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾، ولكونه ﷻ هو الحق كانت عبادته وحده دون ما سواه هي الحق، قال: **(لا إلـه)**، لا إلـٰه بحق، أو لا معبود بحق، لكن ثَمَّ معبودات بغير الحق، ثَمَّ معبودات بالباطل، ثمَّ معبودات بالبغي، بالظلم والعدوان، لكن المعبود بحق يُنفى عن جميع الآلهة إلا الله ﷻ، فإنه هو وحده المعبود بحق.

هذه الكلمة هي التي أبقاها إبراهيم عليه السلام في عقبه، وهذا مراد الشيخ رحمه الله بما ذَكر، وبَيَّن أن أعظم الواجبات: أعظم ما أمر به إبراهيم الخليل عليه السلام، وما أمر به النبي ﷺ التوحيد[1]، وأعظم ما نهى عنه الشرك، ومعنى ذلك أن أعظم دعوة الأنبياء والمرسلين من إبراهيم عليه السلام، بل من نوح عليه السلام إلى نبيِّنا محمد ﷺ، أعظم ما يُدعىٰ إليه من الأمر هو الأمر بتوحيد الله ﷻ، وأعظم ما يُنهى عنه ويُؤمر الناس بتركه هو الشرك، فأعظم ما أُمر به التوحيد، وأعظم ما

= للمعبود الحق جل جلاله». وانظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٨١)، وتفسير أبي السعود (١/ ١٠)، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٢٧١)، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٥٣).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أعظم ما دعا الله الخلق إليه في كتابه ودعت إليه الرسل هو: التوحيد، وأعظم ما نهى عنه: الشرك، وهو أصل دعوة الرسل وأساسها ورأسها وأكمل ما فيها وبه بعث الله جميع الرسل، كما قد صرح به القرآن في أكثره فهو مملوء به». انظر: الرد على البكري (١/ ٢٩٠، ٢٩١).

نُهي عنه الشرك؛ لأن التوحيد هو حق الله ﷻ، ومن أجله بُعثت الـرسـل، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فالغايةُ مِنْ بعث الرسل أن تُبيِّنَ للناس، وأن تقول للناس: اعبدوا الله وحده دون ما سواه. هذا الأمر، ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ اتركوا الشرك ومظاهر الشرك.

إذًا؛ أعظم مأمور به هو التوحيد، وهو أعظم ما دعا إليه الرسل والأنبياء من نوح عليه السلام إلى نبيِّنا محمد ﷺ، وأعظم ما نُهي عنه من المنهيات هو الشرك؛ وذلك لأن الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله ﷻ وحده، فصار الأمر بالتوحيد هو الأمر لهذا المخلوق بأن يَعلم وأن يُنْفِذَ غاية الله ﷻ من خلق هذا المخلوق.

والنهي عن الشرك معناه: النهي عن أن يأخذ هذا المخلوق بطريق أو بفعل يخالف الغاية، وهذا ولا شك كما ترى يقود إلى فهم التوحيد، وإلى فهم حق الله ﷻ، وفهم دعوة الحق بأعظم ما يكون الفهم؛ لأنك تنظر إلى أن إنفاذ المرء ما خُلق من أجله وهو أعظم ما يُدعىٰ إليه، ونَهيُ المرء عما يصده عما خُلق من أجله، هذا أعظم ما يُنهى عنه، ولهذا كانت دعوة المصلحين، ودعوات المجددين على مرِّ العصور بهذه الأمة هي في الدعوة إلى التوحيد ولوازمه والنهي عن الشرك وذرائعه.



فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

الشَّرْح

قوله: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ) هذا ابتداء من المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ لبيان المقصود من تأليف هذه الرسالة، وما قبله من المهمات التي هي موطئات لهذا المقصود، من بيان الواجبات الأربعة، ثم الواجبات الثلاثة، ثم ما يتصل بذلك.

وهذه الرسالة صنفت لبيان الأصول الثلاثة؛ ألا وهي مسائل القبر؛ مَنْ ربك؟ وما دينك؟ ومَنْ نبيك؟ والجواب عليها في هذه الرسالة، بل إن هذه الرسالة من هذا الموضع إلى آخرها جواب على هذه الأسئلة الثلاثة، فمن كان عالمًا بما في هذه الرسالة من بيان تلك الأصول العظام، كان حَرِيًّا أن يُثبت عند السؤال؛ ذلك لأنها قُرنت بأدلتها، وقد جاء في الحديث الذي في الصحيح[١]؛ أن من المسؤولين في القبر من يقول: «**لا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**».

استدل العلماء[٢] بقول هذا المفتون في قبره: «**سَمِعْتُ النَّاسَ**

(١) أخرجه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وفي الباب من حديث أنس والبراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ =

يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»، على أن التقليد لا يصلح في جواب هذه المسائل الثلاث، جواب (**من ربك؟**)؛ أي: من معبودك؟ وجواب (**ما دينك؟**)، وجواب (**من نبيك؟**)؛ ولهذا فإن الشيخ الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد كل مسألة مما سيأتي، يذكر الدليل من القرآن، وقد بيَّنا في أول هذا الشرح أن المؤمن يخرج من التقليد، ويكون مستدلًّا لما يعلمه ويعتقده من هذه المسائل بالحق، إذا علم الدليل عليها مرة في عمره، ثم اعتقد ما دلَّ عليه الدليل، فإن استقام على ذلك حتى موته، فإنه يكون مؤمنًا، مات على الإيمان.

ولا يُشترط استمرار استحضار الدليل والاستدلال، لكن الواجب أن يكون العبد في معرفته للحق في جواب هذه المسائل الثلاث عن دليل واستدلال ولو لِمرّة في عمره، ولهذا يُعَلَّمُ الصغار والأطفال عندنا رسالة الأصول الثلاثة الأخرى التي فيها جواب أيضًا مع بعض الاستدلال بأقصر مما هنا، يُعَلَّمُون جواب هذه المسائل الثلاث، حتى إذا بلغ الغلام أو الجارية، فإذا هو قد عرف عن دليل واستدلال.

= في تيسير العزيز الحميد (ص٦٦): «يحرم على النار من قال: لا إلـٰه إلا الله ومن شهد أن لا إلـٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدًا أو عادة ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء؛ كما في الحديث: «**سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم». وانظر: الإحكام لابن حزم (٦/ ٢٩٢)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٢٠٠)، وفتح الباري (٣/ ٢٤٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص٢٧٣).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ)**.

قوله: **(مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ)**؛ أي: معرفة العبد معبوده؛ لأن الربوبية في هذا المقام يُراد بها العبودية، لِمَ؟ **الجواب:** لأن الابتلاء للأنبياء والمرسلين لم يقع في معاني الربوبية[1]، ألم ترَ أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ**﴾، هذه مقتضيات الربوبية ﴿**فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ**﴾ [يونس: ٣١]، المشركون في كل زمان لم يكونوا ينازعون في توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ في ربوبيته، ولهذا فسَّر العلماء[2] سؤال القبر: مَنْ ربك؟ بمن معبودك؟ لِمَ؟ وقد سُئل الشيخ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ عن الفرق بين الربوبية والألوهية، فكان من

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في درء التعارض (٧/٣٩٨): «ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]؛ ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين الخلق في التوحيد ونفي الشريك ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ [غافر: ١٢]، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]. وانظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/٦٦ ـ ٦٧، ١١٧ ـ ١١٨، ١٥٦).

(٢) قال الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك؟ معناه: من إلٰهك؛ لأن الربوبية التي أقر بها المشركون لا يمتحن أحد بها»، انظر: الدرر السنية (١/١٠٦، ١٥١).

جوابه أن قال[١]: «هذه مسألة عظيمة، وذلك أن الربوبية إذا أطلقت، أو إذا أفردت فإنه يدخل فيها الألوهية؛ لأن الربوبية تستلزم الألوهية، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلـٰهية، والألوهية تتضمن الربوبية»؛ لأن الموحد لله ﷻ في ألوهيته هو ضِمْنًا مقر بأن الله ﷻ واحد في ربوبيته، ومن أيقن أن الله ﷻ واحد في ربوبيته استلزم ذلك أن يكون مقرًّا بأن الله ﷻ واحد في استحقاق العبادة؛ ولهذا تجد في القرآن أكثر الآيات فيها إلزام المشركين بما أقروا به، ألا وهو توحيد الربوبية على ما أنكروه ألا وهو توحيد الإلـٰهية[٢]، من مثل قول الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، هذا توحيد الربوبية.

قال بعدها: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، قال: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم﴾، والفاء هنا رتبت ما بعدها على ما قبلها[٣]، وما قبلها هو

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في العقيدة (ص١٧)، والدرر السنية (١/ ٦٨)، والرسائل الشخصية ـ الرسالة الثانية (ص١٧).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: «وهذه طريقة القرآن الكريم يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلـٰهية والعبادة». انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٤٧٢)، وإغاثة اللهفان (٢/ ١٣٥)، ومجموع الفتاوى (١٤/ ٣٧٧)، والدرر السنية (٢/ ٧٣)، وأضواء البيان للشنقيطي (٣/ ١٩).

(٣) قال الآلوسي: «فالفاء واقعة في جواب شرط مقدر، وقال بعضهم: التقدير إذا لم يكن خالق سواه تعالى فهل يمكن غيره كشف ما أراد من الضر؟ وجوز أن تكون عاطفة على مقدر؛ أي: أتفكرتم بعدما أقررتم فرأيتم ما تدعون». انظر: روح المعاني (٢٤/ ٦).

توحيد الربوبية، وما بعدها هو توحيد الإلـٰهية؛ ولهذا في القرآن يكثر أن يحتج على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية على ما أنكروه ألا وهو توحيد الإلـٰهية؛ لهذا قال ﷻ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]، المعنى المقصود بـ ﴿أَرْبَابًا﴾؛ أي: معبودون، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]؛ يعني: معبودين[1]؛ لأن عدي بن حاتم لما قال للنبي ﷺ: **(إِنَّا لَمْ نَعْبُدْهُمْ)** ففهم معنى الربوبية في الآية معنى العبادة، وهذا هو الذي يفهمه من يعرف اللسان العربي، فقال النبي ﷺ: «**أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ**» قَالَ: **(بَلَى)**؛ فَقَالَ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**»[2].

---

(١) وفي الدرر السنية (٣/ ١٢): «وسئل: عن قول الشيخ، في تسمية المعبودات أربابًا، إذ الرب يطلق على المالك، والمعبود، وعلى الإِلَه، وكل اسم من أسمائه ﷻ، له معنى يخصه بالتخصيص، دون التداخل والتعميم. فأجاب - أي: الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله -: الرب والإِلَه في صفة الله تبارك وتعالى متلازمة غير مترادفة؛ فالرب من الملك والتربية بالنعم، والإِلَه من التأله، وهو القصد لجلب النفع ودفع الضر بالعبادة، وكانت العرب تطلق الرب على الإِلَه، فسموا معبوداتهم أربابًا لأجل ذلك؛ أي: لكونهم يسمون الله ربًّا بمعنى إلـٰهًا، والله أعلم».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٦)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٩٢)، واللفظ له، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٨٤)، والطبري في تفسيره (١٠/ ١١٤). قال أبو عيسى: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث).

إذًا؛ الربوبية تُطلق ويُراد منها العبودية في بعض المواضع، تارة بالاستلزام وتارة بالقصد.

وبعض علمائنا قال[١]: إن لفظ الألوهية والربوبية يمكن أن يدخل في الألفاظ التي يقال: إنها إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت. وهذا وجيه.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هنا: (**فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا** ﷺ) والمعرفة ترادف العلم في حق المخلوق في أكثر المواضع، أما في حق الله عَزَّوَجَلَّ فإنه ـ سبحانه ـ يُوصف بالعلم، ولا يوصف بالمعرفة[٢]؛ وذلك لأن العلم قد لا يسبقه جهل، بينما المعرفة يسبقها جهل، عرف الشيء بعد أن كان جاهلًا به، لكن العلم قد لا يسبقه جهل به، ولهذا يوصف الله عَزَّوَجَلَّ بالعلم ولا يوصف بالمعرفة.

أيضا يُقال: إن التعبير بالعلم أوجه في المواضع التي يُحتاج فيها إلى التعبير بالمعرفة؛ وذلك لأن المعرفة أكثر ما جاءت في

---

(١) انظر: مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة (ص١٧)، والدرر السنية (١/ ٦٨)، والرسائل الشخصية ـ الرسالة الثانية ـ (ص١٧).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في بدائع الفوائد (٢/ ٢٩٦): «فالفرق بين إضافة العلم إليه تعالى وعدم إضافة المعرفة لا ترجع إلى الإفراد والتركيب في متعلق العلم، وإنما ترجع إلى نفس المعرفة ومعناها، فإنها في مجاري استعمالها إنما تستعمل فيما سبق تصوره من نسيان أو ذهول أو عزوف عن القلب، فإذا تُصور وحصل في الذهن قيل عرفه أو وصف له صفته ولم يره، فإذا رآه بتلك الصفة وتعينت فيه قيل عرفه».

القرآن مذمومة؛ لأنه يتبع المعرفة الإنكار، أما العلم فأوتي به في القرآن ممدوحًا، قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠]، فهنا وصفهم بالمعرفة، ثم بيَّن أن معرفتهم لم تنفعهم، وقال ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣]، لكن العلم أُثني عليه في القرآن، وأما المعرفة ففي أكثر المواضع التي وردت فيها نوع ذم لها، لكن هذا ليس على إطلاقه؛ لأنه قد جاء في الحديث الصحيح الذي فيه إرسال معاذ إلى اليمن؛ أن النبي ﷺ قال له: **«فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ»**(١)، فصارت المعرفة هنا بمعنى العلم بالتوحيد كما في الروايات الأخر(٢)، لكن التعبير بالمعرفة ـ كما استعمله الشيخ رحمه الله هنا ـ صحيح؛ وذلك لأنه قد ورد الاستعمال به، وإن كان أكثر ما جاء استعمال لفظ المعرفة مذمومًا.

قال هنا: **(مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ)**؛ يعني: معبوده، **(وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ)** هذه الأصول الثلاثة هي التي سيأتي تفصيلها والجواب عليها.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢)، ولفظه: **«فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلَكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ»**.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، **وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.**

الشَّرْح

بدأ يشرح رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويُفَصِّل معرفة العبد ربه عن طريق السؤال والجواب؛ لأن هذا أوقع في النفس، وأقرب إلى التعليم.

قوله: (**فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ**) لفظ الربوبية فيه معنى التربية، رباه تربيةً، ومعنى التربية: تدريج المربى في مصاعد الكمال، كل كمال بحسبه، وأعظم أنواع التربية التي ربى بها الله عَزَّوَجَلَّ الناس أن بعث لهم الرسل يعلمونهم ويرشدونهم إلى ما يقربهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه هي أعظم نعمة، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، فأعظمُ النعم المسداة إرسال الرسل؛ ولهذا كان من أنواع التربية التي ربَّى الله عَزَّوَجَلَّ بها العالمين - أي: ربَّى بها الناس - أن بعث لهم رسلًا يبشرون وينذرون، وهناك أنواع كثيرة من التربية: تربية الأجسام، تربية الغرائز، تربية الفكر، تربية العقل، كل هذا قد مَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ على ابن آدم به، وكذلك إذا نظرت إلى أوسع من ذلك مِنْ خلق الله عَزَّوَجَلَّ الواسع.

قوله: (**الْعَالَمِينَ**)، والعالمون هم: كل ما سوى الله ﷻ، فتجد أنَّ معاني الربوبية والتربية بالنعم، والتربية في تدريجها في مدارج الكمال بما يناسبها، والله ﷻ أعلم بما يَصلح ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وتجد أن معاني الربوبية في هذا المعنى الذي هو التربية ظاهر جدًّا، أيضًا الربوبية لها معنى آخر، وهو الذي سلف من معنى توحيد الربوبية[١]، وهو اعتقاد أن الله ﷻ هو الخالق لهذا الخلق وحده، وهو الرزَّاق وحده، وهو الذي يدبر الأمر، وهو القاهر، وهو ذو الملك، إلى آخر معاني الربوبية.

قال الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، معنى: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾؛ أي: كل حمدٍ؛ لأن الألف واللام هنا للاستغراق[٢]؛ فتفيد استغراق أنواع الحمد، وكل حمدٍ موجود، أو وجد، أو يوجد، والحمد معناه: الثناء بصفات الكمال، فهذا الحمد وهو الثناء بصفات الكمال لله، واللام في قوله ﴿لِلَّهِ﴾ للاستحقاق[٣]؛ أي:

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (١/ ٨٩): «فهذه المعاني وما أشبهها من معاني ربوبيته وملكه وخلقه ورزقه وهدايته ونصره وإحسانه وبره وتدبيره وصنعه، ثم ما يتصل بذلك من أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، يبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، فهذا كله حق، وهو محض توحيد الربوبية». وانظر: مدارج السالكين (١/ ١٥٨)، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٨٩)، وتفسير القرطبي (١/ ١٣٣)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٤)، وأضواء البيان (٦/ ٢٧٦).

(٣) انظر: تفسير البغوي (١/ ٣٩)، وتفسير السمعاني (١/ ٣٥).

مُسْتَحَقًّا لله ﷻ، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: كل أنواع الحمد وجميع أنواع المحامد مستحقة لله(١).

واللام تارة تكون:

* للملك، وهذا إذا كان ما قبلها من الأعيان.

* وتارة تكون للاستحقاق(٢)، إذا كان ما قبلها من المعاني.

إذا قلت: الدار لفلان. الدار عين، فتكون الدار لفلان المالك. إذا كان ما قبل اللام معنى، صارت اللام للاستحقاق، تقول: الفخر لفلان؛ أي: الفخر يستحقه فلان. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فالحمد معنى؛ لهذا صارت اللام بعده للاستحقاق، فكل حمد مُسْتَحَقٌّ لله، الإلـٰه الذي لا يُعبد بحق إلا هو، هذا الإلـٰه نعته أنه ربُّ العالمين.

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع عالَم، والعالَم: اسم لأجناس ما يُعلم، وهو كل ما سوى الله ﷻ؛ **كما قال الشيخ** رحمه الله:

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

وَهُوَ الْحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٌ ... أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَى الْأَزْمَانِ

مَلَأَ الْوُجُودَ جَمِيعَهُ وَنَظِيرَهُ ... مِنْ غَيرِ مَا عَدٍّ وَلَا حُسْبَانِ

هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ... كُلُّ المَحَامِدِ وَصْفُ ذِي الْإِحْسَانِ

انظر: النونية بشرح ابن عيسى (٢/ ٢١٥).

(٢) قال ابن هشام: «وللام الجارة اثنان وعشرون معنى: أحدها: الاستحقاق، وهي الواقعة بين معنى وذات، نحو: الحمد لله». انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٢٧٥).

(وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ) ـ عالم الإنسان، عالَمُ الطير، عالَمُ النبات، عالَمُ الملائكة، عالَمُ الجن، عالَمُ السمٰوات، عالم الأرضين، عالمُ الماء.. إلى آخره ـ، والعالمون جمع عالَم، والعالم: كل ما سوى الله ﷻ من الأجناس المختلفة.

إذًا؛ ما دام أنك واحد من ذلك العالم فأول من يُخاطب بهذه الآية المؤمن، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فيستيقن المؤمن بتلاوته لهذه الآية ربوبية الله ﷻ له، واستحقاقه للحمد، واستحقاقه ﷻ لكل ثناء ولكل وصف بالكمالات.



فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ؛ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ والْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ[١].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٥٨).

الشَّرح

قوله: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟)، الربوبية تحتاج إلى معرفة، تحتاج إلى علم، وهذا العلم جاء في القرآن الدِّلالة عليه، قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

فالدعوة إلى النظر في الملكوت في القرآن، بِمَ يُستدل على ربوبية الله ﷻ؟ **قال الشيخ هنا: (فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ؛ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ والْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا)**، لا شك أن الليل والنهار والشمس والقمر من آيات الله، كما قال ﷻ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧]، وكذلك السمٰوات والأرض من آيات الله ﷻ، كما قال أبو العتاهية:

وَفِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[1]

والشيخ رحمه الله هاهنا فرق بين الآيات والمخلوقات، مع أنه في القرآن[2] ما يثبت أن السمٰوات والأرض من الآيات. فَلِمَ فرَّق؟ **الجواب**: إن تفريق الشيخ رحمه الله بينهما دقيق جدًّا، وذلك أن الآيات جمع آية، والآية هي البيِّنة الواضحة الدالة على

(١) انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٤/ ٣٩).

(٢) كقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٢]، وكقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٩].

المراد[(١)]، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [الشعراء: ١٥٨]؛ أي: دلالة بيِّنة واضحة على المراد منها، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]؛ أي: لدلالات واضحات بيِّنات على المراد منها، وهنا ننظر إلى أنه بالنسبة لمن سئل هذا السؤال، كون الليل والنهار والشمس والقمر آية أظهر منه عند هذا المسؤول أو المجيب من السمٰوات والأرض، لِمَ؟ لأن تلكمُ الأشياء التي وصفت بأنها آيات متغيرة متقلبة، تذهب وتجيء، أما السماء فهو يصبح ويرى السماء، ويصبح ويرى الأرض، فإِلفُه للسماء والأرض يحجب عنه كون هذه آيات، لكن الأشياء المتغيرة التي تذهب وتجيء، هذه أظهر في كونها آية، ولهذا إبراهيم الخليل عليه السلام طلب الاستدلال بالمتغيرات، قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥، ٧٦]، لِمَ؟ لأنه استدل بهذه الحركة على الحدوث، استدل بهذا التنقل على أنه آية لغيره، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ استدل بالقمر، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ استدل بالشمس؛ لأنها من المتغيرات، أما السمٰوات والأرض فهي آيات، لكنها في الواقع عند الناظر ليست مما يدل

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (١٤/ ٦١، ٦٢): «الآية العلامة، قال أبو بكر: سميت الآية من القرآن آية؛ لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام، ويقال: سميت الآية آية؛ لأنها جماعة من حروف القرآن، وآيات الله عجائب، وقال ابن حمزة: الآية من القرآن كأنها العلامة التي يفضى منها إلى غيرها؛ كأعلام الطريق المنصوبة للهداية؛ كما قال: إذا مضى عَلَمٌ منها بدا عَلَمٌ والآية العلامة». وانظر: القاموس المحيط (ص١٦٢٨)، ومختار الصحاح (ص١٥).

دلالة ظاهرة واضحة على المراد عند مثل المسؤول هذا السؤال، مع كونها عند ذوي الفهم وذوي الألباب العالية آيات، كما وصفها الله ﷻ في كتابه.

والشمس والقمر والليل والنهار متغيرات تُقبِل وتذهب، فهي آيات ودلالات على الربوبية، وهذه الأشياء لا يمكن أن تأتي بنفسها، لكن السماء ثابتة، الأرض ثابتة ينظر إلى هذه وهذه، وتلك متغيرات والتغير يثير السؤال، لِمَ ذهب؟ ولِمَ جاء؟ لِمَ أتى الليل؟ ولِمَ أتى النهار؟ لِمَ زاد الليل؟ ولِمَ نقص النهار؟ وهكذا فهي في الدلالة أكثر من دلالة المخلوقات، مع أن في الجميع دليلًا ودلالة؛ لهذا قال: **(فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِه وَمَخْلُوقَاتِهِ)**، فالآيات تدل على معرفة الله والعلم بالله، وكذلك المخلوقات تدل على العلم بالله والمعرفة بالله، لكن ما سمَّاه آيات أخص مما سمَّاه مخلوقات، وهذا جوابُ اعتراضٍ قد اعترض به بَعْضُهم على الشيخ رحمه الله في تفريقه بين الآيات والمخلوقات، وتفريقه رعاية لحال من يُعَلَّم هذه الأصول، وهو تفريق دقيق مناسب.

قال: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾)؛ أي: مما يدل عليه دلالة واضحة ظاهرة بيِّنة جلية الليل والنهار والشمس والقمر، فإن المتأمل إذا تأمل الليل والنهار، وجد هذا يدخل في هذا، وذاك يدخل في ذاك، وهذا يطول وذاك يقصر، وعلم أن الليل من حيث كونه ليلًا، والنهار من حيث كونه نهارًا، أنها أشياء لا يمكن أن تأتي بنفسها، بل هي مفعول بها.

وهنا سؤال: ظاهر الليل ما هو؟ **الجواب:** ذهاب الضوء.

وسؤال آخر: والنهار ما هو؟ **الجواب:** مجيء الضوء.

فالشمس أتت بضيائها فصار نهارًا، ولما ذهبت الشمس أتى القمر فصار ليلًا، هذا لا شك يدل على أنَّ هذه الأشياء مفعول بها، وإذا كانت مفعولًا بها، فمَنْ الذي فعلها؟ **الجواب:** سهل ميسور لأكثر الناظرين، بل لكل ناظر، ألا وهو: إن هذه تدل على أنها مُحْدَثةٌ، ولا بد لها من مُحْدِثٍ، وأن محدثها هو الذي خلقها وسيرها على هذا النحو الدقيق العجيب، وهو رب العالمين؛ لهذا قال في الآية الأخرى آية الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ﴾[1]؛ أي: يجعل الليل غشاء للنهار، وقوله: ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ هذا يذهب وهذا يطلب الآخر، فمرة يأخذ الليل من النهار، ويجذبه جذبًا ويطلبه طلبًا حاثًّا، ومرة النهار يأخذ ويطلب من الليل طلبا حاثًّا،قال: ﴿يُغْشِى﴾، مَنْ المُغْشِي والمُغَشِّي؟ **الجواب:** هو الله ﷻ.

قال ﷻ: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ذكر الربوبية في العالمين بعد ذكر هذه الأصناف من الآيات والمخلوقات.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٢٠٥)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٢٢١)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢٢١).

ثم ذَكَرَ أَنَّ معنى الربوبية هو العبادة، والدليل قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، وهذه الآية فيها أمر، وهو أول أمر في القرآن[1]، وهو أمر بعبادة الله، قال ﷻ: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ الرب وقعت عليه العبادة؛ لأنه مفعول به، اعبدوا ربكم؛ فالعابدون هم الناس، والمعبود هو الرب.

فتلخص أن: الرب هو المعبود[2]؛ لأنه قال ﷻ: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾؛ فالرب مفعول به، وهنا سؤال: ما الذي فُعِل؟ **الجواب**: هو العبادة فصار معبودًا؛ ولهذا ساق الشيخ رحمه الله عن ابن كثير رحمه الله؛ أن من فعل هذه الأشياء هو المستحق للعبادة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ...﴾ إلى آخر الآية، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله: (الذي فعل هَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ).

لهذا؛ جاء ما بعد الأمر بالعبادة؛ كقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، وهو قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ جاء تعليلًا لما سبق، لِمَ كان مستحقًّا للعبادة؟ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، كأن سائلًا سأل: لِمَ كان مستحقًّا للعبادة؟ لِمَ أمرنا أن نعبده؟ قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ...﴾ إلى آخره.

---

(١) قال الشيخ سليمان بن عبد الله ـ رحمهما الله ـ: «هذا أول أمر في القرآن، وهو الأمر بعبادته وحده لا شريك له والنهي عن الشرك»، انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٤٤)، والدرر السنية (١/ ٤٤٣).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٣٩٨)، ومدارج السالكين (٣/ ٣٦٣).

فهذه أشياء من معاني ربوبيته، وقد سبق بيان أن الربوبية تستلزم الألوهية وبهذا صارت الربوبية هنا في قوله ﷻ: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ هي العبودية، والرب هو المعبود، والفاعل لتلك الأشياء هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه؛ لأنه وحده الذي خلق، وهو وحده الذي رزق، وهو وحده الذي جعل الأرض فراشًا، وهو وحده الذي جعل السماء بناء، وهو وحده الذي أنزل من السماء ماء، والخلق جميعًا لم يعملوا شيئًا من ذلك، فالمستحق للعبادة هو الذي فعل وخلق وصنع وبرأ وصوَّر وأبدع تلك الأشياء.



وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا: مِثْلُ الْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْإِحْسَانِ وَمِنْهُ الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالاِسْتِعَانَةُ، وَالاِسْتِعَاذَةُ، وَالاِسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلِّهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

الشَّرْح

لما تقرَّر أن الربَّ هو المعبود، كان من المناسب أن تُذكر أنواع العبادة التي يعبد الله ﷻ بها، والتي يجب إفراد الله ﷻ بها.

والعبادة عُرِّفت بعدة تعريفات فعُرِّفت بأنها: **كُلُّ مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ غَيْرِ اقْتِضَاءٍ عَقْلِيٍّ، وَلَا اطِّرادٍ عُرْفِيٍّ**[١]، وهذا هو تعريف الأصوليين في كتبهم.

---

(١) انظر: الفروع (١/ ١١١)، والمبدع (١/ ١١٧)، ومؤلفات الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١/ ٩٠)، والدرر السنية (٢/ ٢٨٩، ٣١٢).
«وقيل: العبادة كل ما كان طاعة لله أو قربة إليه أو امتثالًا لأمره، ولا فرق بين أن يكون فعلًا أو تركًا. وقيل: كل ما كان طاعة لله ومأمورًا به فهو عبادة عند أصحابنا والمالكية والشافعية، وعند الحنفية العبادة ما كان من شرطها النية».
انظر: المسودة (ص٣٨). «وقيل: العبادة هو فعل المُكلَّفِ على خِلافِ هَوىٰ نفسه تعظيمًا لربه». انظر: التعريفات للجرجاني (١٨٩)، وانظر: التعاريف للمناوي (ص٤٩٨).

ومعنى ذلك: أن الشيء الذي أُمر به من غير أن يقتضي العقل المجرد الأمر به، ومن غير أن يَطَّرِدَ به يسمى عبادة.

يفسر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ للعبادة في أول رسالته العبودية حيث قال: «**الْعِبَادَةُ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرِةِ وَالْبَاطِنَةِ**»[1]. وهذا التعريف مناسب؛ لأنه:

أولًا: أيسر في الفهم.

ثانيًا: قريب المأخذ من النصوص.

فقوله: (**الْعِبَادَةُ اسْمٌ جَامِعٌ**) يجمع أشياء كثيرة، فهو جامع (**لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ**)، كيف نصل إلى أن هذا العمل أو القول يحبه الله ويرضاه؟ **الجواب**: أن يكون مأمورًا به، أو مخبَرًا عنه بأن الله عَزَّ وَجَلَّ يحبه ويرضاه.

ما أنواعها؟ **قال**: (**مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ**)؛ فهناك قول وعمل.

فإذًا؛ العبادات تنقسم إلى:

* عبادات قولية.

* وعبادات عملية.

ليس ثَمَّ قسم ثالث، فهي إما أن تكون قولية، وإما أن تكون عملية.

فقوله: (**الظَّاهِرِةِ وَالْبَاطِنَةِ**) قد يكون القول ظاهرًا، وقد يكون باطنًا، وقد يكون العمل ظاهرًا، وقد يكون باطنًا.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩).

فتحصل أن أنواع العبادات هي: **الْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ وَيَرْضَاهَا.**

والقول[١]: قد يكون باللسان، وقد يكون بالجنان.

فيدخل في قول اللسان أعمال كثيرة مما أمر الله ﷻ به، مثل الذكر والتلاوة، وقول المعروف ونحو ذلك، هذه كلها من أنواع العبادات اللسانية.

وقول القلب: هو اعتقاده[٢].

والعمل: عمل القلب وعمل الجوارح.

وهذه الأنواع التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ممثلًا بعضها من الأقوال والأعمال بعضها ظاهر، وبعضها باطن، بعضها لساني، وبعضها قلبي، وبعضها عملي قلبي، وبعضها من عمل الجوارح.

فمثلًا: الإخلاص عمل القلب، التوكل عمل القلب لا يصلح الإخلاص إلا لله ﷻ، إخلاص العبادة وإخلاص الدين لا يصلحان

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٠، ١٢/ ٤٧٢): «ويدخل في القول قول القلب واللسان، وفي العمل عمل القلب والجوارح». وانظر: عدة الصابرين (ص٨٨).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في مجموع الفتاوى (٢/ ٤٠ و٧/ ١٨٦، ٦٧٢): «وأصل الإيمان قول القلب الذي هو التصديق»، وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في مدارج السالكين (١/ ١٠٠): «حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد». وانظر: الصلاة وحكم تاركها (ص٧٠)، والدرر السنية (١/ ٤٧٩).

إلا لله ﷻ؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ١ ـ ٣]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٤].

التوكل كذلك من أعمال القلب التي ليست إلا لله، الخوف من أعمال القلب التي ليست إلا لله ـ أي: خوف العبادة ـ أما خوف السر فسيأتي إيضاحه ـ إن شاء الله ـ في موضعه، وكذلك: الرغبة، الرهبة، الإنابة، الخضوع، الذل ـ ذل العبادة ـ وخضوع العبادة، إلى آخره وسيأتي تفصيلها ـ إن شاء الله تعالى ـ.

هذه كلها من أعمال القلب، وهي داخلة في أنواع العبادة.

الأعمال الظاهرة مثل: الاستغاثة؛ وهي طلب الغوث، وطلب الغوث: طلب ظاهر، مثل الاستعانة وهي طلب العون، هذه من الأعمال الظاهرة، الذبح أيضًا من عمل الجوارح، وكذلك النذر وهو قول اللسان وعمل الجوارح، ونحو ذلك.

فهذه العبادات التي مَثَّل بها، أراد أن يشمل تمثيله أقسام العبادات القولية، والعملية، الظاهرة والباطنة، يجمعها جميعًا أنها عبادات.

والعبادةُ لا تصلح إلا لله ﷻ، العبادة الظاهرة أو الباطنة، القلبية أو اللسانية، أو التي موردها الجوارح، فهي لا تصلح إلا لله، فمن صرف شيئًا منها لغير الله فقد توجَّه بالعبادة لغير الله منافيًا لما قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، ومنافيًا لإقراره بأن معبوده هو الله ﷻ، إذا أقر العبد بأن قوله:

من ربك؟ يعني: من معبودك؟ وأن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾؛ أي: وحده دون ما سواه، فإنه إذا توجه بشيء من هذه الأنواع لغير الله عَزَّوَجَلَّ كان متوجهًا بالعبادة لغير الله، وذلك هو الشرك.

الدليل قوله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾، الدعاء هو العبادة؛ كما جاء في الحديث الذي استدل به الشيخ، وهو قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»(١)، وهو حديث أنس بن مالك، وإسناده فيه ضعف، لكن معناه هو معنى الحديث الصحيح: حديث النعمان بن بشير الذي رواه أبو داود، والترمذي وجماعة، وهو قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(٢)، هو العبادة: يعني مخ العبادة؛ لأن قوله: «**الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ**» بمنزلة قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**»(٣).

قال سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨]، لا دعاء مسألة، ولا دعاء عبادة: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾؛ أي: لا تعبدوا مع الله أحدًا، ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾، هذا نهي أن ندعو أحدًا مع الله عَزَّوَجَلَّ؛ أي: أن يعبدوا أحدًا مع الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا كان الدعاء هنا بمعنى دعاء المسألة فيكون معنى الآية: وأن المساجد لله فلا تسألوا سؤال عبادة مع الله أحدًا، لا تطلبوا طلب عبادة مع الله أحدًا. ولفظ ﴿تَدۡعُواْ﴾ يشمل: دعاء العبادة ودعاء

(١) سبق تخريجه (ص٣٧). (٢) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٣) أخرجه أبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩، ٨٩٠) والنسائي في الكبرى (٢/ ٤٢٤، ٤٣٢، ٤٦٢)، وابن ماجه (٣٠١٥)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ٣٠٩)، من حديث عبد الرحمٰن بن يعمر الديلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

المسألة، فهذه الآية دليل على وجوب إفراد الله ﷻ بالعبادة.

فإن قال قائل حين الاستدلال بها: إن الدعاء هنا هو دعاء المسألة، وغيره من أنواع العبادة التي تزعمون من الذبح والنذر ومن الاستغاثة والاستعاذة ونحو ذلك أنها لا تدخل في النهي في هذه الآية.

فيكون جوابُك: أن الدعاء في القرآن جاء بمعنيين: جاء ويراد به العبادة، وجاء ويراد به المسألة؛ فمثلًا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]، ظاهر أن الدعاء المراد به العبادة؛ لأنه قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾، وكذلك في قوله سبحانه وتعالى مخبرًا عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ [مريم: ٤٨]، قال ﷻ بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٩]، وفي الآية الأولى أخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾، ثم قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ فدلَّ على أن إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾؛ أي: وما تعبدون؛ لأن الله ﷻ قال بعدها: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾، وهذا من الأدلة الظاهرة على أن الآية هذه تشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

وقد أُورد على أئمتنا ـ رحمهم الله تعالى ـ حين قرروا التوحيد في مقالهم وفي كتبهم، أن هذه الآية إنما هي دليل للمسألة، وأما غيرها مما تَدَّعون أنه عبادة، وأن هذه الآية فيها نهي عنه كالذبح والنذر ونحو ذلك أنه لا يدخل في الآية.

فكان **الجواب**: أن الدعاء نوعان:

* دعاء عبادة.

* ودعاء مسألة.

هذا يأتي في القرآن وذاك أيضًا يأتي في القرآن، والآية تشمل النوعين؛ لأن الدعاء إذا كان في القرآن يأتي تارات لهذا وتارات لهذا، فتحديده في هذه الآية بأحد النوعين ونفي النوع الآخر، هذا نوع تحكُّم وهو ممتنع.



فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»(١).

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

الشَّرْح

هذه صلة لما سبق بيانه من أن العبادة حق لله ﷻ، وأن كل معبود سوى الله ﷻ فإن عبادته بغير الحق، وأنها بالباطل والظلم والطغيان والجور والتعدي من الخلق، فالله ﷻ هو الذي يستحق العبادة وحده دون ما سواه من خلقه.

وبعد أن ذكر أنواع العبادات التي موردها اللسان والقلب والجوارح، **قال** ﷺ: (**فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾)، قوله: (**فَمَنْ صَرَفَ**)؛ أي: من توجه بشيء من أنواع تلك العبادات لغير الله فهو مشرك كافر، يريد الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة، والشرك

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

حقيقته اتخاذ الند مع الله ﷻ، وهو المذكور في قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

والتنديد يعني(١): أن يُجعل لله مِثْل للاستحقاق، استحقاق التوجه، استحقاق العبادة، إذا جُعل لله ند، إما بالقول، أو بالعمل، فذلكم هو الشرك، وكل نوع من هذه الأنواع، وغيرُها من الأنواع التي تدخل في مسمى العبادة، صرْفها لغير الله ﷻ شرك أكبر يُخرج من الملة، وصاحبه مشرك كافر؛ إما الكفر الظاهر، وإما الكفر الظاهر والباطن معًا.

وهذا الذي ذكره وبرهن له بقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾، وقوله ﷻ هنا: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ هذا بيان لحقيقة مَنْ دُعِيَ مع الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ هذا الإلـٰه الآخر أيَّ إلـٰه كان، وهذا الداعي منعوت بأنه لا برهان له بما فعل، ولا دليل، وإنما فعل ما فعل من دعوة غير الله بتعديه، وقوله ﷻ: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ ليس مفهومه أن ثم دعوة لغير الله ﷻ لها برهان، وإنما كل دعوة لغير الله هي دعوة بغير برهان(٢).

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٣/ ٤٢٠): «الأنداد: جمع ند بالكسر، وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويناده؛ أي: يخالفه، ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله تعالى، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]». وقال الطبري في تفسيره (١/ ١٦٣): «والأنداد جمع ند والند العدل والمثل». وانظر: تفسير البغوي (١/ ٥٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ٥٩)، وفتح الباري (١٣/ ٤٩١).

(٢) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٥/ ٣٦٤): «ولا خلاف بين أهل العلم أن قوله هنا: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ لا مفهوم مخالفة له، =

والدليل على أن دعوة غير الله ﷻ كفر: قوله ﷻ في الآية نفسها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فدلَّ على أن دعاء غير الله ـ كما أنه شرك ـ إذ دُعي إلـٰه آخر مع الله ﷻ فهو كفر؛ لأنه قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

والشرك أقسام، والعلماء يُقَسِّمُون الشرك باعتبارات مختلفة.

* فتارة يُقسم الشرك إلى: شرك ظاهر وشرك خفي(١).

* وتارة يُقسم الشرك إلى: شرك أكبر وشرك أصغر.

* وتارة يُقسم إلى: شرك أكبر وأصغر وخفي(٢).

وهذه تقسيمات معروفة عند العلماء، وكل تقسيم باعتبار، وهي

= فلا يصح لأحد أن يقول: أما من عبد معه إلـٰهًا آخر له برهان به فلا مانع من ذلك، لاستحالة وجود برهان على عبادة إلـٰه آخر معه، بل البراهين القطعية المتواترة دالة على أنه هو المعبود وحده ﷻ، ولا يمكن أن يوجد دليل على عبادة غيره البتة»، وانظر: تفسير البيضاوي (٤/ ١٧١)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٦١).

(١) ومن ذلك قول ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١/ ٢٨٢): «وشركهم قسمان: شرك خفي، وشرك جلي؛ فالخفي قد يغفر، وأما الجلي فلا يغفره الله تعالى إلا بالتوبة منه، فإن الله لا يغفر أن يشرك به». وانظر: الاستقامة (١/ ٢٦٦، ٣٩٤)، وفتح الباري (١١/ ٢٧٠)، ومجموع الفتاوى (١٧/ ٤٥٨)، ومجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ـ قسم فتاوى ومسائل ـ المسألة الثانية عشرة (٢/ ٣٢).

(٢) قال الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «واعلم أن ضد التوحيد الشرك وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي»، انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢/ ٦٩).

تلتقي في نتيجة كل قسم والتعريف، لكنه اختلاف في التقسيم باعتبارات مختلفة.

فمثلًا: مَنْ يقسمون الشرك إلى ظاهر وخفي؛ أي: إلى جلي وخفي[(١)]:

فيكون الجلي منه ما هو أصغر ومنه ما هو أكبر، الجلي الظاهر الذي يُحَس، مثل: الذبح لغير الله، والنذر لغير الله فهذا جلي، هذا من نوع الشرك الأكبر، كذلك الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله هذه من نوع الشرك الجلي الأكبر، أما الحلف بغير الله سبحانه وتعالى فهو شرك جلي، ولكنه أصغر.

قَسِيمُه الشرك الخفي منه ما هو أكبر كشرك المنافقين، فإن شركهم خفي لم يظهروه وإنما أظهروا الإسلام، فما قام في قلوبهم من التنديد والشرك صار خفيًّا؛ لأنهم لم يُظهروه، فهو شرك خفي ولكنه أكبر، وهناك شرك خفي أصغر مثل يسير الرياء، فإن كان الرياء كاملًا كان ذلك شركًا أكبر كشرك المنافقين[(٢)]، وإن كان يسيرًا كتصنُّع المرء للعبادة لمخلوق مثله لغير الله، فهذا إذا كان يسيرًا فإنه شرك أصغر خفي. هذا نوع من أنواع التقاسيم.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (١/٤٧).

(٢) قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ معلقًا على كلام ابن القيم رحمه الله في تعريف الشرك الأصغر: «ففسر الشرك الأصغر باليسير من الرياء فدل على أن كثيره أكبر»، انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٤٧٢).

بعض العلماء يقول: الشرك قسمان أكبر وأصغر:

فإذا كان أكبر: قَسم الأكبر إلى جلي وخفي.

وقَسم الأصغر إلى جلي وخفي.

والأوضح أن يقسم إلى ثلاثة إلى أكبر وأصغر وخفي:

* ويكون الخفي مثلَ يسير الرياء.

* والأصغر مثل الحلف بغير الله، وتعليق التمائم ونحو ذلك.

* والأكبر مثل: الذبح والنذر والاستغاثة ودعاء غير الله ﷻ.

هذه تقسيمات للشرك قد تجد هذا أو ذاك في كلام طائفة من أهل العلم، لكن كلها محصلها واحد، وإنما التقسيم باعتبارات، وهي ملتقية في التعريف وفي النتيجة.

مُراد الشيخ رحمه الله هاهنا بقوله: **(فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ)** يريد الشرك الأكبر الذي يُخرج من الملة، فكل شيء صح عليه قيد العبادة فإن صرفه لغير الله؛ أي: التوجه به والتعبد به لغير الله فهذا كفر، مثل نداء الموتى، أو نداء الغائبين، أو خوف السر، أو الذبح لغير الله، أو النذر لغير الله، أو الاستغاثة بالأموات، أو أنواع الطلب المختلفة من الاستعانة ونحوها، أو بعض أعمال القلوب مثل الاستعاذة ونحو ذلك. هذه كلها أنواع للعبادات بعضها في القلب وبعضها للجوارح، جميعها من توجه بشيء منها لغير الله فهو مشركٌ الشركَ الأكبر الذي يخرج من الملة.

برهان ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾، وقد

سبق بيان الدعاء في القرآن، وأنه قد يكون دعاء مسألة، وقد يكون دعاء عبادة، فإذا لم يكن في الدليل قرينة تحدد أحد المعنيين، حُمل على المعنيين جميعًا؛ لأن حمل النص على أحد المعنيين دون دليل وبرهان تحكُّم في النص وذلك لا يجوز.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي الحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَة»**) مخ العبادة: لبُّها وجوهرها وهو كما جاء في الحديث الآخر الصحيح؛ حديث النعمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»(١)، وكما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.



(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

الشَّرْح

بعد ذلك شرع المؤلف ـ رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة ـ في بيان أدلة كون تلك المسائل التي ذكر من العبادات؛ كالخوف، والرجاء، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والتوكل، والذبح والنذر إلى آخره.

فكأنَّ قائلًا قال: ما الدليل على أن هذه من العبادات التي من صرَفها لغير الله ﷻ كَفر؟ فأتى رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالأدلة على ذلك، وهي في هذه المسألة على نوعين:

الأول: أن يستدل بدليل يُثبت كون تلك المسألة من العبادة، فيثبت كون الخوف من العبادة، ويثبت كون الرجاء من العبادة، فإذا ثبت كونه من العبادة استدل بالأدلة السابقة؛ كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقوله ﷺ: «**الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ**»، «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَة**»، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [غافر: ٦٠]، ونحوها من الأدلة العامة؛ بأن من توجه بالعبادة لغير الله فهو مشرك.

إذًا؛ النوع الأول متركب من شيئين:

الأول: أن يُقام الدليل على أن هذه المسألة من العبادة؛ أي: على أن الخوف من العبادة، والرجاء من العبادة.

الثاني: فإذا استقام الدليل والاستدلال على أن هذه المسألة من العبادة استدللتَ بالأدلة العامة على أن من صرف شيئًا من العبادة لغير الله فهو مشرك.

الثاني: خاص، وهو أن كل نوع من تلك الأنواع له دليل خاص، يُثبت أن صرفه لغير الله ﷿ شرك، وأنه يجب إفراد المولى ﷿ بذلك النوع من أنواع العبادة.

وهذا مما ينبغي أن يتنبه له طالب العلم في مقامات الاستدلال؛ لأن تنويع الاستدلال عند الاحتجاج على الخرافيين والقبوريين وأشباههم مما يقوي الحجة؛ فتُنوِّع الاستدلال مرة بأدلة مجملة، ومرة بأدلة مفصلة، ومرة بأدلة عامة، ومرة بأدلة خاصة حتى لا يُتوهَّم أنه ليس ثَمَّ إلا دليل واحد يمكن أن ينازع المستدل به الفهم، فإذا نوعتها صارت الحجة أقوى، والبرهانُ أجلى.

ثم بدأ الشيخ ﵀ في ذكر هذه الأدلة وبعضها من النوع الأول، وبعضها من النوع الثاني. **فقال** ﵀: (**دَلِيلُ الْخَوْفِ**)؛ أي: دليل كون الخوف عبادة: (**قوله تعالى**: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾)، فهذا الدليل على أن الخوف من غير الله منهي عنه، وأن الخوف من الله ﷿ مأمورٌ به، قال ﷿: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ نهى عن الخوف من غير الله، ثم قال: ﴿وَخَافُونِ﴾، وهذا أمر بالخوف من الله ﷿، وما دام أن الله أمر بالخوف منه فإنه يصدق على الخوف إذن تعريف العبادة؛ لأنه إذ أمر بالخوف منه؛ فمعنى ذلك: أن الخوف منه محبوب له مرضي عنده، فيصدق عليه تعريف شيخ الإسلام ﵀ للعبادة أنها: **اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.**

وما دام أن الله ﷻ أمر به فمعناه أنه يحبه؛ لأنه إنما يأمر شرعًا بما يحبه ويرضاه.

وفي هذه الآية دليل من النوع الثاني؛ وهو أن الخوف يجب أن يفرد به الله ﷻ قال هنا: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فجعل حصول الإيمان مشروطًا بالخوف منه ﷻ[1]. وهذا فيه دليل على إفراد الله ﷻ بهذا النوع من الخوف.

وهذا الخوف الذي يجب إفراد الله ﷻ به، ومن لم يفرد الله ﷻ به فهو مشرك كافر هو نوع من أنواع الخوف وليس كل أنواع الخوف، وهو أن يخاف غير الله ﷻ بما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، وهو المسمى عند العلماء خوف السر[2]؛ وهو أن يخاف أن يصيبه هذا المخوف منه بشيء في نفسه ـ في نفس ذلك الخائف ـ كما يصيبه الله ﷻ بأنواع المصائب من غير أسباب ظاهرة، ولا شيء

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في طريق الهجرتين (ص٤٢٢، ٤٢٣): «فجعل الخوف منه شرطًا في تحقيق الإيمان، وإن كان الشرط داخلًا في الصيغة على الإيمان فهو المشروط في المعنى، والخوف شرط في حصوله وتحققه، وذلك لأن الإيمان سبب الخوف الحاصل عليه، وحصول المسبب شرط في تحقق السبب؛ كما أن حصول السبب موجب لحصول مسببه، فانتفاء الإيمان عند انتفاء الخوف انتفاء للمشروط عند انتفاء شرطه، وانتفاء الخوف عند انتفاء الإيمان انتفاء للمعلول عند انتفاء علته فتدبره». وانظر: مجموع الفتاوى (١/ ٥٧)، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٤٢٩).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦)، ومجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ـ قسم الرسائل الشخصية ـ الرسالة السابعة (٣/ ٢٧)، والدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٥٦٧).

يمكن الاحتراز منه، فإن الله ﷻ له الملكوت كله، وله الملك وهو على كل شيء قدير، بيده تصريف الأمر، يرسل ما يشاء من الخير، ويمسك ما يشاء من الخير، يرسل المصائب، وكل ذلك دون أسباب يعلمها العبد، وقد يكون لبعضها أسباب، لكن هو في الجملة من دون أسباب يمكن للعبد أن يعلمها، يموت هذا، ينقضي عمر ذاك، وهذا يموت صغيرًا، وذاك يموت كبيرًا، هذا يأتيه مرض، وذاك يصيبه بلاء في ماله ونحو ذلك، فالذي يفعل هذه الأشياء هو الله ﷻ، فيُخاف من الله ﷻ خوف السر أن يصيب العبد بشيء من العذاب في الدنيا أو في الآخرة.

والمشركون يخافون آلهتهم خوف السر أن يصيبهم ذلك الإلـٰه، وذلك السيد أو الولي كما يصيبهم الله ﷻ بالأشياء، فيقع في قلوبهم الخوف من تلك الآلهة من جنس الخوف الذي يكون من الله ﷻ، يوضح ذلك أن عُبَّاد القبور وعُبَّاد الأضرحة وعُبَّاد الأولياء يخافون أشد الخوف من الولي أن يصيبهم بشيء إذا تُنُقِّص الولي، أو إذا لم يُقَم بحقه.

وقد حُكِيَ لي في ذلك حكاية من أحد طلبة العلم، أنه كان مجتازًا مرة مع سائق سيارة أجرة ببلدة (طنطا) المعروفة في مصر التي فيها قبر البدوي؛ والبدوي عندهم معظم، ويعطونه من الأوصاف بعض ما لله ﷻ، فلما اجتازا بالبلدة أتى صغير متوسط في السن يسأل صَدقة، فأعطاه شيئًا، فحلف له بالبدوي أن يعطيه أكثر، وكان من العادة عندهم أنه من حلف له مثل ذلك فلا يمكن أن يرد فلا بد أن يعطي؛ لأنه يخاف أَلَّا يقيم لذلك الولي حقَّه،

فقال هذا ـ وهو من طلبة العلم والمتحققين بالتوحيد ـ: هات ما أعطيتك. فظن ذلك أنه يريد أن يعطيه زيادة، فأخذ ما أعطاه وقال: لأنك أقسمت بالبدوي فلن أعطيك شيئًا؛ لأن القسم بغير الله شرك.

هذا مثال للتوضيح ليس من باب القصص ولكنه يُوضِح المراد من خوف السر وضوحًا تامًّا.

سائق الأجرة علاهُ الخوف في وجهه، ومضى سائقًا وهو يقول: اسْتُر اسْتُر، اسْتُر اسْتُر، فسأله ذاك قال: تخاطب من؟ قال: أنت أهنت البدوي، وأنا أخاطبه ـ أي: أدعوه ـ بأن يستر، فإن لم يستجبْ لِيَّ، فإننا نستحق مصيبة، وسيرسل علينا البدوي مصيبة؛ لأننا أهناه. وكان في قلبه خوف بحيث أنه مشى أكثر من مئة كيلو ولم يتكلم إلا بـ (اسْتُر، اسْتُر)، يقول: فلما وصلنا سالمين معافين توجهت له، فقلت: يا فلان أين ما زعمت؟ وأين ما ذكرت من أن هذا الإلـه الذي تألهونه سيفعل ويفعل؟ فتنفس الصعداء وقال: أصل السيد البدوي حليم!!!

هذه الحالة هي حالة تعلق القلب بغير الله، الذي يكون عند الخرافيين، خوف من غير الله خوف السر؛ فالبدوي ميت في قبره، وهو يخشى أن يرسل إليه أحدًا يقتله، أو تصيبه مصيبة في سيارته أو في نفسه، هذا هو خوف السر، وهذا هو الذي جاء في مثل قول الله ﷻ على لسان خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١]، فقوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾؛ لأنهم يخافون آلهتهم هذا

النوع من الخوف، لهذا تجد قلوبهم معلقة بآلهتهم؛ لأنهم يخافونهم خوف السر.

وقال ﷻ مخبرًا عن قول قوم هود حيث قالوا لهود عليه السلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤]، فهم خافوا الآلهة؛ لأنها عندهم تصيب بسوء، وكان قولهم هذا على حد زعمهم أن يخاف هذا من الآلهة أن تصيبه بسوء؛ أي: بمصيبة في نفسه فاختل عقله، أو اختلت جوارحه أو نحو ذلك، هذا النوع من الخوف هو الذي إذا صرف لغير الله ﷻ فهو شرك أكبر.

وهناك أنواع من الخوف(١):

الأول: خوف جائز ـ وهو الخوف الطبيعي ـ: أن يخاف من الأسباب العادية التي جعل الله فيها ما يخاف ابن آدم منه؛ كأن يخاف من النار أن تحرقه، أو يخاف من السبع أن يعدو عليه، أو من العقرب أن تلدغه، أو يخاف من ذي سلطان غشوم أن يعتدي عليه ونحو ذلك، هذا النوع خوف طبيعي من الأشياء، لا يُنقص الإيمان؛ لأنه مما جبل الله ﷻ الخلق عليه.

الثاني: الخوف الشركي، وهذا شرك أكبر.

الثالث: الخوف المحرم: وهو أن يخاف من الخلق في أداء واجب من واجبات الله، يخاف من الخلق في أداء الصلاة، يخاف إن قام للصلاة من مجلس يقطنه كثيرون أن يعاب، فإذا خاف هذا الخوف، فإن هذا الخوف يكون محرمًا، وفي مثله نزل قوله سبحانه وتعالى:

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٤٢٥، ٤٢٦).

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وفي قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؛ لأن الواجب أن يُجَاهَدوا، فإذا خافوهم ومنعهم خوفهم من أداء ذلك الواجب، فهذا خوف ليس مأذونًا به في الشرع وإنما هو من تَسْوِيل الشيطان كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، هذا النوع من الخوف محرم لا يجوز؛ لأن فيه تفويت فريضة من فرائض الله لأجل الخلق، خاف من غير الله لكنه ليس خوف السر، وإنما هو خوف ظاهر، وهذا محرم من المحرمات(١).

هذه أقسام ثلاثة مشهورة، وبها تجمع مسائل أقسام الخوف، والشركي منه وما ليس بشركي، وهذه المسألة مما يكثر فيها اضطراب طلاب العلم؛ لأنه ليس عندهم ضبط للخوف الذي يحصل به - إن صُرف لغير الله ﷻ - الشركُ الذي يوصف مَنْ قام به أنه مشرك، أيُّ خوف هذا؟ هو خوف السِّر، ووصفه وضبط حاله هو ما

---

(١) قال الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «وأما خوف المخلوق، فالمراد به: الخوف الذي يحملك أن تترك ما فرض الله عليك، وتفعل ما حرم الله عليك، خوفًا من ذلك المخلوق، وأما: الرجاء فلعل المراد: الذي يخرج العبد عن التوكل على الله والثقة بوعده، وكل هذه الأمور كثيرة جدًّا. وأما قولك: هل المراد به الشرك الأصغر، أو الأكبر؟ فهذا يختلف باختلاف الأحوال، وقد يتصنع لمخلوق فيخافه أو يرجوه، فيدخل في الشرك الأصغر، وقد يتزايد ذلك ويتوغل فيه حتى يصل إلى الشرك الأكبر». انظر: الدرر السنية (١٥١/٢).

سبق، فليكن طالب العلم منه على ذكر وبيِّنة في فهمه لهذه المسألة العظيمة: الخوف عبادة قلبية موردها القلب، قد يظهر أثره على الجوارح.



وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

الشَّرح

الرجاء أيضًا عبادة قلبية حقيقتها الطمع والرغبة في الحصول على شيء مرجو(١)، يرجو أن يحصل على هذا الشيء، وهو على أنواع:

النوع الأول: إن كان الرجاء لشيء ممن يملك ذلك الشيء فإن هذا رجاءٌ طبيعي، كأن أرجو أن تحضر؛ لأنه يمكنك أن تحضر، أو أرجوك أن تفعل ويمكنك أن تفعل، فهذا الرجاء ليس هو رجاء العبادة.

الثاني: هو رجاء العبادة(٢)، وهو أن يطمع في شيء لا يملكه إلا الله ﷻ؛ كأن يطمع في شفائه من مرض، أو يرجو أن يدخل الجنة وينجو من النار، أو يرجو ألا يصاب بمصيبة،

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (١٤/ ٣٠٩): «الرَّجَاءُ من الأَمَلِ: نَقِيضُ اليَأْسِ»، وقال المناوي في التعاريف (ص٣٥٦): «الرجاء: ترقب الانتفاع بما تقدم له سبب ما، ذكره الحرالي، وقال ابن الكمال: لغةً: الأمل، وعرفًا: تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلًا. وقال الراغب: ظنٌّ يقتضي حصول ما فيه مسرة».

(٢) قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ: «الرجاء فيما لا يقدر عليه إلا الله من يدعو الأموات أو غيرهم راجيًا حصول مطلوبه من جهتهم فهذا شرك أكبر». انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص٢٤).

ونحو ذلك، هذه أنواع من الرجاء لا يمكن أن تُرجى وتُطلب وتُؤمل إلا من الله عز وجل، وهذا هو معنى رجاء العبادة.

فالرجاء منه ما هو رجاء عبادة، ومنه ما ليس من العبادة، والمقصود ها هنا هو رجاء العبادة.

قال عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، هذا النوع من الرجاء امتدح الله عز وجل من قام به، قال عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ فدلَّ على أن هذا الرجاء ممدوحٌ مَنْ رجاهُ، وإذا كان قد مدحه الله عز وجل فهو مرضي عند الله عز وجل، فيصدق عليه حد العبادة من أنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، وهذا من نص هذه الآية داخل فيما يرضاه الله عز وجل؛ لأنه أثنى على من قام بذلك الرجاء.

وقوله هنا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، اللقاء فُسر بالملاقاة، وفُسر بالمعاينة، وفسر برؤية الله عز وجل؛ أي: فمن يرجو ملاقاة الله عز وجل والرجوع إليه، أو فمن كان يرجو رؤية ربه؛ لأن اللقاء يحتمل هذا وذاك، وهما تفسيران مشهوران عن السلف[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٦/ ٤٦١ ـ ٤٧٥): «أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير، وقالوا: إن لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى، واحتجوا بآيات اللقاء على من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية؛ كالمعتزلة وغيرهم، ورُوي عن عبد الله بن المبارك؛ أنه قال في قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ولا يرائي، أو قال: ولا يخبر به أحدًا، وجعلوا اللقاء يتضمن معنيين: **أحدهما**: السير إلى الملك. **والثاني**: معاينته». وانظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٩)، وفتح الباري (١١/ ٣٥٩)، وحادي الأرواح (ص١٩٨).

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

الشَّرْح

التوكل أيضًا من العبادات القلبية[1]، وحقيقته أنه يجمع شيئين[2]:

الأول: تفويض الأمر إلى الله ﷻ.

الثاني: عدم رؤية السبب بعد عمله.

والتفويض وعدم رؤية السبب شيئان قلبيان؛ فالعبد المؤمن إذا فعل السبب، وهو جزء بما تحصل به حقيقة التوكل، فإنه لا يلتفت لهذا السبب؛ لأنه يعلم أن هذا السبب لا يُحَصِّل المقصود، ولا يحصل المراد به وحده، وإنما قد يحصل المراد به وقد لا يحصل؛ لأن حصول المرادات يكون بأشياء منها:

---

(١) قال النووي رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم (٣/ ٩١): «قال الإمام الأستاذ أبو القاسم القشيري: اعلم أن التوكل محله القلب، وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد أن الثقة من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر فبتيسيره». وانظر: فتح الباري (٦/ ٨٢).

(٢) قال البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان (٢/ ٥٧): «وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله جل ثناؤه والثقة به». وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٣/ ٣٨٤): «وإنما التوكل المحمود أَلَّا يستعين بأحد في شيء، وقيل: هو قطع النظر عن الأسباب بعد تهيئة الأسباب». وانظر: الروح لابن القيم (ص٢٥٤).

* السبب.

* صلاحية المحل.

* خلو الأمر من المضاد.

فثَمَّ ثلاثة أشياء تحصل بها المرادات:

الأول: نعلم بِمَا خلق الله ﷻ خلقه عليه أن هذا السبب يُنتج المسبَّب ـ النتيجة ـ.

الثاني: صلاحية المحل لقيام الأمر به؛ أي: الأمر المراد.

الثالث: خلو المحل من المضاد له.

مثاله: الدواء، النبي ﷺ أمر بالدواء فقال: «**تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ**»[1]، فالمسلم الموحد يتناول الدواء باعتباره سببًا للشفاء، لكنه ليس علة وحيدة، بل لا يحصل الشفاء بهذا وحده، وإنما لا بد من أشياء أخر، منها:

أن يكون المحل الذي هو داخل الإنسان ـ باطن متناول الدواء ـ صالحًا لقبول ذلك الدواء، وهذا معنى قولي: أن يكون المحل صالحًا.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٣٦)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٧٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣١)، وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤٢٦)، والطبراني في الصغير (١/ ٣٣٧)، والكبير (٤٦٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٢٠)، من حديث أسامة بن شريك، وقال: (هذا حديث أسانيده صحيحة كلها على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

أو يكون السبب هذا الذي عمل خاليًا من المعارض له، فقد يتناول شيئًا وفي البدن ما يفسد ذلك الشيء، فلا يصل إلى المقصود(١).

ومنها ـ وهو الأعظم ـ أن يأذن الله ﷻ بأن يكون السبب مؤثرًا منتجًا للمسبِّب، وهذا يدل على أن فعل السبب ليس كافيًا في حصول المراد(٢).

ومن الأمثلة التي نُمَثِّلُ بها كثيرًا في هذا الباب غير مثال الدواء: رجل رام سفرًا على سيارة، فأعد العدة، وفعل أسباب السلامة جميعًا؛ من رعاية مثلًا للكابحات (الفرامل) ومن رعاية

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في الجواب الكافي (ص٣): «هاهنا أمر ينبغي التفطن له وهو أن الأذكار والآيات والأدعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المحل المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجح فيه الدواء؛ كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء لقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول».

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن هنا يعرف أن السبب المأمور به أو المباح لا ينافي وجوب التوكل على الله في وجود السبب، بل الحاجة والفقر إلى الله ثابتة مع فعل السبب إذ ليس في المخلوقات ما هو وحده سبب تام لحصول المطلوب؛ ولهذا لا يجب أن تقترن الحوادث بما قد يجعل سببًا إلا بمشيئة الله تعالى، فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فمن ظن الاستغناء بالسبب عن التوكل فقد ترك ما أوجب الله عليه من التوكل وأخلَّ بواجب التوحيد». انظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٧٩).

للإطارات ونحو ذلك، ففعل أسباب السلامة جميعًا، وسار على مهل، وفعل كل ما يمكنه أن يفعله، لكن هل هذا وحده يحصل السلامة؟ **الجواب:** لا يحصل السلامة بهذا وحده، فهناك من قد يكون معتديًا عليه، تأتيه سيارة كبيرة، ـ وبذل أسباب السلامة ـ في طريقه، ويصاب بالمصيبة من جرَّاء ذلك، فهو فعل ما يمكنه أن يفعله، لكن هناك أشياء بيد الله ﷻ تتم السلامة باجتماعها، وليس بهذا السبب الوحيد الذي عمله العبد. فلا يجوز للعبد أن يتخلى عن بذل السبب؛ لأن بذل السبب من تمام التوكل، ولكن لا يُلتفت إلى السبب؛ ولهذا قال علماء التوحيد من أئمة السلف فمن بعدهم(١): الالتفات إلى الأسباب قدح في التوكل، وقدح في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا قدح في العقل، فإذا التفت القلب إلى السبب وأنه ينتج المسبب فهذا قدح في التوحيد، لهذا نقول: التوكل هو ما يجمع شيئين:

أولًا: تفويض الأمر إلى الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ هو الذي بيده الملك.

الثاني: عدم رؤية السبب الذي فُعل.

إذًا؛ لا بد من فعل السبب، ويقوم بالقلب عدم رؤية لهذا السبب أنه ينتج المقصود وحده، وإنما يعلم أنه جزء مما ينتج

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا تغيير في وجه العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع» انظر: منهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ٣٦٦)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٧٠، ١٣٨).

المقصود، والباقي على الله ﷻ ثم يفوض الأمر لله ﷻ، فهذا ينتج لك أن التوكل عبادة قلبية محضة؛ ولهذا صار صرفه لغير الله ﷻ شركًا، بمعنى أن يفوض الأمر لغير الله ﷻ؛ كما يقول بعض مشايخ الصوفية لبعض مريديهم: إذا أُصبت بمصيبة فاذكرني فإني أخلصك منها. (**اذكرني**)؛ أي: يقوم بقلب ذلك المتذكِّر ذلك المذكور، وإذا قام به فسيخلصه من ذلك الشيء، فمعناه أنه فوض الأمر إليه، وصار متوكلًا على غير الله ﷻ، وهذا هو حقيقة ما يفعله المشركون في الجاهلية ومن شابههم ممن بعدهم.

قال رحمه الله: **وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾** ففي هذه الآية الأمر بالتوكل، وما دام أنه أمر به فهو عبادة؛ لأن العبادة ما أُمر به من غير اقتضاء عقلي ولا اطراد عرفي، وما دام أنه أمر به فهو راض له أن يُتوكل عليه، وهذا معنى كونه عبادة، ثم أيضًا في هذا الدليل أنه جعل التوكل شرطَ الإيمان، فقال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، فمعنى ذلك: أنه لا يحصل الإيمان إلا بالتوكل على الله وحده. وأيضًا قدم الجارَّ والمجرور فقال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾، وتقديم ما حقه التأخير في علم المعاني يفيد الحصر والقصر، أو يفيد الاختصاص، وهنا يفيدهما؛ يفيد الاختصاص، ويفيد القصر والحصر، فمعنى هذه الآية: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ يعني: احصروا توكلكم في الله، اقصروا توكلكم على الله إن كنتم مؤمنين، خُصُّوا الله بتوكلكم إن كنتم مؤمنين، والدليل في هذه الآية مركب من نوعي الدليل اللذين سبق ذكرهما:

النوع الأول: إثبات أن هذا الأمر عبادة.

الثاني: إثبات أن هذه العبادة لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ بدليل خاص، فهو المستفاد من قوله ﷻ: ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، وكذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ هذه الآية فيها الثناء على من يتوكل على الله، ففيها الدليل على أن التوكل على الله عمل يحبه الله ويرضاه، ومعنى ذلك أنه من أنواع العبادات، هذا هو توكل العبادة.

وهناك شيء آخر ليس من توكل العبادة، وهو **التوكيل**، وهو المعروف في باب الوكالة عند الفقهاء[(١)]، وكَّلت فلانًا في أمري، وكما جاء في الحديث: «**كَانَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ** رضي الله عنه **يَكْرَهُ الْخُصُومَةَ، فَكَانَ إِذَا كَانَتْ لَهُ خُصُومَةٌ وَكَّلَ فِيهَا عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ**»[(٢)] هذا من باب الوكالة، وهو شيء آخر غير التوكل، التوكيل والوكالة باب آخر، أما التوكل فهو عبادة قلبية، يضبط ذلك أن الوكالة فيها المعنى الظاهر، فيها شيء ظاهر، أما التوكل فهو عمل قلبي.

ولهذه الجمل مزيد تفصيل لكن المقام يضيق عن تفصيلات ما يتعلق بهذه الأنواع من العبادات، وتفصيلها في كتاب التوحيد؛ لأن كل واحدة منها عُقد لها باب في كتاب التوحيد.

---

(١) قال البهوتي في الروض المربع (٢/ ٢٣٩): «الوكالة بفتح الواو وكسرها: التفويض، تقول: وكَّلت أمري إلى الله؛ أي: فوضته إليه، واصطلاحًا: استنابة جائز التصرف مثله فيما تدخله النيابة»، وقال المناوي في التعاريف (ص٢١٧): «التوكيل إقامة الغير مقام نفسه في تصرف تملكه». وانظر: التعريفات للجرجاني (ص٩٧).

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٦/ ٨١).

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ والْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠].

الشَّرح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ والرَّهْبَةِ والْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾. هذه الآية فيها المسارعة للخيرات، والدعاء رغبًا ورهبًا، ووَصَف حالهم بأنهم كانوا خاشعين لله، ففيها أنواع من العبادات، ذكر الشيخ منها بالاستدلال: الرغبة والرهبة والخشوع.

ووجه الاستدلال من الآية: أن الله عَزَّوَجَلَّ أثنى على الأنبياء والمرسلين الذين ذكرهم في سورة الأنبياء، التي هذه الآية في أواخرها بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾؛ أي: كانوا يدعوننا ذوي رغبة ورهبة وخشوع، وهذا في مقام الثناء عليهم ـ الثناء على الأنبياء والمرسلين ـ، وما دام أنه أثنى عليهم فإن هذه العبادات من العبادات المَرْضِية له فتدخل في حد العبادة.

وهنا الرغبة: رجاء خاص[1].

---

(١) قال الخطابي في غريب الحديث (١/٤٠٧): «أصلُ الرغبةِ الحرصُ والسؤالُ، =

والرهبة: خوف خاص، ووَجَلٌ خاص[1].

والخشوع: هو التطامن، والذل[2].

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾؛ أي: ليس فيها حركة للنبات، ليس فيها حياة، متطامنة ذليلة: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]، فالخشوع سكون فيه ذل وخضوع، هذا الخشوع الذي هو نوع من أنواع العبادة، وتلك الرغبة والرهبة هذه من العبادات القلبية التي يظهر أثرها على الجوارح.

لو تأملت أو رأيت حال المشركين عند آلهتهم، أو حال عباد القبور ـ مثلًا ـ عند أوثانهم لوجدت أنهم في خشوع، ليسوا عليه في مساجد الله ليس فيها قبر ولا قبة، وهذا مشاهد، فإنه يكون عندهم وَجَلٌ خاص، ورهبة، ومزيد رجاء وهو الرغبة، وخشوع وتطامن وعدم حركة وسكون في الجوارح والأنفاس، وحتى في الألحاظ وهي الرؤية، وهذا كله مما لا يسوغ أن يكون إلا لله؛ لأنَّ المسلم في صلاته إذا صلى فإنه يقوم به الرغبة والرهبة المستفادة من

= ومِنْ هذا قولُ الداعي: اللَّهُمَّ إني أرغبُ إليك في كذا؛ أي: أسألك بحرصٍ وفاقةٍ». وانظر: لسان العرب (١/ ٤٢٢)، والتعاريف للمناوي (ص٣٦٨).

(١) قال أبو السعادات في النهاية في غريب الأثر (٢/ ٢٨٠): «الرهبة: الخوف والفزع». وانظر: لسان العرب (١/ ٤٣٦).

(٢) قال ابن منظور، في لسان العرب (٨/ ٧١): «خَشَعَ يَخْشَعُ خُشُوعًا واخْتَشَعَ وتَخَشَّعَ: رمى ببصره نحو الأرض وغضه وخفض صوته»، وقال: «وقيل: الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن وهو الإقرار بالاستخذاء، والخشوع في البدن والصوت والبصر؛ كقوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ٢٠]»، وقال: «والتخشع لله الإخبات والتذلل».

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣، ٤]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تفتح له باب الرغبات وباب الرجاء، و﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ تفتح عليه باب الرهبة، باب الخوف من الله عَزَّ وَجَلَّ، فتأتي عبادته حال كونه راغبًا راهبًا، والخشوع سكونه وخضوعه وعدم حراكه في صوته وفي عمله، هذا لله عَزَّ وَجَلَّ في عبادة الصلاة، والخشوع يكون بالصوت، ويكون بالأعمال[١] كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ [طه: ١٠٨]، فالهمس لا ينافي الخشوع في الصوت، وهذه حال المصلي حين يناجي ربه عَزَّ وَجَلَّ، فهو في حال رغبة ورجاء، وفي حال رغبة ورهبة، وفي حال خشوع لربه عَزَّ وَجَلَّ، يزيد هذا في القلب، وربما غلب عليه حتى نال المقامات العالية في تلك العبادة، وربما قلَّ وَضَعُف حتى لم يُكتب له من صلاته إلا عشرها أو تسعها[٢]، هذا لأنه من أنواع العبادات التي يحبها الله عَزَّ وَجَلَّ ويرضاها.

فإذًا؛ وجه الاستدلال: أن الله عَزَّ وَجَلَّ أثنى على أولئك الأنبياء والمرسلين؛ لأنهم ذوو رغب، ذوو رهب، ذوو خشوع لله عَزَّ وَجَلَّ، وبالأخص هذا الدليل العام.

---

(١) قال ابن الأثير: «والخشوع في الصوت والبصر كالخضوع في البدن». انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٤).

(٢) كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٧٩٦)، والنسائي في الكبرى (١/ ٢١١)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ٣٢١) من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثُمْنُهَا سُبْعُهَا سُدْسُهَا خُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا**».

وبالدليل الخاص في الخشوع وحده، قال ﷻ: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ وكما سبق بيانه أن الجارَّ والمجرور هنا قُدم على ما يتعلق به وهو اسم الفاعل (خاشع)؛ لأن الجارَّ والمجرور يتعلق بالفعل، أو ما فيه معنى الفعل، فهو اسم الفاعل، أو اسم المفعول، أو ما أشبهه من مصدر، ونحو ذلك. وهنا قال ﷻ: ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ أصل سياق الكلام: كانوا خاشعين لنا، فلما قدم ما حقه التأخير كان ذلك مفيدًا للاختصاص وللحصر وللقصر كما هو معلوم في علم المعاني.



وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

الشَّرح

حقيقة الإنابة الرجوع(١)؛ رجوع القلب عما سوى الله ﷻ إلى الله ﷻ وحده، والإنابة إذا كان معناها الرجوع، فإن القلب إذا توجه إلى غير الله ﷻ قد يتعلق به، ويكون ذلك القلب في تعلقه تاركًا غير ذلك الشيء، وراجعًا ومنيبًا إلى ذلك الشيء كما يحصل عند الذين يتعلقون بغير الله؛ تتعلق قلوبهم بالأموات والأولياء أو بالأنبياء والرسل أو بالجن ونحو ذلك، فتجد قلوبهم قد فُرِّغت إما على وجه التمام، أو على وجه كبير من التعلق إلا من ذلك الشيء، هذا الذي يسمى الإنابة، فأَنَابَ؛ أي: ترك غيره ورجع إليه.

وهذا الرجوع ليس رجوعًا مجردًا، ولكنه رجوع للقلب مع تعلقه ورجائه، فحقيقة الإنابة أنها لا تقوم وحدها، فالقلب المنيب إلى الله ﷻ إذا أناب إليه فإنه يرجع، وقد قام به أنواع من العبودية

---

(١) قال أبو السعادات في النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٢٢): «الإنابة الرجوع إلى الله بالتوبة، يقال: أناب ينيب إنابة فهو منيب: إذا أقبل ورجع»، وقال الجرجاني في التعريفات (ص٥٥): «الإنابة إخراج القلب من ظلمات الشبهات، وقيل: الإنابة الرجوع من الكل إلى من له الكل، وقيل: الإنابة الرجوع من الغفلة إلى الذكر ومن الوحشة إلى الأنس». وانظر: لسان العرب (١/ ٧٧٥).

منها: الرجاء والخوف والمحبة ونحو ذلك، فالمنيب إلى الله ﷻ هو الذي رجع إلى الله ﷻ عما سوى الله ﷻ، ولا يكون رجوعه هذا إلا بعد أن يقوم بقلبه أنواع من العبوديات أعظمها المحبة والخوف والرجاء، محبة الله، الخوف من الله، الرجاء في الله.

فإذًا؛ الإنابة صارت عبادة بهذا الدليل، وسيأتي بيان وجه الاستدلال، وأيضًا لأنها شيء متعلق بالقلب، ولأنها لا تقوم بالقلب إلا مع أنواع أخر من العبوديات، ولهذا استدل له بقوله ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ ووجه الاستدلال: أن الله ﷻ قال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ فأمر بالإنابة، وإذ أمر بها فمعنى ذلك أنه يحبها ويرضاها ممن أتى بها، فهي إذًا داخلة في تعريف العبادة سواء عند الأصوليين، أو عند شيخ الإسلام رحمه الله، وهذا الدليل العام على كونها من العبادة.

وهناك أدلة عامة تدلُّ على أن أي نوع من العبادة لا يجوز أن يُتوجه به لغير الله، ومن توجه به لغير الله ﷻ فقد كفر، ومن هذه الأدلة قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وغير ذلك، وقوله ﷺ: **«الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»**[1]، **«الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»**[2]، ونحو هذه الأدلة.

وهناك دليل خاص في أنه يجب إفراد الله ﷻ بالإنابة، وذلك

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٧).

في قوله ﷻ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، قالها شعيب ﵇، وأخبر الله ﷻ بها عن شعيب ﵇ في معرض الثناء عليه، قال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [هود: ٨٨]؛ عليه وحده لا غيره توكلت، فوَّضت أمري وأخليت قلبي من الاعتماد على غيره، ومجيء الجارّ والمجرور متقدمًا على ما يتعلق به وهو الفعل دل على وجوب حصرها وقصرها واختصاصها بالله ﷻ، ثم قال: ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ فقال: إليه وحده لا إلى سواه أنيبُ؛ أرجعُ محبًّا راجيًا خائفًا عن كل ما سوى الله ﷻ إلى الله وحده، فلما قدم الجارّ والمجرور على ما يتعلق به وهو الفعل دل على أن هذه العبادة ـ وهي الإنابة ـ مختصة بالله ﷻ، وهذا أتى في معرض الثناء على شعيب ﵇، وهناك أدلة أخرى.

فإذًا؛ هذه المسألة مع غيرها، أحيانًا يورد الشيخ دليلًا عامًّا على كونها من العبادة، وأحيانًا يورد دليلًا خاصًّا في أنه يجب إفراد الله ﷻ بها، والحمد لله ما من مسألة من مسائل العبادة القلبية أو العملية ـ أعني: عمل الجوارح، أو عمل القلب، أو عمل اللسان ـ إلا وثَمَّ دليل عام على أنها من العبادة، وثَمَّ دليل خاص على أن من صرفها لغير الله ﷻ فقد أشرك، وهذا والحمد لله بيِّن ظاهر، وهذا التوحيد في بيانه ووضوحه وظهور براهينه وأدلته وآياته مما هو بمكان واضح ظاهر، لا يكون معه بعد ذلك حجة للمخالفين، الذين تنكبوا هذا الطريق، ولم يسلموا وجوههم لله ﷻ، ويخلصوا دينهم لله ﷻ وحده.

۞ ۞ ۞

وَدَلِيلُ الاِسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، **وَفِي الْحَدِيثِ «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»**(١).

الشَّرح

ثم ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الاستعانة بعدما ذكر الإنابة حيث **قال**: **وَدَلِيلُ الاِسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، هذا دليل عام في العبادات جميعًا، حيث قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، و(إِيَّاكَ) ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم، وأصل الكلام (نَعْبُدُ إِيَّاكَ)، ومن المعلوم أن المفعول به يتأخر عن فعله، فإذا قُدِّم كان ثَمَّ فائدة في علم المعاني من علوم البلاغة، ألا وهي أنه يُفيد الاختصاص(٢)، وطائفة من البلاغيين يقولون: يفيد الحصر والقصر(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وقال: (حديث حسن صحيح)، وأحمد في المسند (١/ ٢٩٣)، والطبراني في الأوسط (٥/ ٣١٦)، والكبير (١١٢٣٤)، وأبو يعلى (٤/ ٤٣٠)، وعبد بن حميد (١/ ٢١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢١٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في فتح القدير (١/ ٢٢): «إِيَّا وما يلحقه من الكاف والهاء والياء هي حروف لبيان الخطاب والغيبة والتكلم، ولا محل لها من الإعراب؛ كما ذهب إليه الجمهور، وتقديمه على الفعل لقصد الاختصاص، وقيل: للاهتمام، والصواب: أنه لهما، ولا تزاحم بين المقتضيات».

(٣) قال الكلبي في التسهيل (١/ ٣٣): «الفائدة العاشرة: إياك في الموضعين مفعول بالفعل الذي بعده، وإنما قدم ليفيد الحصر، فإن تقديم المعمولات يقتضي =

وعلى العموم الخطب يسير، يفيد الاختصاص أو يفيد الحصر والقصر، وهنا أفاد أن العبادة خاصة بالله ﷻ.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ أي: لا نعبد الا أنت، ثم قال بعدها ـ وهو مراد الشيخ بالاستدلال ـ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهذه الآية من سورة الفاتحة، السورة العظيمة التي هي أم القرآن، التي يرددها المسلمون في صلواتهم، فيها إفراد الله ﷻ بالعبادة، وعقد العهد والإقرار على النفس بأن القائل لتلكَ الكلماتِ لا يعبد الا الله ﷻ.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كذلك لا يستعين إلا بالله ﷻ، ووجه الاستدلال: أنه قدم الضمير المنفصل الذي هو في محل نصب مفعول به على الفعل الذي هو العامل فيه، وتقديم المعمول على العامل يفيد الاختصاص، أو يفيد الحصر والقصر.

فإذًا؛ هنا أثبت أنها عبادة، وأثبت أنه لا يجوز صرفها لغير الله إذ هي مختصة بالله ﷻ.

وهنا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وجماعة من أهل العلم: (**إن العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله**)[1]. مع أن جنس الاستعانة قد يكون من الربوبية؛ يعني: طلب الإعانة هو طلب لمقتضيات الربوبية؛ لأن الله ﷻ هو مدبر الأمر، ﴿إِيَّاكَ

= الحصر». وانظر: تفسير أبي السعود (١/ ٩)، وتفسير البيضاوي (١/ ٢١)، وأضواء البيان للشنقيطي (١/ ٧).

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص٢٥٩)، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص١٥٨).

نَعۡبُدُ﴾ هذا فيه معنى الألوهية، ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ طلب الإعانة من الله، استعانة المسلم بالله فيها طلب لمقتضى الربوبية، ومن حيث كون الاستعانة طلبًا صارت عبادة؛ ولهذا قال: **إن العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله**، وهذا لأجل أن العبادة إذا صرفت لغير الله ﷻ يكون معها تحول في القلب، وهو المضغة التي «**إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ**»(١)؛ أي: صلح العمل كله، فإذا توجه بقلبه لغير الله في عبادته صار قلبه فاسدًا، ومقتضيات الربوبية أحيانًا تطرأ، ولهذا الإشراك في الإلـٰهية في بعض أوجهه أعظم من إنكار بعض أفراد الربوبية.

ألم تر ذلك الرجل من بني إسرائيل الذي قال في وصيته: «**إِذَا أَنَا مُتُّ، فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي، لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا**»(٢). وغفر الله ﷻ له؛ لأنه شك في بعض أفراد القدرة والتي هي راجعة إلى شيء من معنى الربوبية.

كذلك قال ﷻ عن حواريي عيسى عليه السلام: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ [المائدة: ١١٢]، وأُجيبوا ولم يؤاخذوا بكلمتهم تلك؛ لأنها شك في بعض أفراد القدرة، وهذا راجع إلى شك في بعض مقتضيات الربوبية، أما العبادة لغير الله ﷻ فهي التي لا يُقبل من أحد أن يصرف شيئًا منها لغير الله، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨١، ٧٥٠٦)، ومسلم (٢٧٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ١١٦]، وعيسى عليه السلام قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال عز وجل لعيسى عليه السلام في آخر السورة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْۚ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧] إلى آخر الآيات.

فالمقصود من هذا: أن ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله وجماعة: **إن العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله**، هذا صحيح ومتَّجه؛ ولهذا قدمت في سورة الفاتحة العبادة على الاستعانة؛ لأنها أعظم شأنًا وأجل خطرًا؛ لأنها هي التي وقع فيها الابتلاء، ولهذا كان حريًّا بأهل الإيمان أن يعتنوا بأمر إخلاص القلب لله عز وجل، وتوجُّه المرء في عباداته وعبودياته لله وحده دونما سواه.

ثم قال الشيخ رحمه الله: (**وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»**) وجه الاستدلال: أن الأمر بالاستعانة بالله رُتِّبَ على إرادة الاستعانة، فقوله صلى الله عليه وسلم: «**إِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»؛ يعني: إذا كنت متوجهًا للاستعانة فلا تستعن بأحد إلا بالله؛ لأن الأمر جاء في جواب الشرط، قال: «**إِذَا اسْتَعَنْت**»، (**إذا**) هذه شرطية غير جازمة، و(**اسْتَعَنْت**) هذا فعل الشرط، (**إِذَا اسْتَعَنْت**) إذا حصل منك حاجة للاستعانة فاستعن ـ هذا الأمر ـ فاستعن بالله، فلما أمر به علمنا أنه

من العبادة، ثم لما جاء في جواب الشرط صار مُتَرَتِّبًا على ما قبله مما يفيد الحصر والقصر.

ما معنى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟ ما حقيقة الاستعانة؟ الاستعانة: طلب العون؛ لأن كثيرًا فيما أوله السين والتاء يدل على الطلب، استعان، استغاث، استسقى ونحو ذلك، استعان: طلب الإعانة. استغاث: طلب الغوث.

استعاذ: طلب العوذ، استسقى: طلب السقيا ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ [البقرة: ٦٠]، وإذ طلب موسى عليه السلام السقيا لقومه، **هذا نوع**.

* **النوع الثاني**؛ تأتي استفعل ويراد بها الفعل بدون طلب؛ كقوله عز وجل: ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦]، في أمثال ذلك.

المقصود: أن كثيرًا ما يأتي استفعل بطلب الفعل، هنا استعان طلب العون، استعاذ طلب العوذ، استغاث طلب الغوث، وهكذا.

فإذا كانت الاستعانة جميعًا في معنى الطلب، أو فيها معنى الطلب، يصلح دليلًا لها كل ما فيه وجوب إفراد الله عز وجل بما يحتاجه المرء في طلباته، فأي دليل فيه وجوب إفراد الله عز وجل بالدعاء يصلح دليلًا بإفراد الله عز وجل بأنواع الطلب ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] يصلح دليلًا للاستغاثة والاستعاذة والاستعانة ونحو ذلك.



وَدَلِيلُ الاِسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١].

الشَّرح

الاستعاذة: هي طلب العوذ، وأعوذ: معناها ألتجئُ وأعتصمُ وأتحرز، تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، معناها: ألتجئ وأعتصم وأتحرز بالله من شر الشيطان الرجيم، فإذًا؛ الاستعاذة طلب العوذ، طلب المعتصَم، طلب الحِرز، طلب ما يعصم، طلب ما يحمي، هذه الاستعاذة.

وهي ظاهرة من حيث كونها طلبًا، ومن حيث كونها فيها الاعتصام والالتجاء والتّحرُّز صارت عبادة قلبية؛ ولهذا قال كثير من أهل العلم: **إن الاستعاذة عبادة قلبية.**

وطلب العوذ يكون باللسان بقول أحد لآخر: أعوذ بك، أعذني، ونحو ذلك. ولكنها تقوم بالقلب؛ أي: يقوم بالقلب الاعتصام بهذا المطلوب منه العوذ، يقوم بالقلب الالتجاء لهذا المطلوب منه العوذ، يقوم بالقلب التحرز بهذا المطلوب منه العوذ، فإذا قام بالقلب هذه الأشياء وهذه الأمور صار مستعيذًا ولو لم يُفصح لسانه بطلب العوذ؛ أي: أنها عبادة قلبية؛ لأن حقيقتها طلب العوذ، فإذا قام بالقلب اعتصامه بالله، واحترازه وتحرُّزُه بالله، والتجاؤه إلى الله من شر من فيه شر، صار ذلك استعاذة، قد يُفصح اللسان عنها، بقول: اللَّهُمَّ أعذني من مُضِلَّات الفتن، أو أعوذ بالله

من الشيطان الرجيم، أو أعوذ برب الفلق، أو أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ أي: ألتجئ وأعتصم وأتحرز بكلمات الله الكونية التامة التي لا يلحقها نقص من شر كل من فيه شر، مما خلقه الله ﷻ ونحو ذلك.

لأجل هذا المعنى قال جمع من أهل العلم: **إنه لا يجوز أن يقول قائل: أعوذ بالله ثُم بك؛** وذلك لأن العوذ عبادة قلبية، وهذا هو الصحيح، فإن العوذ إذا قيل: أعوذ بالله ثم بك، الاستعاذة عمل قلبي بحت، لهذا لا يصلح أن يتعلق بغير الله ﷻ.

وقال آخرون من أهل العلم: **الاستعاذة طلب اللجوء والاحتراز والاعتصام،** وقد يكون المطلوب منه يمكن ويملك أن يعطي هذا معتصمًا، وأن يقيه شرًّا، فمثلًا: يأتي واحد من الناس إلى قوي من الناس، أو كبير، أو ملك، أو أمير، أو رئيس قبيلة، أو نحو ذلك، فيقول له: أعوذ بك، أو أعوذ بالله ثم بك من شر هذا الذي أتاني، رجل مثلًا يأتي يطلبه بشيء، يقولون: هذا يمكن أن يكون؛ أي: أن يقيه شرًّا كأن يمنعه ممن يريد به سوءًا، يمكن أن يكون مما يقدر عليه البشر، فإذا كان بهذا المعنى يجوز أن يقول للمخلوق: **أعوذ بالله ثم بك**[1].

---

(١) أخرج عبد الرزاق في مصنفه (١١/٢٧)، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص١٩٤) «أن إبراهيم النخعي رحمه الله كان يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك حتى يقول: ثم بك». وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه ـ كتاب الأيمان والنذور، قال: (باب لا يقول: ما شاء الله وشئت، وهل يقول: أنا بالله ثم بك)، انظر: فتح الباري (١١/ ٥٤٠، ٥٤١).

ولكن قَول أعوذ بك، هذا أبعد في الإجازة، وأما قول أعوذ بالله ثم بك، فمن راعى المعنى الظاهر، وإمكانَ المخلوق أن يعيذ، صححه وقال: لا بأس أن يقول: أعوذ بالله ثم بك. ولكن الأظهر أن العوذ عبادة قلبية، وأنها إنما تكون بالله ﷻ، وهذا على نحو ما مر معنا؛ كقول: توكلت على الله ثم عليك ونحو ذلك، فمن أهل العلم من يجيز مثل هذه الألفاظ مع أن أصلها عمل قلبي، عبادة قلبية، مراعيًا الظاهر ما يراعي تعلق القلب، مُراعيًا الحماية الظاهرة، مُراعيًا التحرز الظاهر، مُراعيًا الاعتصام الظاهر، ومنهم من لم يجزْها مراعيًا أنها عبادة قلبية، وأنك إذا أجزتها في الظاهر فإنه قد يكون تبعًا لتلك الإجازة تعلق القلب عند من لا يفهم المراد.

وهما قولان مشهوران حتى عند مشايخنا المفتين في هذا الوقت ومن قبل.

والاستعاذة: هي طلب العوذ من شيء فيه شر، لهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ١ ـ ٤]؛ فالاستعاذة مما فيه شر، يقابلها: اللياذ[١]، واللوذ يكون مما فيه خير، فيُقال: ألوذ بك. إذا كنت مؤملًا خيرًا تقول لربك ﷻ: ألوذ بك، وإذا كنت خائفًا من شر تقول: أعوذ بك. وهكذا.

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (١٦/١): واللياذ لطلب جلب الخير، كما قال المتنبي:

يَـا مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ فِـيـمَـا أُؤَمِّـلُـهُ ... وَمَـنْ أَعُـوذُ بِـهِ مِـمَّـا أُحَـاذِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ ... وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

قال: (وَدَلِيلُ الاِسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾)، وجه الاستدلال: أن الله عَزَّ وَجَلَّ أمر نبيَّه الكريم أن يستعيذ برب الناس، وما دام أنه أمر بها فهي عبادة؛ لأنه لا يأمر إلا بشيء يحبه ويرضاه، كذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] أمر بالاستعاذة به فدلَّ على أنها عبادة.



وَدَلِيلُ الاِسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

الشَّرْح

الاستغاثة(١): طلب الغوث، والغوث يُفسر بأنه الإغاثة، والمدد، والنصرة، ونحو ذلك، فإذا وقع ـ مثلًا ـ أحدٌ في غرق ينادي: أَغثني أغثني، يطلب الإغاثة، يطلب إزالة هذا الشيء، يطلب النصرة.

والاستغاثة عبادة، ووجه كونها عبادة أن الله ﷻ قال هنا: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، ووجه الاستدلال: أنه أتى بها في معرض الثناء عليهم، وأنه رتّب عليها الإجابة، وما دام الله ﷻ رتَّب على استغاثتهم به إجابته ﷻ دلَّ على أنه يحبها، وقد رضيها منهم، فنتج من ذلك أنها من العبادة.

و(إِذْ) هنا في قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾؛ يعني: حين

---

(١) قال أبو السعادات في النهاية في غريب الأثر (٣/ ٣٩٢): «الغواث بالفتح كالغياث بالكسر من الإغاثة الإعانة وقد أغاثه يغيثه، وقد رُوي بالضم والكسر، وهما أكثر ما يجيء في الأصوات؛ كالنباح والنداء، والفتح فيها شاذ»، وقال النسفي في تفسيره (٢/ ٥٧): «واستغاثتهم أغثنا وهي طلب الغوث وهو التخلص من المكروه»، وقال ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٧٦٦): «ومعلوم أن الاستغاثة إنما تكون بعد الذعر فالذعر شرط فيها». وانظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٧٠)، وتيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص١٨٠).

تستغيثون ربكم ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾، وتلاحظ أنَّ الآية هنا ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ وقبلها ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾؛ فالاستعاذة والاستعانة ونحو ذلك، تتعلق بالربوبية كثيرًا؛ لأن حقيقتها من مقتضيات الربوبية، من الذي يُغيث؟ **الجواب:** هو المالك، هو المدبر، هو الذي يُصرِّف الأمر، وهو ربُّ كل شيء ﷻ.

الاستغاثة عمل ظاهر، ولهذا يجوز أن يستغيث المرء بمخلوق، لكن بشروطه، وهي: أن يكون هذا المطلوب منه الغوث حيًّا، حاضرًا، قادرًا، يسمع، فإذا لم يكن حيًّا بأن كان ميتًا صارت الاستغاثة بهذا الميت كفرًا.

قلنا: أن يكون **حيًّا حاضرًا قادرًا يسمع،** فإذا لم يكن حيًّا كان ميتًا، فإذا كان ميتًا واعتقد المستغيث أنه يسمع وأنه قادر، فإن الاستغاثة به شرك؛ لأن الأموات جميعًا لا يقدرون على الإغاثة، لكن قد يقوم بقلوب المشركين بهم أنهم يسمعون، وأنهم أحياء مثل حال الشهداء، وأنهم يقدرون مثلما يُزْعَم في حال النبي ﷺ ونحو ذلك، فنقول: إذا كان ميتًا فإنه لا يجوز الطلب منه.

قالوا: فما تقولون فيما يحصل يوم القيامة من استغاثة الناس بآدم عليه السلام، ثم استغاثتهم بنوح عليه السلام، إلى أن يستغيثوا بنبينا محمد ﷺ؟ نقول: هذا ليس استغاثة بأموات، يوم القيامة هؤلاء أحياء، يُبعث الناس ويُحيَوْن من جديد، كانوا في حياة ثم ماتوا ثم أعيدوا إلى حياة أخرى، فهي استغاثة بمن؟ **الجواب:** بحي، حاضر، قادر، يسمع. يتبين بهذا أنه ليس فيما احتجوا به من حال أولئك الأنبياء

يوم القيامة حُجة على جواز الاستغاثة بغير الله ﷻ[1].

والاستغاثة بغير الله ﷻ أعظم كفرًا من كثير من المسائل التي صَرْفها لغير الله ﷻ شرك[2].

إذًا فالشروط:

الأول: أن يكون حيًّا: فإذا كان ميِّتًا لا يجوز الاستغاثة به.

الثاني: أن يكون حاضرًا: فإذا كان غائبًا لا يجوز الاستغاثة به، حي قادر لكنه غائب، مثل: لو استغاث بجبريل عليه السلام فليس بحاضر.

فالحي القادر قد يُطلب منه ما يقدر عليه، ولكنه ليس بحاضر[3].

---

(١) انظر: الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (١/ ٢٤٥). وانظر: كشف الشبهات للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بحاشية العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله لما تكلم عن الفرق بين الاستغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر والاستغاثة بغيره (ص٨٨، ٨٩).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد نص غير واحد من العلماء على أنه لا يجوز السؤال لله بالأنبياء والصالحين، فكيف بالاستغاثة بهم؟ مع أن الاستغاثة بالميت والغائب مما لا نعلم بين أئمة المسلمين نزاع في أن ذلك من أعظم المنكرات، ومن كان عالمًا بآثار السلف علم أن أحدًا منهم لم يفعل هذا». انظر: الرد على البكري (١/ ١١٢).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وكذلك استغفار الملائكة لبني آدم؛ كما أخبر به القرآن، وقد قال النبي ﷺ: «**وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ**» ومع هذا فلا يجوز لأحد أن يدعو الملائكة، =

مثل: أن يطلب من ملك يملك أو أمير، يستغيثُ به يقول: أغثني يا فلان. وهو ليس عنده، مع أنه لو كان عنده لأمكن أن يغيثه بقوَّته، لكنه لما لم يكن حاضرًا صارت الاستغاثة ـ تعلق القلب ـ بغير حاضر هذا شرك بالله ﷻ.

الثالث: أن يكون قادرًا: فإن لم يكن قادرًا فالاستغاثة به شرك، ولو كان حيًّا حاضرًا يسمع، مثل: لو استغاث بمخلوق بما لا يقدر عليه، وهو حي حاضر يسمعه، وتَعَلَّقَ قلب المستغيث على هذا النحو، بأنَّ هذا يستطيع ويقدر أنْ يغيثَه، بمعنى: أنه استغاث بمن لا يقدر على الإغاثة، فتعلق القلب بهذا المستغاث به، فصارت الاستغاثة وهي طلب الغوث شركًا على هذا النحو.

الرابع: وكذلك يَسمعُ: فلو كان حيًّا قادرًا حاضرًا، ولكنه لا يسمع كالنائم ونحوه، كذلك لا تجوز الاستغاثة به.

وقد تلتبس بعض المسائل بهذه الشروط في أنها في بعض الحالات تكون شركًا أكبر، وفي بعض الحالات يكون منهيًّا عنها من ذرائع الشرك، ونحو ذلك. مثل الذي يسأل ميتًا، أو يسأل أعمى بجنبه، أو يسأل مشلولًا بجنبه أن يغيثه، ونحو ذلك.

= ولا يستغيث بهم، ولا يطلب منهم ما أخبر الله به أنهم يفعلونه، فإنها ذريعة إلى دعائهم من دون الله والإشراك بهم، والملائكة لا يراهم الناس، فلهذا لا يطلب منهم الحوائج». اهـ. بتصرف. انظر: الرد على البكري (١/ ٢٤٥).

المقصود: أن العلماء اشترطوا لجواز الاستغاثة بغير الله ﷻ: أن يكون المستغاث به حيًّا حاضرًا قادرًا يسمع[(١)].



(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرد على البكري (١/ ١١): «استغاثة في تفريج الكربة، لكن لا يجوز ذلك من ميت ولا غائب ولا من حي حاضر إلا فيما يقدر عليه خاصة». وانظر: مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٩). وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب رحمه الله في تيسير العزيز الحميد (ص٢٠٧): «دعاء الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر بل هو أكبر أنواع الشرك». وانظر: الدرر السنية (٢/ ١٩٢)، وفتاوى اللجنة الدائمة (١/ ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٨ ـ ١٠٩، ١٣٧).

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»[١].

الشَّرْح

الذبح: هو النحر، والذبح يشمل النحر الخاص، ويشمل الذبح الذي هو قسيم النحر؛ لأن النحر[٢] هو: الطعن بسكين أو بالحَرْبَة في الوَهدة، مثلما يُفعل بالإبل هي لا تذبح ذبحًا، لكن تطعن في وَهدتها وإذا طُعنت وحُرِّكت السكين وانتثر الدم وماتت، ليس ثَم ذبح، كذلك البقر قد تُنحر[٣].

وأما الذبح[٤]: فيكون في الغنم من الضأن والماعز وكذلك

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب (٥/ ١٩٥): «النحر الصدر، نحرُ الصدر أعلاه، وقيل: هو موضع القلادة، ونحره ينحره نحرًا أصاب نحره، ونحر البعير ينحره نحرًا طعنه في مَنْحَره حيث يبدو الحلقوم من أعلى الصدر».اهـ. بتصرف. وانظر: القاموس المحيط (ص٦١٧).

(٣) قال إبراهيم بن إسحاق الحربي في غريب الحديث (٢/ ٤٤٣): «الإبل تنحر ولا تذبح، والبقر تذبح وتنحر، والغنم تذبح».

(٤) قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في العين (٣/ ٢٠٢): «الذبح قطع الحلقوم من باطن عند النصيل وموضعه المذبح». وانظر: لسان العرب (٢/ ٤٣٦).

في البقر[١].

الذبح والنحر عبادة[٢]، المقصود منها: إراقة الدم، وإراقة الدم - من حيث هو - لا يكون إلا بتعلقٍ للقلب، فإذا أراق الدم لله ﷻ تعلق القلب بالله ﷻ، فالذبح عبادة ظاهرة يتبعها أو يكون معها عبادة باطنة قلبية[٣]، فمن ذبح لغير الله وقع في شرك ظاهر؛ لأن هذه عبادة صرفها لغير الله، وكذلك قلبه تعلق بغير الله فصار شركه من جهتين[٤].

---

(١) انظر: الفروع (٦/ ٢٨٢)، والإنصاف للمرداوي (١٠/ ٣٩٣)، والمجموع (٩/ ٨٠).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في تحفة المولود (ص٦٥): «فإنَّ نفس الذبح وإراقة الدم مقصود فإنه عبادة مقرونة بالصلاة؛ كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ففي كل ملة صلاة ونسيكة لا يقوم غيرهما مقامهما، ولهذا لو تصدق عن دم المتعة والقران بأضعاف أضعاف القيمة لم يقم مقامه، وكذلك الأضحية، والله أعلم». وانظر: التبيان في أقسام القرآن (ص١٩)، وإعلام الموقعين (٢/ ١٧٤)، والدرر السنية (٢/ ١٠٣، ١٧٤).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إراقة الدم لله أبلغ في الخضوع والعبادة له؛ فالذبح للمعبود غاية الذل والخضوع له؛ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، فالمقصود: تقوى القلوب لله وهو عبادتها له وحده دون ما سواه بغاية العبودية له والعبودية فيها غاية المحبة وغاية الذل والإخلاص وهذه ملة إبراهيم الخليل». انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٨٤، ٤٨٥).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم (٢٥٦ - ٢٥٩): «والمسلم لو ذبح لغير الله أو ذبح باسم غير الله لم يبح، وإن كان يكفر =

ووجه الاستدلال من قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]: أنه قال: ﴿وَنُسُكِي﴾، والنسك فُسِّرت بعدة تفسيرات عن السلف[1] منها: الذبح والنحر، وهذا كما قال عز وجل في الآية الأخرى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، أمره بأن يوحد الله عز وجل بالصلاة، وكذلك أمره بالنحر لربه عز وجل وحده، إذًا؛ النسك هنا الذبح.

في **قوله**: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي﴾ الصلاة لمن؟ **الجواب:** لله. وجه اللام هنا أنها لام الاستحقاق؛ يعني: أن صلاتي مستحقة لله، هذا وجه الاستدلال. وقوله: ﴿وَنُسُكِي﴾؛ يعني: نسكي الذي هو ذبحي مستحق لله وحده لا شريك له. ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾، هذه لام أخرى

= بذلك»، وقال أيضًا: «فإن العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله وعلى هذا، فلو ذبح لغير الله متقربًا به إليه لحرم وإن قال فيه: بسم الله؛ كما يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الأولياء والكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك». وانظر: الدرر السنية (١/ ٣٥، ٤٢٨ ـ ٢/ ٨، ٣٧، ١٠٣، ٣٦١).

(١) قال الطبري في تفسيره (٧/ ١٥٢): (عن مجاهد ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾، قال: النسك الذبائح في الحج والعمرة). وقال القرطبي في تفسيره (٨/ ١١٢): «والنسك جمع نسيكة، وهي الذبيحة، وكذلك قال مجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وغيرهم، والمعنى: ذبحي في الحج والعمرة». وقال البغوي في تفسيره (٢/ ١٤٦): «وقال الحسن: نسكي ديني، وقال الزجاج: عبادتي، ومنه الناسك الذي يتقرب إلى الله بالعبادة، وقال قوم: النسك في هذه الآية: جميعُ أعمال البر والطاعات من قولك: نسك فلان فهو ناسك إذا تعبد». وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٩٩).

وهي لام المِلك، الصلاة والنسك لله استحقاقًا، والمحيا والممات لله مِلكًا؛ لأن اللام تأتي للاستحقاق وتأتي للملك.

في هذه الآية جعل هذه الأمور الأربعة: الصلاة والنسك والمحيا والممات جعلها جميعًا باللام مؤخرة بقوله: ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لكن تختلف، الصلاة والنُّسُك لله استحقاقًا، والمحيا والممات لله ﷻ مِلكًا، فجمعت هذه الآية بين توحيدي الله ﷻ: في إلٰهيته وهو الأول، وفي ربوبيته وهو الثاني.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ لله، هذا توحيد لله ﷻ في إلٰهيته، ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ﴾ هذا توحيد لله ﷻ في ربوبيته، فكما أنه ﷻ هو مالكُ مَحْيَايَ ومَمَاتي، فكذلك هو المستحق لصلاتي ونسكي، قال ﷻ لنبيه ﷺ: قل إن صلاتي ونسكي مستحقة لله، ومحياي ومماتي ملك لله ﷻ: ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، فذكر الربوبية ثم ذكر الألوهية، ثم بيَّن أن هذا من علامات الإسلام العظيمة فقال: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ وهذا وجه استدلال آخر إذ أن هذه مأمور بها، قال: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

الذبح كما أنه عمل ظاهر وهو إراقة الدم، والدم الذي بَثَّهُ في أعضاء المذبوح هو الله ﷻ، وهو علامةُ الحياة، فلا يُزهق إلا لمن خلقه، ولمن بثَّه في أعضاء مَنْ به الحياة.

ولهذا قال العلماء(١): إن العبد حال الذبح يجتمع في قلبه أنواع من العبوديات منها:

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما: الصلاة والنسك =

* الذل لربه ﷻ.

* والتعظيم له ﷻ.

* والرجاء؛ أي: رجاء ما عنده حال ذبحه.

* وطلبُ البركة؛ لأنه ما ذبح إلا لله.

وهذه كلها عبادات قلبية، فكما أنَّ الذبحَ عمل ظاهر؛ به تحريك اليد، تحريك اللسان ببعض القول، كذلك يقوم بالقلب حال الذبح أنواعٌ من العبوديات، وقد لا يقوم بالقلب شيء البتة، مثل ما يُذبح لضيافةٍ أو نحو ذلك، فهذا يجبُ أن يكون ظاهرًا لله ﷻ وَحْده، وإذا اجتمعت في الذبيحة العبادةُ الظاهرة والعبادةُ الباطنة ـ العبادة القلبية ـ كانت أكملَ في رجاء ثواب الذبح، ولو كان في الأمور العادية من ضيافة ونحوها، فيكون الذبح لله ﷻ ظاهرًا لم يُرِدْ بهذا إلا الله ﷻ، وباسمه فلم يذكر إلا اسم الله ﷻ، ثم إنه يكون بالقلب ذلٌّ لله ﷻ، وخضوعٌ وتعظيم ورجاء المثوبة منه وحده، فتجتمع العبادات القلبية وعبادات الجوارح حال الذبح.

لهذا فإن الذبح من العبادات العظيمة، لكن قد يغفل الناس عن تعلق القلب وفعل الجوارح حين الذبح، وكيف تكون لله ﷻ. ولهذا على طالب العلم أن يتعلم هذا إن لم يحسنه، يتعلم كيف يكون حال ذبحه لذبيحته للأضحية وهي آكد وآكد وآكد، أو لغيرها، أن يكون

= الدالتان على القرب، والتواضع، والافتقار، وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله، وإلى عدته، وأمره، وفضله، وخلفه». انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣١)، (١٧/ ٤٨٤، ٤٨٥).

موحدًا تمامًا، يرجو في ذبحه أن يكون على غاية من العبودية في لسانه وقلبه وجوارحه؛ لأنه فيه:

* حركة لسان للتسمية والتكبير.

* عمل القلب بأنواع من العبوديات سبق بعضها.

* حركة اليد، وهذا كله مما يجب أن يكون لله ﷻ وحده.

قال: (ومن السُّنَّة: لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ) ووجه الاستدلال: أن من ذبح لغير الله لم يذبح لله، وإنما ذبح لغيره، وأنه ملعونٌ لعنه الله، وهذا الدعاء من النبي ﷺ بقوله: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»، يدل على أنَّ الذبح لغير الله كبيرة من الكبائر[1]، وإذا كانت كذلك فهي إذًا يُبغضها الله ﷻ، وإذا كان الله ﷻ يُبغض الذبح لغيره، فمعنى ذلك أن الذبح له وحده محبوب له في مقابله، فيستقيم بذلك الاستدلال.



---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (٥/ ٤١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٧١)؛ أن ابن عباس رضي الله عنهما قال في تفسير الكبيرة: «الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنارٍ أو غضبٍ أو لعنةٍ أو عذابٍ».
وانظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٠)، وتفسير ابن كثير (١/ ٤٤٨)، وشرح النووي على مسلم (٢/ ٨٤ ـ ٨٦).

وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

الشَّرْح

النذر: هو إيجاب المرء على نفسه شيئًا لم يجب عليه[١]، وتارة يكون النذر مطلقًا، وتارة يكون بالمقابلة مُقيَّدًا[٢]، والنذر المطلق غير مكروه، والنذر المقيد مكروه.

لهذا استشكل جمع من أهل العلم كَونَ النذرِ عبادةً مع أن النذر مكروه، والنبي ﷺ يقول في النذر: «**إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَدِّمُ شيْئًا وَلَا يُؤَخِّرُ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنَ الْبَخِيلِ**»[٣]، يقولون: معلومٌ أنَّ

---

(١) قال القاضي عياض في مشارق الأنوار (٢/٨): «وقوله: «**لَا نَذْرَ في مَعْصِيَةٍ**» يقال بفتح النون وضمها وسكون الذال فيهما، هو ما ينذره الإنسان على نفسه أي: يوجبه ويلتزمه من طاعة لسبب موجب له لا تبرعًا».اهـ. وقال أبو السعادات في النهاية في غريب الأثر (٥/٣٨): «يُقال: نذرت أنذر وأنذر نذرًا إذا أوجبت على نفسك شيئًا تبرعًا مِنْ عبادةٍ أو صدقةٍ أو غير ذلك».اهـ.

(٢) قال ابن قدامه في المغني (١٠/٦٧): «ونذرُ الطاعةِ الصلاةُ والصيامُ والحجُ والعمرةُ والعتقُ والصدقةُ والاعتكافُ والجهادُ، وما في هذه المعاني، سواءً: نذره مطلقًا بأن يقول: لله عليَّ أَنْ أفعل كذا وكذا، أو علقه بصفة مثل قوله: إن شفاني الله من علتي أو شفى فلانًا أو سَلَّم مالي الغائب أو ما كان في هذا المعنى، فأدرك ما أمَّل بلوغهُ من ذلك فعليه الوفاء به». وانظر: منتقى الأخبار مع شرحه نيل الأوطار (٩/١٣٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٩٢)، ومسلم (١٦٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

العبادة يحبها الله ﷻ، والنذر يكون مكروهًا كما دلَّ عليه هذا الحديث، فإذا كان مكروهًا كيف يكون عبادة؟ وهذا الاستشكال منهم غير وارد أصلًا؛ لأن النذر ينقسم إلى قسمين: نذرٍ مطلق، ونذرٍ مقيد.

النذر المطلق: لا يكون عن مقابلة، وهذا غير مكروه، مثل أن يوجب على نفسه عبادة لله ﷻ بدون مقابلة، فمثلًا يقول قائل: لله عليَّ نذر أن أصلي الليلة عشر ركعات طويلات. بدون مقابلة، هذا إيجاب المرء على نفسه عبادة لم تجب عليه دون أن يقابلها شيء، هذا النوع مطلق، وهذا محمود.

النذر المكروه: وهو ما كان عَنْ مقابلةٍ، وهو أن يقول قائل مثلًا: إن شفى الله ﷻ مريضي صُمْتُ يومًا، أو إن نجحت في الاختبار صليت ركعتين، أو إن تزوجت هذه المرأة تصدقت بخمسين ريالًا - مثلًا - أو بمائة ريال. فهذا يوجب عبادة على نفسه مشروطة بشيء يحصل له قدرًا، مَنْ الذي يُحدث هذا الشيء ويجعله كائنًا؟ **الجواب**: هو الله ﷻ. فكأنه قال: إن أعطيتني هذه الزوجة، وإن يسرت لي الزواج بها، صليت لك ركعتين أو تصدقت بكذا، وإن أنجحتني في الاختبار صمت يومًا، ونحو ذلك، وهذا كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنَ الْبَخِيلِ**»؛ لأن المؤمن المقبل على ربه ما يعبد الله ﷻ بالمقايضة، بل يعبد الله ﷻ ويتقرب إليه؛ لأنه سبحانه يستحق ذلك منه، فهذا النوع مكروه. فالنوع الأول محمود، وهذا النوع مكروه[1].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (١١/ ٥٧٧): «قال المازري: ويحتمل =

والوفاء بالنذر في كلا الأمرين واجب، كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ**»[١]، فتحصل عندنا أن النذر في أربعة أشياء:

الأول: نذر محمود، لا أقول: نذر مشروع، فيفهم أحد أنه واجب أو مستحب، بل أقول: نذر محمود، غير مكروه في الشرع، وهو: المطلق الذي ليس فيه مقايضة ولا مقابلة.

الثاني: نذر مكروه، وهو الذي يكون عن مقابلة.

فالنذر الأول ـ نذر التبرّر والطاعة ـ واجب الوفاء به، وكذلك يجب الوفاء بالثاني حتى ولو كان مكروهًا، وهذا النذر الواجب أثنى الله ﷻ على أهله في الحالين بقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]؛ لأن الناذر أوجبه على نفسه، فلما كان واجبًا صار الوفاء به واجبًا، فامتثل للوجوب الذي أوجبه على نفسه؛ لأنه يخشى عقابه.

= عندي أن يكون وجه الحديث: أنّ الناذر يأتي بالقربة مستثقلًا لها لما صارت عليه ضربةُ لازمٍ، وكلُّ ملزومٍ فإنه لا ينشط للفعل نشاط مطلق الاختيار، ويحتمل أن يكون سببه أن الناذر لما لم ينذر القربة إلا بشرط أن يفعل له ما يريد صار كالمعاوضة التي تقدح في نية المتقرب. قال: ويشير إلى هذا التأويل قوله: ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ**»، وقوله: «**إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَرِّبُ مِنَ ابْنِ آدَمَ شَيْئًا لَمْ يَكُنِ اللهُ قَدَّرَهُ لَهُ**»، وهذا كالنص على هذا التعليل»، وقال في الفتح أيضًا (١١/ ٥٧٨): «وجزم القرطبي في المفهم بحمل ما ورد في الأحاديث من النهي على نذر المجازاة فقال: هذا النهي محله أن يقول مثلاً: إن شفى الله مريضي فعليَّ صدقة».اهـ. وانظر: نيل الأوطار للشوكاني (٩/ ١٤٠).

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦، ٦٨٠٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فتحصّل أن هذه الأربعة: منها اثنتان واجبتا الوفاء، وواحد محمود، وواحد مكروه، ولهذا صار غالب حال النذر ـ إذ كان عبادة ـ هو الحال التي يكون فيها محمودًا أو واجبًا[١]، ولهذا صار النذر عبادة من العبادات التي يرضاها الله ﷻ ويحبها، إلا في حال واحدة وهي حال نذر المقابلة، وأما نذر المعصية فليس عبادة؛ لأنه يحرم الوفاء به.

باعتبار أن النذر عبادة يأتي هذا التقسيم، وهذه إشكالية قديمة منذ زمن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهي: كيف يحكم على من صرف النذر بالشرك مع كونه مكروهًا؟، والنذر يكون شركًا من حيث العبادة الظاهرة والباطنة؛ أي: باعتبار الظاهر والباطن، فهو شرك باعتبار أنه عقده لغير الله سبحانه وتعالى؛ لأن عقد النذر أصلًا عبادة، فالنذر قد يكون شركًا أكبر في الربوبية، وقد يكون شركًا أكبر في الألوهية، فإذا تعلق بالمنذور له تعلق في شأن الربوبية، ومعنى النذر: أنه يريد شيئًا مقابل شيء، فلذلك كره، فصار أنك لا تطيع حتى تعطى، وهذا بخلاف الذل والخضوع لله سبحانه وتعالى، فإذا انصرف إلى غير الله سبحانه وتعالى صار كأنه يعتقد فيه تصرف، فهو نذر لاعتقاده أنه يعطيه فلا يمكن أن يتوجه النذر إلا باعتقاد.

قال: (وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾)، ووجه الاستدلال: أن الله عز وجل امتدحهم بذلك: بأنَّهم يوفونَ بالنذر، وإذ أنَّه امتدحهم بذلك دلَّ على أن هذا العمل منهم ـ وهو الوفاء بالنذر ـ محبوب له عز وجل، فثبت أنه عبادة لله عز وجل.

---

(١) انظر: المغني (١٠/ ٦٧ ـ ٧٠)، والمجموع للنووي (٨/ ٣٤٣).

والنذر له شقان:

الشق الأول: النذر.

والشق الثاني: الوفاء به.

وكلا الأمرين إذا صُرف لغير الله ﷻ فهو شرك.

* من نَذَرَ لغير الله؛ كأن ينذر لأصحاب المشاهد والأولياء أو القبور، فينذر للمشهد الفلاني، وينذر مثلًا للنبي ﷺ، أو أن ينذرَ لأحدٍ من الموتى، ينذر لفاطمة رضي الله عنها، أو ينذر لأحد من آل البيت، أو لخديجة، أو ينذر لأحد من الأولياء أو نحو ذلك، يقول: عليَّ نذر للولي الفلاني، ولو كان بغير مقابلة هذا إيجاب على نفسه عبادة لمن؟ **الجواب:** لغير الله؛ فصار شركًا أكبر.

القسم الثاني: إنْ شفى اللهُ مريضي فللولي الفلاني عليَّ نذر بكذا وكذا، فهذا على المقابلة، ولو كان على هذا النحو، فصرفه لغير الله ﷻ شرك أيضًا؛ لأن في قوله: (إن شفى الله مريضي) هذا ربوبية، وقوله: (فللولي الفلاني علي نذر) هذا شرك في العبودية، فهو أقر بالربوبية ولكنه أشرك في العبودية، هذا جهة النذر، الوفاء لأصحاب القبور أو نحوهم، أو الجن، أو الملائكة، هذا كله شرك.

فلو حصل منه النذر لغير الله، فلا يجوز أن يوفِي به، فإن وفَّى به لغير الله فسيكون ذلك شركًا بعد شرك؛ لهذا قال ﷺ: «**وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ**»، يدخل في ذلك إذا كان النذر لغير الله ﷻ.

قال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ مدحهم بذلك، فدل أن وفاءهم بالنذر عبادة يحبها الله ﷻ.

الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ، وَهُوَ الاِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالاِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

الشَّرْح

فهذه الرسالة تسمى **(ثلاثة الأصول وأدلتها)** وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة ـ الأصل الأول فيما سبق، وهو معرفة العبد ربه؛ أي: معرفة العبد معبوده؛ لأن الرب هنا بمعنى المعبود، والربوبية بهذا الموقع بمعنى العبادة؛ لأن الابتلاء وقع فيها، هذا أصل من الأصول، والمقبور أو الميِّت يُسأل أول سؤال عَنْ ربه[1]، عن معبوده الذي كان يعبده: من هو؟ فإن كان يعبد الله وحده لا شريك له، أجاب بأنَ معبودي ربي: الله وحده لا شريك له، وإن كان يعبد مع الله آلهةً أخرى ـ والعياذ بالله ـ قال: ربي الله، وربي فلان، وربي فلان، وربي فلان. من المعبودات المختلفة؛ أي: معبودي فلان، ومعبودي فلان، ومعبودي فلان، مع الله ﷻ، فيسأله منكرٌ ونكيرٌ عَنْ دينه: ما دينك؟[2].

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٦)، والطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٤٤)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص٥٧)، واللالكائي في اعتقاد أهل السُّنَّة (٦/ ١١٣٤)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢/ ٤١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال أبو عيسى: (حديث أبي هريرة حديث حسن غريب).

فلهذا؛ كان لزامًا أن يتعلم العبد دينه بأدلة ذلك، حتى يخرج عن التقليد، ويكون اعتقاده بهذا عن علم ومعرفة وبصيرة، لا على وجه المتابعة للناس؛ ولهذا جاء في بعض طرق الحديث «**وأما المنافق» أو قال الفاجر فيقول: «لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**»(١). وهذا يدل على أنه يسير مع الناس على التقليد، وأن التقليد لا يسوغ في أصول الدين، فهذه الأصول الثلاثة: التقليد في دين الإسلام، التقليد في العبادة، التقليد في الشهادة بأن محمدًا رسول الله لا يكفي، فإذا قال قائل: أنا مسلم بحكم أني في بلد إسلام. وهو لم يعتقد هذه الأمور اعتقادًا عن علم، ولو لمرة في حياته، ولو كانت قبل البلوغ فإنه بهذا لا يخلص من التَّبِعَة، فلا بد أن يعتقدَ ما يجب اعتقاده عَنْ معرفة، وهي هذه الأصول الثلاثة، وعَنْ معرفة وعلمٍ ودليلٍ.

ولهذا توسَّع الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في الأدلة، كُلُّ مسألةٍ يذكرها يذكر دليلًا عليها؛ لأنَّ المتعلم لهذا يخرج به عن ربقة التقليد لمن علمه، فيكون اعتقاده عن دليل؛ ولهذا ينبغي تعليم الصغار المميزين هذه الرسالة أو الكبار، يُتعلَّمونها بأدلتها لا على وجه التفصيل ـ كما نذكر في هذا الشرح ـ لكن يتعلم أن العبادة معناها كذا ودليلها كذا، فيعتقدها بدليلها، يعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي فرض هذا الشيء، وهذا دليل المسألة، فيخرج عن رِبقَة التقليد في هذه المسائل العظام.

قال هنا رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ**) ما

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٣).

الإسلام؟ قال: (**وَهُوَ الاِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالاِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**) وهذه العبارة، وهي الأخيرة: (**والخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ**) الصواب أنها: (**والْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**) هذا هو الموجود في النسخ المعتمدة، أما: (**والخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ**)، فهذه ليست في النسخ المعتمدة، وهي هكذا في طبعتنا، والصحيح في النسخ المعتمدة أن: (**الْإِسْلَامُ هُوَ الاِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالاِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**).

ومن المعلوم أن (**الْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**) أدل على المراد من لفظ (**الْخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ**)؛ لأن الخَلوص مِنْ الشرك إنما هو خروج عن الشرك، وليس فيه معنى البراءة من الشرك وأهله؛ ولهذا كان الأصحُ أن يُجعل بدل (**الخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ وأَهْلِهِ**) في هذه النسخة، ما هو في النسخ المعتمدة الأخرى وهي أنَّ (**الْإِسْلَامُ هُوَ الاِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالاِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّركِ وَأَهْلِهِ**) وهذا هو الذي يناسب الاستدلال الذي استدل به الشيخ، وهو قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، فذكر البراءة وهو الذي يناسب هذا التعريف.

والإسلام يُراد به تارة الإسلام العام، ويراد به تارة الإسلام الخاص، يأتي هذا في القرآن وهذا[١].

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فإنَّ الإسلامَ الخاص الذي بعث الله به محمدًا ﷺ المتضمن لشريعة القرآن ليس عليه إلا أمة محمد ﷺ، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا، وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث اللهُ =

فالإسلام العامُ: يراد به الإسلامُ الذي خوطب به جميعُ الناس من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث اللهُ عز وجل الأرضَ ومَنْ عليها، بل خوطب به جميع المخلوقات كما قال عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] أسلم له كل شيء، كما قال زيد بن عمرو بن نفيل(١):

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِمَنْ أَسْلَمَتْ لَهُ المُزْنُ تَحْمِلُ عَذبًا زُلَالًا

فالإسلام هذا العام، **(الاِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ)** استسلام لله عن طواعية واختيار، هذا الإسلام العام الذي خوطب به جميع الخلق، حصل التكليف لآدم وبنيه قال عز وجل: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب: ٧٢]؛ أي: حمل الإنسانُ الأمانة، وهي أمانة التكليف بالإسلام، قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهذا هو الإسلام العام الذي دعا إليه كل رسول، وكل نبي من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، الجميعُ يدعون إلى الإسلام، وهذا الإسلام يسميه العلماء: الإسلام العام الذي يشترك فيه جميع الرسل.

أما الإسلامُ الخاص: فهو القسم الثاني، وهو المراد هنا بقوله: **(معرفة دين الإسلام)**، لا يريد دين الإسلام العام، وإنما بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم صار المقصودُ بالإسلام الذي طُلب من الناس أن

= بها نبيًّا، فإنّه يتناول إسلامَ كُلِّ أمةٍ متبعة لنبيٍّ من الأنبياء». اهـ. انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٤).

(١) انظر: كتاب الأغاني للأصفهاني (٣/ ١٢١).

يدينوا به، وأن يعتقدوه، هو الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، وهو دين الإسلام الخاص، حتى صار الإطلاق إذا أطلق الإسلام لا يراد به إلا دين الإسلام الذي بُعث به نبينا محمد ﷺ؛ الذي يشمل عقيدة الإسلام وشريعة الإسلام.

فقد ثبت في الحديث الصحيح؛ أن النبي ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١)، فقوله ﷺ: (**لَا يَسْمَعُ بِي**)؛ أي: ببعثتي وبرسالتي، وبما أرسلت به، ثم لا يؤمن بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني، وفي الرواية الأخرى: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَا يُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٢)، المراد: أمة الدعوة، قوله ﷺ: «**وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»، فمن كان على دين الإسلام العام، وقد بُعث النبي ﷺ فإنه لا يقبل منه، لا يقبل بعد بعثة النبي ﷺ من أحد إلا أن يتبع دين الإسلام الخاص الذي بُعث به النبي ﷺ، وهو المراد هاهنا، وهو الذي يحصل به الابتلاء والفتنة في القبر، يحصل الابتلاء والفتنة بدين الإسلام الذي بُعث به محمد ﷺ.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٥٠) بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه مسلم (١٥٣) بلفظ: «**يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ**».

قال: **(وَهُوَ الاسْتِسْلَامُ للهِ بالتوحيدِ)** الاستسلام أن يكون فاعلُه فاعلَ الاستسلام كهيئة المستسلم، والمستسلمُ لغيره تابعٌ له لا يفعل إلا ما يريد، خلُص قلبه إلا مِنْ رغبة مَنْ استسلم له، ولو قال: (وهو الإسلام لله بالتوحيد) لصح تعريفه، فالاستسلام هنا بمعنى الإسلام، وله أسلم، ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، كلها بمعنى الاستسلام والإسلام، والإسلام لله والاستسلام لله بمعنى واحد قيَّدَها في هذا الموضع بقوله: **(بالتوحيدِ)**، والتوحيد يشمل توحيد الله ﷻ في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته. والمقصود الأخص من هذه الثلاثة: توحيد العبادة؛ لأن الخصومة وقعت فيه، ومعلوم أنّ توحيدَ العبادة متضمنٌ لتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات.

ثم قال: **(وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ)** الانقياد لله ﷻ بالطاعة؛ يعني: أن يكون منقادًا غير ممانع ولا متولٍّ عن طاعة الله ﷻ، إنما ينقاد ويذعن كما قال ﷻ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ﴾ [النور: ٥٤]، فالأمر بطاعة الله وطاعة رسوله؛ يعني: الانقياد لله وللرسول فيما أمر الله ﷻ به، وفيما أمر به النبي ﷺ. قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾؛ أي: أعرضوا ولم يذعنوا ولم ينقادوا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ﴾ على الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾ ما حمل إياه وهو الرسالة، ﴿وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ﴾ وهو الاستجابة لله وللرسول. فإذًا هنا الانقياد بالطاعة لله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ الذي بعث بهذا الإسلام الأخير.

قال: **(والبراءةُ مِنَ الشِّركِ وَأَهْلِهِ)**، فُسِّرت البراءة بعدة تفسيرات أصلٌ وفروعه؛ فأصلُ البراءةِ البُغضُ في القلب؛ أي: بغض الشرك

وأهله، ويتبع بُغضَهم معاداتُهم وتكفير من كفره الله ﷻ ورسوله، تكفير المشركين ومقاتلتهم عند مشروعية ذلك، وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت أيضًا، فإنَّ الكفر بالطاغوت هو بُغضه ومعاداة أهله، وتكفير أهل الطاغوت، وهم أهل عبادة غير الله ﷻ، وقتالهم عند مشروعية ذلك، والبراءة من الشرك أصلها البغض، يتبع البغض أشياء:

أولًا: المعاداة.

ثانيًا: التكفير. ومعلوم أن التكفير تَبَعٌ للعلم.

ثالثًا: قتالهم عند مشروعية ذلك؛ وذلك أيضًا مستلزم للعلم.

فتلخص أنَّ العامة ـ وهم من ليسوا علماء ـ عليهم من البراءة، أصلُها وهو البُغض، وأما فروعها فإنما هي بحسب درجات العلم، البغضُ لا بد أن يُبْغِض فإن لم يبغض الشرك فإنه ليس بمسلم، إذا كان يحب الإسلام وأهله، ويحب التوحيد وأهله، ولكن لا يبغض الشرك وأهله فإنه ليس بمسلم، لكن قد يبغض الشرك وأهل الشرك باعتبار الأصل، لكنه يحب بعض المشركين لغرض من أغراض الدنيا، فهذا ليس بمشرك، وإنما ناقصٌ إسلامه، كما سبق في تقسيم الموالاة إلى: موالاة، وتولٍّ.

والمقصود مِنْ هذا: أنَّ مسألة البراءة هذه؛ من الشرك وأهله أصلُ البراءة البغضُ يتبعها أشياء: المعاداة، والتكفير، والمقاتلة، وكلها تبع للعلم، ويتنوع ذلك بحسب الناس، وأسهل ما يكون في الموحدين ـ عند عامة الموحدين ـ معاداة المشركين، ولو لم يكن

عندهم من الحجة أو من بيان تكفيرهم، ومِنْ إقامة الدلائل على مشروعية مقاتلة أهل الشرك، فإنه قائم في قلبه بغضهم ومعاداتهم، وهذا به يحصل الإسلام.

إذًا؛ تعريف الإسلام شمل ثلاثة أشياء:

أولًا: الاستسلام لله بالتوحيد.

ثانيًا: الانقياد لله بالطاعة.

ثالثًا: البراءة من الشرك وأهله.



وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

الشَّرح

وهو بهذا التعريف شمل معنى الشهادتين كما سيأتي. هذا الدين ـ دين الإسلام ـ الذي جاء به محمد ﷺ ثلاث مراتب.

قال الشيخ رحمه الله: **(وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ)**:

(الْإِسْلَامُ)، هذه مرتبةٌ في دين الإسلام نتيجة هذه المرتبة أن يُحْكَم لأهلها بأنهم مسلمون.

(وَالْإِيمَانُ) ونتيجة هذه المرتبة أن يُحْكَم لأهلها بأنهم مؤمنون.

(وَالْإِحْسَانُ) ونتيجتها أن يُحَكم لأهلها بأنهم محسنون؛ فالمحسن والمؤمن والمسلم، الجميع من أهل دين الإسلام، لكن لكلٍّ مرتبتُه الخاصة به، هم درجاتٌ عند الله.

فالإسلام[1]: هو إقامة الأعمال الظاهرة: الشهادتان مع الأركان الأربعة المعروفة: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٧/ ١٤)، و(٧/ ٩): «فلما ذكر الإيمان مع الإسلام جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج». وقال أيضًا: «ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانًا بالله بدون إيمان القلب؛ لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان».اهـ.

البيت، مع بعض الإيمان الذي يُصحح هذا الإسلام الظاهر.

والإيمان: الإيمان بأركانه الستة: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، مع بعض الإسلام الظاهر مع بعض العمل الظاهر.

الذي معه يصح هذا الإيمان الباطن(١).

والإحسان: هو مقام المراقبة لله ﷻ(٢).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٧/ ٢٠٤)، (١٤/ ١٢١): «التحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر». وقال أيضًا: «فعلم أن من يتكلم بالإيمان ولا يعمل به لا يكون قلبه مؤمنًا، حتى أن المكره إذا كان في إظهار الإيمان فلا بد أن يتكلم مع نفسه وفي السر مع من يأمن إليه، ولا بد أن يظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه؛ كما قال عثمان، وأما إذا لم يظهر أثر ذلك لا بقوله ولا بفعله قط، فإنه يدل على أنه ليس في القلب إيمان». اهـ. وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رحمه الله: «والإيمان بالأصول الستة المذكورة في الحديث، وأصول الإيمان المذكورة تتضمن: الأعمال الباطنة والظاهرة، فإن الإيمان بالله يقتضي: محبته، وخشيته، وتعظيمه، وطاعته بامتثال أمره وترك نهيه، وكذلك الإيمان بالكتب يقتضي العمل بما فيها من الأمر والنهي، فدخل هذا كله في هذه الأصول الستة». اهـ. انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٣٣١).

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: في مدارج السالكين (٢/ ٢١٧): «أن النبي ﷺ كان يندب إلى أعلى المقامات فإن عجز العبد عنه حطه إلى المقام الوسط؛ كما قال: «**اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»، فهذا مقام المراقبة الجامع لمقامات الإسلام والإيمان والإحسان». اهـ. وقال الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد رحمه الله: «وفسر الإحسان، بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**» ففسره بأن تعبد الله، كأنك تشاهده، فإن لم تكن تشاهده، فهو يراك، لا يخفي عليه منك شيء، حتى ما توسوس به نفسك». اهـ. انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٢٥٦).

فأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ؛ (لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلَّا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

الشَّرْح

قال: (فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ خَمْسَةٌ)، ذكرها ثم ذكر الأدلة على ذلك، **فقال: (فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾).

ووجه الاستدلال: أن الله ﷻ شهد بذلك لنفسه، وشهد له بذلك الملائكة، وهم عُمَّار السماء، وشهد له بذلك أيضًا أولو العلم من الثقلين، قال ﷻ: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فبعد أن شهد بذلك لنفسه، وأخبر بشهادة ملائكته له بذلك، وبشهادة أولي العلم له بذلك، أخبر مرة أخرى بمضمون ذلك، فقال ﷻ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فهذا وجه الاستدلال من هذه الآية.

ثم قال: (وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ)، وكأن سائلًا يسأل: ما معنى لا إلٰه إلا الله؟.

(لَا إِلَـٰهَ إِلّا الله) أربع كلمات: **(لا)** ثم **(إلـه)** ثم **(إلا)** ثم **(الله)**، معنى **(لا)**: حرف لنفي الجنس، وهي من أخوات إنَّ، أو تعمل عمل إنَّ كما قال ابن مالك[1]: عَمَل إنَّ اجْعَل لِلا فِي نَكِرَة.

ويكون اسمها نكرة كما قال هنا: **(لا إلـه)**، إلٰه، والإلٰه: فعال بمعنى مفعول؛ أي: معبود، إلٰه بمعنى: مألوه؛ أي: معبود؛ لأن الإلٰهة بمعنى العبادة، والألُوهة بمعنى العبودية، وأصلها من أَلَهَ يَأْلَهُ، إِلٰهَةً، وألوهة[2]؛ إذا عَبَد مع الحب والخوف والرجاء؛ إذا عبد عابد ما يعبده خائفًا راجيًا محبًّا فإنه يكون قد ألهه، قال الراجز[3]:

لِلَّـهِ دَرُّ الـغـانِـيـاتِ الـمُـدَّهِ ... سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي

يعني: من عبادتي، والتأله هو العبادة، **(لا إله)** كما قال هنا،

---

(١) قال ابن مالك في ألفيته:

عَـمَـلَ إِنَّ اجْـعَـلْ لِـلَا فِـي نَـكِـره ... مـفـردةً جَـاءتْـك أَوْ مُـكَـرَّره

انظر: شرح ابن عقيل (٢/ ٥)، وشرح الألفية لابن الناظم (ص٧).

(٢) قال الفيروزآبادي: «أله إلاهة وألوهة وألوهية: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة وأصله إلٰه كفعال بمعنى مألوه والتأله التنسك والتعبد والتأليه التعبيد» باختصار.
وقال عبد القادر الرازي: «أله يأله بالفتح فيهما إلاهة؛ أي: عبد، ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتِكَ﴾ بكسر الهمزة؛ أي: وعبادتك». انظر: القاموس المحيط (ص١٦٠٣)، ومختار الصحاح (ص٩)، ولسان العرب (١٣/ ٤٦٩).

(٣) هو: رؤبة بن العجاج، انظر: تفسير الطبري (١/ ٥٤)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٠).

معناها: لا معبود، فسر الإلـه بمعنى المعبود؛ لأن ذلك الذي يقتضيه لسان العرب، وكذلك هو الذي جاء في القرآن، قال ﷻ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [هود: ١، ٢]، والذي جاء من عند الله ﷻ هو: لا إلـه إلا الله.

قال هنا: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ فتفسير الإلـه بالمعبود هذا موافق للقرآن وموافق للغة العرب، وبه تعلم أن من فسر الإلـه بالرب؛ أي: بأنه القادر على الاختراع كما هو تفسير أهل الكلام المذموم(١)، والأشاعرة والماتُريدية(٢) ونحوهم، فإن هذا من أبطل ما يكون؛

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٣/ ١٠١): «وليس المراد بالإلـه هو القادر على الاختراع؛ كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الإلـهية هي القدرة على الاختراع دون غيره، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إلـه إلا هو».اهـ. وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن رحمه الله: «والأشاعرة: أخطؤوا في ثلاث من أصول الدين... وأخطؤوا أيضًا: في التوحيد، ولم يعرفوا من تفسير لا إلـه إلا الله، إلا أن معناها: القادر على الاختراع، ودلالة لا إلَه إلّا الله على هذا، دلالة التزام؛ لأن هذا من توحيد الربوبية الذي أقر به الأمم ومشركو العرب؛ كما قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥]، وهي كثيرة في القرآن، يحتج تعالى عليهم بذلك، على ما أنكروه من توحيد الإلـهية، الذي هو معنى: لا إلَه إلّا الله، مطابقة، وتضمنًا).اهـ. ملخصًا. انظر: الدرر السنية (١/ ٣٢٠).

(٢) الماتريدية نسبة إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي نسبة إلى قرية من قرى سمرقند، متكلم صاحب تصانيف في الفقه والعقائد وغيرها، متوفى ٣٣٣هـ. انظر: الفوائد البهية (ص١٩٥)، والجواهر المضية (ص١٣٠).

لأنه مناقض للغة العرب وتردُّه لغة العرب، ومناقض للقرآن ويردُّه القرآن والسُّنَّة، فإن مادة الإلـه غير مادة الرب[١]، والإلـه هو المعبود كما سبق في الاشتقاق.

يقول هؤلاء: معنى **(لا إلـه)**؛ أي: لا قادر على الاختراع إلا الله، ولهذا لا يكفرون من أشرك مع الله ﷻ إلـهًا آخر في العبادة، يقولون: ما دام أنه مقر بتوحيد الربوبية، وبأن الله ﷻ هو المتوحّد في أفعاله؛ برِزقه وإحيائه وإماتته، وفي تدبيره الأمر، وفي ملكه، وفيما يفعل، فإن هذا مؤمن!! وهذا باطل.

وبعضهم يفسر الإلـه بتفسير آخر يرجع إلى معنى الربوبية، يقول أحد كبار وأئمة الأشاعرة، وهو السَّنوسي في كتابه المعروف **بأم البراهين**[٢] في العقائد الأشعرية يقول: (فالإلـه هو المستغني عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه).

يقول: فمعنى **(لا إلـه إلا الله)** لا مستغنيًا عما سواه، ولا مفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله. فصار معنى كلمة التوحيد عندهم: هو توحيد الله ﷻ في ربوبيته. وهذا من أبطل الباطل؛ لأن المشركين قد أخبر الله ﷻ في كتابه بأنهم مقرون بهذا الذي جعله

---

(١) قال أبو السعادات: (الرب يطلق في اللغة على المالك والسيد المدبر والمربي والقيم والمنعم، ويقال: ربه يربه؛ أي: كان له ربًّا، ويقال: رب فلان ولده يربه ربًّا وربه ورباه كله بمعنى واحد).اهـ بتصرف. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠).

(٢) انظر: السنوسية مع شرحها أم البراهين (ص٦٣) تأليف: أحمد بن عيسى الأنصاري.

معنى كلمة التوحيد. يقول السنوسي: معنى **(لا إلـه إلا الله)** لا مستغنيًا عما سواه، ولا مفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله. فإن أبا جهل وصحبه ألم يكونوا موقنين بأنه لا مستغنيًا عما سواه ولا مفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله؟ **الجواب:** بلى فهم يؤمنون بذلك، كما بيَّنه الله ﷻ في القرآن في آيات كثيرة جدًّا؛ كقوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ إلى آخر الآية، قال ﷻ: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨، ٨٩] إلى آخر ما جاء في هذه الآيات.

إذًا؛ فتفسير لا إلـه إلا الله بأنها لا معبود إلا الله، هذا التفسير ليس تفسيرًا اجتهاديًا، وإنما هو تفسير قرآني لهذه الكلمة، قال ﷻ: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ١، ٢]، فمن زعم أن هذا التفسير من اجتهادات إمام هذه الدعوة، فهذا مناقض وراد أو جاهل بالقرآن العظيم[1]، فإن الذي

---

(١) ممن فسَّر كلمة التوحيد بهذا التفسير من أهل العلم السابقين: ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤/ ٨١)، وأبو السعود محمد بن محمد العمادي في تفسيره (١/ ١٠)، والخطابي في الغنية عن الكلام وأهله (١/ ٣٩)، وعبد الرؤوف المناوي، والنفراوي المالكي، بل هناك من معاصري الإمام؛ كالشوكاني في فتح القدير (١/ ٢٧١).

فسَّر الإلـٰهية بهذا المعنى هو الله ﷻ في كتابه في غير ما آية، قـال ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وهذا واضح ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ أتى بعد أمرهم بعبادة الله ﷻ وحده دونما سواه، وهذا مبين كثير في الكتاب والسُّنَّة، والنبي ﷺ قال لحصين بن عبيد رضي الله عنه: «**كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا قَالَ: سَبْعَةً: سِتًّا فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ. قَالَ: فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ**»[١].

فهذا معنى الإلـٰه، وهذا التفسير تفسير من القرآن جاء من الله ﷻ ومن نبيِّه ﷺ، وليس تفسيرًا اجتهاديًّا من أئمة هذه الدعوة كما زعمه الخرافيون وأعداءُ التوحيد.

قال: (**مَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ**) الكلمة الثانية (**إله**)، الكلمة الثالثة (**إلا**)، و(**إلا**) هي عند بعض العلماء أداة استثناء[٢]، وعند بعضهم أداة حصر[٣]، فصار معنى (**لا إلـه إلا الله**)

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣)، والبزار في مسنده (٩/ ٥٣)، والطبراني في الكبير (١٨/ ١٧٤)، والأوسط (٢/ ٢٨٠)، والدعاء له (ص٤١٢)، وأبو بكر الروياني في مسنده (١/ ١٠٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه. قال أبو عيسى: (هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين رضي الله عنه من غير هذا الوجه).

(٢) قال أبو الحسن الباقولي: (والأصل في الاستثناء بإلا. . .). انظر: شرح اللمعة (٢/ ٤٨١)، وشرح قطر الندى (ص٢٧٢).

(٣) قال ابن مالك في ألفيته:

وَمَـا بِـإِلَّا أَوْ بِـإِنَّـمَـا انْـحَـصَـرْ   أَخِّرْ وَقَدْ يَسْبِقُ إِنْ قَصْدٌ ظَهَرْ

انظر: شرح ابن عقيل (٢/ ١٠٠)، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٢/ ١٢٠).

لا معبود إلا الله، وهنا سؤال: أين خبر **(لا)**؟ قال العلماء: خبر **(لا)** محذوف؛ لأن العرب ترى في لغتها أن لا النافية للجنس يحذف خبرها إذا كان واضحًا[١]. ومن المعلوم أن المشركين لم ينازعوا في وجود آلهة أخرى، فهم يعلمون أن هناك آلهة كثيرة موجودة؛ لهذا لا يصح أن يُقال: إن خبر **(لا إله)** موجود؛ لأنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، لو كان خبر **(لا إله)** تقديره **(موجودًا)** لقالوا له: هذه الآلهة موجودة، فكلمتك هذه ليست بصحيحة، لكن الخبر معلوم؛ لأنه زبدة الرسالة، وهو ما قدره الشيخ هنا **(بحق)**، أو يُقدر **(حق)** بدون الباء؛ لأن خبر **(لا)** إذا حذف قُدر بالمناسب الذي يُعْلَمُ، وإذا حذف الخبر كان لأجل العلم به ولوضوحه، كما قال ابن مالك في الألفية في آخر باب لا النافية للجنس يقول[٢]:

وَشَاعَ فِي ذَا البَابِ إِسْقَاطُ الْخَبَرْ   إِذْ الـمُـرَادُ مَعْ سُقُوطِهِ ظَهَـرْ

قوله: **(وَشَاعَ فِي ذَا البَابِ)**؛ يعني: باب (لا) النافية للجنس.

إذا ظهر المراد مع الحذف، فإنه يُحذف؛ ولهذا لا يحذف خبر

---

(١) قال ابن هشام: «ويكثر حذف الخبر إذا علم؛ كقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١]؛ أي: فلا فوت لهم، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ﴾ [الشعراء: ٥٠]؛ أي: لا ضير علينا، وبنو تميم يوجبون حذفه إذا كان معلومًا، وأما إذا جهل فلا يجوز حذفه عند أحد، فضلًا عن أن يجب، وذلك نحو: لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ ﷻ». انظر: شرح شذور الذهب (ص٢٧٤)، وألفية ابن مالك (٢/ ٢٥) بشرح ابن عقيل.

(٢) انظر: ألفية ابن مالك (٢/ ٢٤) بشرح ابن عقيل.

لا النافية للجنس إلا إذا كان واضحًا، وهنا الخبر واضح؛ لأنه هو زبدة الرسالة، زبدة ما بُعث به النبي ﷺ، بل هو عين ما بعث به النبي ﷺ، فيكون تقدير الكلام: لا معبود حق إلا الله؛ لأن النبي ﷺ بُعث لتوحيد الله ﷻ بالعبادة ولإبطال عبادة غيره، وأنه لا معبود حق إلا الله، وأن كُلَّ معبود سوى الله ﷻ فعبادته بالباطل والظلم والطغيان والتعدي من الخلق.

إذًا؛ هنا حُذِف الخبر؛ لأنه معلوم، فصار تقديره لا إلـٰه حق، أو لا إلـٰه بحق إلا الله؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وفي الآية الأخرى قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾، فلما كانت هذه الآية وقد جاءت في القرآن في سورتين مشتملة على أن عبادة الله حق، وأن عبادة غيره باطلة، ناسب أن يكون المحذوف هنا كلمة **(حق)** أو كلمة **(بحق)**، لا إلـٰه بحق أو لا إلـٰه حق؛ لأنها هي التي دلت عليها الآيات.

إذًا فصار معنى لا إلـٰه إلا الله: لا أحد يستحق العبادة إلا الله ﷻ، أو لا معبود بحق إلا الله، وهناك معبودات غير الله ﷻ، ولكنها معبودات بالباطل، وصار التقدير هذا من أنسب ما يكون.

قال: **(مَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ)**، فَسَّر ذلك **بقوله: (لَا إِلَـٰهَ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ)**؛ يعني: الذي يقول: **(لا إلـٰه إلا الله)**، يقول: أنفي جميع ما يُعْبَد من دون الله، **(إلا الله)** تقول:

وأُثبت العبادة لله وحده؛ لأن (**لا إلـه إلا الله**): نفي وإثبات: نفي لاستحقاق العبادة عما سوى الله وإثبات للعبادة المستحقة لله ﷻ.

قال رحمه الله **هنا: (لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ)** عدم الشَّرِكَة في الملك تتنوع: أحيانًا تكون الشركة في الملك مطلقًا دون إضافتها إلى الله ﷻ والشركة في الملك تكون(١):

* بأن يكون لكل شريك قسمٌ خاص ليس مشاعًا؛ أي: له قسم خاص مما اشتركا فيه؛ مثلًا: اشتركت أنا وأنت في ملْكِ إبل، مثلًا: لك خمسون ولي خمسون معروفة، هذه خمسون لي معروفة بأعيانها، وهذه خمسون لك معروفة بأعيانها، أو اشتركت أنا وأنت في كتب معروفة، هذه الكتب لك وهذه الكتب لي، هذه شركة، كل من الشريكين له قِسْمُه استقلالًا.

* الثاني: أن تكونَ شركةً مشاعةً؛ للشريكين شركةٌ مشاعة، هذا وهذا مشتركان في ملْكٍ لا يتميز منه أحدهما عن الآخر، بل هو لهما جميعًا.

والله ﷻ بَيَّن في القرآن أنه لو كان له شريك في الملك ـ في ملكه ـ لابتغى إليه سبيلًا، قال ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]، ولو كان معه آلهة ـ معبودات تستحق العبادة فعلًا ـ ما الذي يلزم من ذلك؟

---

(١) يراجع ما ذكره الفقهاء ـ رحمهم الله ـ في (باب الشركة) من كتاب البيوع. انظر: المغني (٥/٣)، والعدة شرح العمدة (ص٢٥١)، والأم للإمام الشافعي (٦/ ٢٢٤).

الجواب: يلزم أن يكون لهم نصيب في ملك الله؛ لأنه لا يستحق العبادة إلا من يملك النفع والضر، قال ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾، قال ﷻ: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣]، ليس مع الله أحد في ملكه، بل هو المتوحد في ملكه، ينتج من ذلك ويلزم أنه هو المستحق للعبادة وحده؛ لهذا قال هنا: (**لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ**)، لهذا يقول العلماء: إن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الإلـٰهية، فالإقرار بأن الله ﷿ ليس له شريك في ملكه لا على وجه الاستقلال ولا على وجه الإشاعة يلزم منه لزومًا أكيدًا أنَّ الله ﷿ واحد في استحقاقه العبادة، لا يستحق العبادة إلا هو لا شريك له كما أنه هو وحده له الملك لا شريك له، كما جاء في آية الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وسبق بيان معناها، وأن معناها: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ لله استحقاقًا ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ لله ملكًا ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في عبادته و﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في ملكه ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ هذا معنى الآية، وهذا التفسير من الشيخ لكلمة التوحيد تفسير واضح ظاهر.



وَتفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

الشَّرْح

قال رَحِمَهُ اللهُ: (**وَتفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ﴾) ماذا قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ **الجواب:** قال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ اشتملت كلمته على نفي وإثبات، على بُغض ومحبة، فجزؤها الأول **نفي وبغض**، قال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا فيه نفي ما دام أنه تبرأ منها في نفي استحقاقها العبادة، ومعنى البراءة: البغض، فاشتمل قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ على النفي والبغض، ثم أتى بالإثبات والمحبة فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ أثبتَ له العبادة، ثم أتى بما يدل على المحبة فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ محبة فيها الرجاء.

هذه كلمة وهي معنى (**لا إله إلا الله**)؛ لأنها اشتملت على براءة وعلى ولاء، اشتملت على بغض وعلى محبة، اشتملت على نفي وعلى إثبات.

قال: ﴿وَجَعَلَهَا﴾؛ أي: تلك الكلمة ﴿بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ في ولد إبراهيم عليه السلام ومعلوم أن إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء، والأنبياء من بعده جاؤوا لتقرير هذه الكلمة، قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: يرجو أن يرجع إليها عقبه من بعده.

أيضًا يفسرها قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، قل - يا محمد -: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ يا أهل التوراة ويا أهل الإنجيل، ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ إلى كلمة وسط، كلمةُ عَدْلٍ بيننا وبينكم، نعلم أنه قد جاء بها رسولكم، وقد جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ما هذه الكلمة؟ **الجواب:** ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

ووجه الاستدلال: أن هذه الكلمة بيننا وبينهم وهي كلمة التوحيد، تفسيرها ألَّا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا، فهذا التفسير لكلمة التوحيد، قال مؤكدًا معناها: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: آلهةً من دون الله؛ لأنهم ما ادعوا في الخلق أنه رب، بمعنى أنه يخلق استقلالًا، ويرزق استقلالًا، ويحيي ويميت استقلالًا، هذا ما ادُعي، وكان تفسير الربوبية هنا بالإلٰهية، وفي آخر الآية يُبين أن من ترك ما دل عليه أولها فإنه ليس بمسلم؛ لأنه قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ إذْ خالفناكم، وإذا لم تذعنوا لهذه الكلمة سواء التي بيننا وبينكم ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾، فأنتم لستم من أهل الإسلام.

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

الشَّرْح

قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ هذا قسم، اللام هذه هي التي تسمى الموطئة للقسم[1]، دائمًا تصحب قد، **(لقَدْ)**، نعلم أنَّ ثَمَّ قَسَمًا محذوفًا تقديره: والله ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ هذا المُقْسِمُ هو الله عز وجل، أقسم بأنه قد جاءكم رسول، وهذا لتأكيد الكلام وتعظيمه بنفس السامع؛ لأنه أُكد بالقسم، والمقسِم هو الله، والمقسَم به هو الله عز وجل، على مجيء الرسول لنا من أنفسنا ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ من جنسكم من بني جلدتكم، يتكلم بلسانكم وتعقلون عنه.

هذا واضح الدلالة على الشهادة بأن محمدًا رسول الله؛ لأن معنى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله: أنْ تعتقدَ أنَّ محمدًا أرسله الله عز وجل بدين الإسلام، تعتقد ذلك اعتقادًا يصحبه قول وإخبار عنه، وهذه الآية واضحة الدلالة على المراد.

---

(١) قال ابن هشام: «اللام الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط، ومن ثم تسمى اللام الموذنة، وتسمى الموطئة أيضًا؛ لأنها وطأت الجواب للقسم؛ أي: مهدته له». انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص٣١٠).

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرِ التَّوحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَام قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الشَّرح

بيَّن هنا المؤلف رَحِمَهُ اللهُ معنى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله، قال: **(وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ)**؛ أي: معناها التي تقتضيه: تقتضي **(طاعته فيما أمر)**، إذًا؛ فمعنى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله طاعته فيما أمر، كونك شهدتَّ أنه مرسل من عند الله، معنى ذلك: أنه إذا أمرك فإنَّ الآمر هو الله عَزَّ وَجَلَّ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود وغيره، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا وَإِنَّ**

مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ»[١].

إذا اعتقدت أن هذا الذي جاء به محمد ﷺ لم يأتِ به من عنده، وإنما هو رسول، فمعنى ذلك: أن تطيعه فيما أمر، هذا مقتضى لكونك شهدت بأنه رسول الله، فإن لم تطعه فيما أمر اعتقادًا أنه لا يُطاع، كان ذلك تكذيبًا لشهادته، فمن قال: أشهد أنَّ محمدًا رسول الله، وهو يعتقد أنه لا تلزمه طاعة الرسول ﷺ، فحاله حال المنافقين[٢]، شهادته مردودة، وهو كاذب في شهادته، وأما إذا اعتقد أنه تجب عليه طاعة الرسول ﷺ فيما أمر وخالفه لغلبة هوى، فهذا يكون عاصيًا قد نقص من تحقيقه لشهادة أنَّ محمدًا رسول الله بقدر مخالفته.

قال: (وتصديقُهُ فيما أَخْبَرَ) ما أخبر به النبي ﷺ من الغيب وحيٌ من عند الله؛ لهذا ما أتى من أخبار الغيبيات من الكلام على الله ﷻ، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعن الجنة والنار، وعن أخبار الغيب، وقصص الماضين هو كله بوحيٍ من الله ﷻ، فمقتضى

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) بنحوه، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، والدارمي (٥٨٦)، وأحمد في المسند (٤/ ١٣٢)، والدارقطني (٤/ ٢٨٦)، والطبراني في الكبير (٦٤٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٩١)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٣١) من حديث المقدام رضي الله عنه.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٩): «... فأما النفاق المحض الذي لا ريب في كفر صاحبه فأن لا يرى وجوب تصديق الرسول فيما أخبر به، ولا وجوب طاعته فيما أمر به، وإن اعتقد مع ذلك أن الرسول عظيم القدر علمًا وعملًا وأنه يجوز تصديقه وطاعته».

أنك شهدت أنه رسول الله أَنْ تصدقه فيما أخبر، وألا يكون في قلبك شك، في أنَّ ما أخبر به حقٌّ، وأنَّ كل خبر أخبر به النبي ﷺ نقول: هو فيه صادق، ولو كنا لا نرى ذلك الشيء؛ كما ثبت في الصحيحين[(١)] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ أنه قال: «**حَدَّثَنِي الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ**»، يعني به: رسول الله ﷺ، فالمؤمن يصدق رسول الله فيما أخبر به، سواء عقل ذلك أو لم يعقله، وسواء أدرك ذلك بنظره أو لم يدركه، فقد كان الصحابة يتناقلون فيما بينهم الأخبارَ الكثيرةَ عَنْ رسول الله ﷺ بأن عيسى ابن مريم ﷺ سينزل[(٢)]، وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا حدث بهذا الحديث يقول لأصحابه، ولمن ينقل عنه الحديث من تلامذته، يقول: «**فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ**»[(٣)]. تصديق لا يصاحبه شك، إذا كان المؤمن يعتقد أنه رسول الله، فمعنى ذلك أن كل خبر أخبر به فهو حق، بلا شك وبلا ريب ﷺ.

قال: (**وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ**) والأصل في النهي والزجر التحريم؛ لأنها نهي زاجر كما هو مقرر في الأصول[(٤)]، فما نهى عنه الرسول ﷺ أو زجر عنه أو حرمه فإنه يجب اجتنابه طاعة له ﷺ؛

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أحاديث نزول عيسى ابن مريم عليه السلام متواترة كما ذكر ذلك عدد من أهل العلم. انظر: نظم المتناثر للكتاني (ص٢٢٩)، وعون المعبود (١١/٣٠٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/٢٩٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٤٩٤)، وروى نحوه الحاكم في المستدرك (٢/٦٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: روضة الناظر (ص٢١٧)، والتبصرة للفيروزآبادي (ص٩٩)، ومختصر التحرير لابن النجار (ص١٣٨).

كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وما آتاكم الرسول من الأوامر أو من الأخبار فخذوه امتثالًا للأمر وتصديقًا بالخبر، وما نهاكم عنه يجب عليكم أن تتركوه طاعة لله ﷻ ولرسوله.

وهنا نقول ـ مثل ما قلنا أولًا ـ: إن مَنْ لم يجتنب ما نهى عنه الرسول ﷺ وزجر، اعتقادًا أنه لا يجب عليه الانتهاء؛ أي: لم يلتزم أنه مخاطب بهذه المنهيات، فهذا قدح في الشهادة، فلا يكون شاهدًا بأنَّ محمدًا رسول الله، وإن كان يقولها بلسانه، وإن التزم ذلك وقال: نعم، نلتزم بالذي نهى عنه النبي ﷺ ويجب تركه. لكن غلبته نفسه وخالف ذلك قليلًا كانت المخالفةُ أو كثيرًا في نفسه أو في غيره، فإن ذلك يكون نقصًا في شهادته ومعصية لله ولرسوله.

قال: (وَأَلَّا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ) لا يُعبد الله بالبدع والأهواء والمحدثات، وإنما يُعبد الله ﷻ بالطريق وعلى الطريق التي بيَّنها نبيُّه ﷺ، لا يُعبد الله ﷻ بالأهواء والآراء والاستحسانات المختلفة، إنما يُعبد الله ﷻ عن طريق واحدة وهي طريق الرسول ﷺ بما شرعه هذا الرسول، فإذا اعتقد المسلم ذلك كمُلت له شهادته بأنَّ محمدًا رسول الله وصار مسلمًا حقًّا.

بعد ذلك **قال: (وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرِ التَّوحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾)** بيَّن أنَّ هذه الأشياء مأمورُ بها، وهي دليل على أنها من دين الإسلام.

ثم ذكر دليلَ الصيام، وذكر دليلَ الحج، وهذه واضحة ظاهرة.

وبهذا تتبيَّن المرتبة الأولى من الأصل الثاني ألا وهي: **مرتبة الإسلام**، وأعظم أركان الإسلام الشهادتان، فعلى طالب العلم أن يكونَ معنى الشهادتين واضحًا في قلبه، واضحًا في ذهنه، فاهمًا له، بحيث يستطيع أن يعبِّرَ عن ذلك بأيسر عبارة، وبتنوعها؛ لأن أعظم ما يدعى إليه ما دلت عليه الشهادتان، فعلى طالب العلم أن يعوِّدَ لسانهَ على تفسير الشهادتين بتنويع العبارة، وعلى حفظ الأدلة التي فيها معنى الشهادتين، وعلى تفسير ذلك، وإذا دَرَّبَ نفسه على ذلك، فسوف يرى أنه ستفتح له أبواب بفضل الله ﷻ وبرحمته بمعرفة التوحيد وحسن التعبير عنه.

وأما أن يتركَ طالبُ العلم نَفْسَه لفهم ما دلَّت عليه، دون أن يمرنَ نَفْسَه على تأدية المعنى وتعليمه لأهله وللصغار، ولمن حوله ولمن يلقاه ممن لا يعلم حقيقة معنى هذه الكلمة، فإنَّ هذا مضيعة للنفس ولا يصدق على فاعله أنه طالب العلم؛ لأن العامي يفهم ذلك فهمًا، لكن لا يستطيع أن يعبِّرَ عَنْ فهمه بالتعبير العلمي الصحيح، وأما طالب العلم فعليه أن يهتم بأصل الأصول وهو تفسير الشهادتين، ومرَّ معنا بعض ما يتصل بتفسيرها.



المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ، وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

الشَّرْح

قد ذكر المؤلف ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأجزل له المثوبة ـ أن الأصل الثاني من ثلاثة الأصول العظيمة: هو معرفة دين الإسلام بالأدلة، وذكر أن دين الإسلام مبني على ثلاث مراتب:

فالأولى: هي مرتبة الإسلام، وبيَّن ذلك وفَسَّره، وذكر الأدلة على ذلك.

وهذه المرتبة الثانية: وهي مرتبة الإيمان.

والإيمان أصله: في اللغة: هو التصديق الجازم، فهو تصديق وجزم[١].

وفي الشرع: الإيمان قول وعمل واعتقاد، أو نقول: الإيمان في الشرع قول وعمل[٢]؛ لأن القول هو قول اللسان وقول القلب.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/١٢٣، ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(٢) وقد نقل الإجماع على ذلك أكثر من واحد من أهل العلم، فقد قال محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر، لقيتهم كرات قرنًا بعد قرن، ثم قرنًا بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من =

والعمل عمل القلب وعمل الجوارح[1].

فإذا قال من قال من أهل السُّنَّة: إن الإيمان قول وعمل. فهو بمعنى من يقول: قول وعمل واعتقاد.

* لأن القول ينقسم إلى: قول اللسان وقول القلب.

* قول اللسان: هو النطق والإقرار ظاهرًا بنطقه.

* وقول القلب: هو اعتقاده.

* عمل القلب وعمل الجوارح:

* عمل القلب: أقسامه كثيرة: القلبية؛ كالخشية والخوف والرجاء.

= ست وأربعين سنة... فما رأيت واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء أن الدين قول وعمل، وذلك لقول الله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البينة: ٥]».اهـ. باختصار. أخرجه: اللالكائي في اعتقاد أهل السُّنَّة (١/ ١٧٣). وقال ابن عبد البر في التمهيد (٩/ ٢٣٨): «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل، إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم إيمان».اهـ.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في مجموع الفتاوى (٧/ ١٧١): «والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السُّنَّة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا باتباع السُّنَّة».اهـ.

* وكذلك عمل الجوارح[١]؛ كالصلاة والجهاد ونحوهما.

وهذا بمعنى قول من قال[٢]: **إن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمٰن، وينقص بطاعة الشيطان.**

قال أهل العلم: إن هذا الإيمان الشرعي هو الذي حصل الابتلاء به، فهو من الأسماء التي نقلت من اللغة إلى الشرع[٣]،

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (١/ ١٠٠ ـ ١٠١): «**فقول القلب** هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله، **وقول اللسان** الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام بذكره وتبليغ أوامره، **وعمل القلب** كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له، **وأعمال الجوارح** كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك».اهـ. باختصار. وانظر: الشريعة للآجري (ص١٢٠ ـ ١٢٢)

(٢) انظر: العقيدة لأحمد بن حنبل (ص١١٧)، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي (ص٢٣)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٨٤).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٧/ ١١٧): «كون لفظ الإيمان في اللغة مرادفًا للتصديق، ودعوى أن الشارع لم يغيره ولم ينقله بل أراد به ما كان يريده أهل اللغة بلا تخصيص ولا تقييد، فإن هاتين المقدمتين لا يمكن الجزم بواحدة منهما، فلا يعارض اليقين، كيف وقد عرف فساد كل واحدة من المقدمتين وأنها من أفسد الكلام». وقال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين (٢/ ١٧٣): «والشارع يتصرف في الأسماء اللغوية بالنقل تارة، وبالتعميم تارة، وبالتخصيص تارة، وهكذا يفعل أهل العرف، فهذا ليس بمنكر شرعًا ولا عرفًا».اهـ.

وصارت حقيقتها الشرعية هو ما وصفت لك من أن الإيمان يشتمل على قول اللسان والعمل بالأركان والاعتقاد وأنه يزيد وينقص.

والإيمان كثيرًا ما يأتي في القرآن ويراد به المعنى اللغوي، وكثيرًا ما يأتي في القرآن ويراد به الشرعي، مثل الألفاظ الأخرى؛ كالصلاة فإنها تأتي ويراد بها المعنى اللغوي، الصلاة اللغوية وهي: الدعاء والثناء، وتأتي ويُراد بها الصلاة المعروفة.

ومما ذكره بعض أهل العلم المحققين:

أَنّ الإيمان اللغوي في القرآن كثيرًا ما يُعدَّى باللام؛ كقوله ﷻ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، وقوله ﷻ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ونحو ذلك.

والإيمان الشرعي المنقول عن أصله اللغوي الذي يراد به العمل والقول والاعتقاد هذا يُعدَّى كثيرًا بالباء: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، إلى آخر الآية، وقال ﷻ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧] ونحو ذلك من الآيات، وكقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

هذا الإيمان قول وعمل واعتقاد، ويراد به تارة الاعتقادات الباطنة، وهو الذي يناسب المرتبة الثانية؛ لأن المرتبة الأولى هي الإسلام، وهي ما يشمل العمل الظاهر كما جاء في حديث

جبريل[١]، فقد جاء في بعض طرقه أنه ذكر ﷺ لجبريل عليه السلام أن من الإسلام بعد الحج الغُسل من الجنابة[٢]، ومنه الذكر، ونحو ذلك مما هو من جنس الأعمال الظاهرة.

وأما الإيمان: فهو العقائد الباطنة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر.

والشيخ رحمه الله **هنا قال: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ شُعُبَةً)**، وهذا يعني به اسم الإيمان العام الذي يدخل فيه الإسلام؛ لأن الإيمان أوسع من الإسلام، والإسلام بعض الإيمان، وأهلُ الإيمان أخصُّ مرتبةً مِنْ أهل الإسلام، لهذا الإيمان يشملُ الإسلام وزيادة، بهذا المعنى؛ ولهذا المعنى **قال الشيخ** رحمه الله: **(وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)**، ومن المعلوم أن أول أركان الإسلام هو الشهادة لله بالتوحيد بقول: **(لا إله إلا الله)** مع توابع ذلك، هذا الركن الأول.

فهنا عدَّ قول: **(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)** أعلى شعب الإيمان؛ لأن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩، ١٠) واللفظ له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** ﷺ، **وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٧)، والإمام أحمد في المسند (١/ ٥٢)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٧٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه: «... **فَمَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: إِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالِاغْتِسَالُ مِنَ الْجَنَابَةِ**».

الإيمان يشمل الإسلام وزيادة، وهذا قد جاء مبينًا في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما؛ أن النبي ﷺ قال: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»**(١) فذكر أن أعلى شُعب الإيمان لا إلـه إلا الله، وقوله: «**شُعب**» هذا تمثيل للإيمان بالشجرة التي لها شعب وفروع، وقد مَثَّل ﷺ بأعلى الشعب وبأدنى الشعب، ومثَّل بشعبة من الشعب، وهذه الثلاث التي ذكرها ﷺ متنوعة:

* فالأول وهو أعلاها: قول لا إلـه إلا الله.

* وأدناها إماطة الأذى عن الطريق هذا **عمل**.

* والحياء شعبة من الإيمان، الحياء: **عمل القلب**.

فذكر في هذا قول: **(لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ)** وهذا قول باللسان، ولا شك أنه يتبعه اعتقاد بالجنان، وذكر الحياء أيضًا وهو عمل بالقلب، وذكر إماطة الأذى عن الطريق وهو عمل الجوارح، فتمثيله ﷺ لذلك لأجل أن يُستدل لكل واحد من هذه الثلاثة لكل شعبة من هذه الشعب على نظائرها:

* فيُستدل بكلمة التوحيد بقول لا إلـه إلا الله على الشعب القولية.

---

(١) أخرجه البخاري (٩) مختصرًا، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «**فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ**»، ورواه ابن حبان في صحيحه (١/ ٤٢٠)، والطبراني في الأوسط (٩/ ٢٠) وكلاهما فيه: «**أَعْلاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ**».

* ويُستدل بإماطة الأذى عن الطريق بالشعب العملية ـ عمل الجوارح ـ.

* ويُستدل بذكره الحياء على الشعب القلبية.

وهذا من أبلغ ما يكونُ مِنَ التشبيهِ والتمثيلِ؛ لأنَّ التنويع كما نَوَّعَ ﷺ يجعل الناظر يُعدِّي هذا الذي ذُكِرَ إلى أمثالِ تماثلها كثيرة؛ ولهذا العلماء اختلفوا في شعب الإيمان بِعَدِّها، عَدَّها جماعة وصنفُوا فيها مصنفات كما صنف الحليمي ـ وهو شيخ البيهقي ـ كتابه **(المنهاج في شعب الإيمان)** وهو مطبوع[١]، وتلاه على ترتيبه وعلى نسقه البيهقي[٢] موسعًا داعمًا بالأدلة في كتابه **(شعب الإيمان)** ونحو ذلك عدُّوها على اجتهادٍ منهم، وهذا الاجتهاد يختلف فيه العلماءُ، فمنهم من يعد خصالًا من شعب الإيمان، ومنهم من يعد أخرى، وسبب ذلك اجتهادُهم في قياس ما لم يُذْكر على ما ذُكِر، فيجعل

---

(١) منهاج الدين في شعب الإيمان للحليمي، وهو أبو عبد الله حسين بن الحسن الحليمي الجرجاني الشافعي المتوفى سنة (٤٠٣هـ)، وهو كتاب جليل في نحو ثلاثة مجلدات فيه أحكام كثيرة ومسائل فقهية وغيرها مما يتعلق بأصول الإيمان رتَّبه على سبعة وسبعين بابًا على أن للإيمان بضعًا وسبعين شعبة. انظر: كشف الظنون (٢/ ١٨٧١).

(٢) قال البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان (١/ ٢٨): «فاقتديت به في تقسيم الأحاديث على الأبواب، وحكيت من كلامه عليها ما يتبين به المقصود من كل باب، إلا أنه رضي الله عنا وعنه اقتصر في ذلك على ذكر المتون وحذف الأسانيد تحريًا للاختصار، وأنا على رسم أهل الحديث أحب إيراد ما أحتاج إليه من المسانيد والحكايات بأسانيدها والاقتصار على ما لا يغلب على القلب كونه كذبًا». اهـ.

بعضًا منها قولية، ويجعلون بعضًا منها عملية، ويجعلون بعضًا منها لعبادات القلب، وهم يقسمونها في الغالب أثلاثًا:

* فيجعلون للقوليات نحوًا من خمس وعشرين شعبةً.

* ويجعلون للعمليات نحوًا من خمس وعشرين شعبة.

* ويجعلون لأعمال القلوب نحوًا من سبعٍ وعشرين أو خمس وعشرين شعبة، يزيدون وينقصون[١].

المقصود: أن هذا اجتهاد من العلماء، لكن هذا التمثيل يدل على ما ذكرت لك من استيعابه للأقوال وأعمال الجوارح وأعمال القلوب.

إذًا؛ فيدخل في هذه الشعب ـ شعب الإسلام ـ: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، والحج، والجهاد، والغسل، والطهارة، ونحو ذلك، والأعمال الاجتماعية التي أُمر بها؛ كصلة الأرحام، وبر الوالدين. . . إلى آخره، ويدخل فيها أعمال القلوب من الخشية والإنابة والحياء والمحبة والرجاء والخوف والرهب والرغب إلى آخر هذه الأمثلة، فكل هذه من الإيمان ودليل ذلك ما سبق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين.



(١) انظر: فتح الباري (١/ ٥٢)، وصحيح ابن حبان (١/ ٣٨٧).

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ[1].

الشَّرح

قال: (وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ)، الإيمان بالله يشمل: الإيمان بوجود الله، وبأن الله واحد في ربوبيته، وواحد في إلٰهيته لاستحقاقه العبادة وأنه واحد في أسمائه وصفاته، ليس كمثله شيء في أسمائه، وليس كمثله شيء في صفاته، كما قال ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فبيان قوله: **(أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ)** هو شرح التوحيد كله.

قال: (وَمَلَائِكَتِهِ) الملائكة جمعُ مَلَكٍ، وهو المرْسَلُ؛ لأن أصلها (مَأْلَكُ) من (أَلَكَ)؛ أي: أرسل رسالةً خاصة، أَلَكَ يألك أَلُوكَةً[2]، والمرسل مألك أو مَلأَك، وأصلها مألك؛ لأنها من أَلَكَ، خُففت الهمزة كما تخفف كثيرًا فصارت ملكًا، وجمعها ملائكة، لهذا ظهر في الجمع الهمز؛ لأن أصله في المفرد موجود، الملك جمعه ملائكة ظهر الهمز، ومفرد الملائكة ملأك إلى آخره؛

---

(١) إشارة إلى حديث جبريل عليه السلام الذي في الصحيحين، سيأتي تخريجه (ص١٨٣).

(٢) انظر: مادة: (أ ل ك) في النهاية في غريب الأثر (١/ ٦١)، ولسان العرب (١/ ٥٣٥)، (١٠/ ٣٩٣)، وتاج العروس (٢٧/ ٤٨)، ومادة (لأك) في لسان العرب (١٠/ ٤٨٢).

أي: المرسلون الموكلون بما وكلهم الله ﷻ به[١].

ومن ذلك قول الشاعر أبي ذؤيب[٢]:

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيرُ الرَّسُو لِ أَعلَمُهُم بِنَواحِي الخَبَر

أي: أرسلني إليها، والألوكة معروفة عند العرب بمعنى الرسالة[٣].

فإذًا؛ الملائكة معناهم اللغوي: المرسلون، لكن رسالة خاصة على وجه التعظيم لها.

هذا الركنُ مِنْ أركان الإيمان تحقيقه يكون بأن يؤمنَ المسلمُ بأنَّ لله ﷻ ملائكة خلقًا من خلقه ﷻ، جعلهم موكلين بتصريف هذا العالم، يأمرهم فينفذون ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، فمن أيقنَ أنَّ هذا الجنس من خلق الله موجود، وآمن بذلك، وأنَّ منهم من ينزل بالوحي إلى الرسل، فيبلغهم رسالات الله فقد حقق هذا الركن من أركان الإيمان، ثم بعد ذلك يكون الإيمان التفصيلي: وهذا

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٩٨)، والقاموس المحيط (ص١٢٠٣)، والنهاية في غريب الأثر (٤/ ٣٥٩).

(٢) هو: خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن أسد بن مخزوم الهذلي، شاعر مخضرم، قدم المدينة عند وفاة النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، وغزا الروم في خلافة عمر رضي الله عنه ومات بها سنة ست وعشرين. انظر: تاريخ دمشق (١٧/ ٥٣)، والبداية والنهاية (٧/ ٢٢٢)، ومعجم الأدباء (٣/ ٣٠٦).

(٣) انظر: معجم ما استعجم (١/ ٤٢٧)، ولسان العرب (١٠/ ٤٨٥)، والأغاني (٦/ ٢٧٩).

يختلف فيه الناس بحسب العلم، لكن المقصود هنا: أن تحقيق هذا الركن من أركان الإيمان يكون بتحقيق ما سبق، وبعد ذلك الإيمان بكل ما جاء بالكتاب والسُّنَّة من أوصاف الملائكة ومن أحوالهم، صفة خلقهم ومقامهم عند ربهم، وأنواع أعمالهم وأعمال ما وكلوا به، فكلُّه من الإيمان التفصيلي، من علم شيئًا من النصوص في ذلك وجب عليه الإيمان به لكن تحقيق الركن يكون بالمعنى الأول.

كذلك الإيمانُ بالرسل، إذا آمن المسلم بأنَّ الله ﷻ أرسل رسلًا بعثهم بالتوحيد، يدعون أقوامهم إلى التوحيد، وأنهم بلغوا ما أمروا به، وأيدهم الله بالمعجزات، والبراهين والآيات الدالة على صدقهم، وأنهم كانوا أتقياءَ بررة، بلَّغُوا الأمانة وأدوا الرسالة. بهذا يكون آمن بالرسل جميعًا، ثم يؤمن إيمانًا خاصًّا بمحمد ﷺ بأنه خاتم الرسل، وأنّ الله ﷻ بعثه بالحنيفية السمحة، بعثه بدين الإسلام الذي جعله خاتَم الأديان وآخر الرسالات.

القسم الثاني: الإيمان التفصيلي بالرسل على نحو ما سبق بيانه، فيه مقامات كثيرة في ذلك، يتبع العلم التفصيلي بأحوال الرسل وأسمائهم وأحوالهم مع أقوامهم وما دعوا إليه وكتبهم ونحو ذلك.

قال بعدها: (**وَكُتُبِهِ**) الكتب قبل الرسل (**وَكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ**) الإيمان بالكتب أيضًا إيمانٌ إجمالي، يتحقق الإيمانُ بهذا الركن بأن يؤمنَ العبدُ أنَّ الله ﷻ أنزل كتبًا مع رسله إلى خلقه، جعل في هذه الكتب الهدى والنور والبينات وما به يصلح العباد، وأنَّ هذه الكتب التي أُنزلت مع الرسل كلها حق؛ لأنها من عند الله ﷻ، والله ﷻ

هو الحقُ المبين، وما كان مِن جهة الحق فهو حق، ويوقن بذلك يقينًا تامًّا، ثم يوقن ويؤمن إيمانًا خاصًّا بآخر هذه الكتب ألا وهو القرآن، فكما أنَّه يؤمن بالكتب السابقة: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم عليه السلام، وصحف موسى عليه السلام، ونحو ذلك، يؤمن بها إيمانًا عامًّا على ما أنزله الله عز وجل على أنبيائه ورسله، فإنه يؤمن إيمانًا خاصًّا بهذا القرآن، وأنه كلام الله منه بدأ وإليه يعود، وأنَّه حجةُ الله على الناس إلى قيام الساعة، وأنَّه به نُسِخَت جميعُ الرسالات، وجميعُ الكتب مِنْ قبل، وأنَّه حجةُ الله الباقية على الناس، وأنَّ هذا الكتاب مهيمنٌ على جميع الكتب وما فيه مهيمن على جميع ما سبق، كما قال عز وجل في وصف كتابه: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وأنّ ما فيه مِنَ الأخبار يجبُ تصديقُها، وما فيه من الأحكام يجب امتثالها، وأن من حكم بغيره فقد حكم بهواه، ولم يحكم بما أنزل الله. هذا كله من الإيمان الخاص بالقرآن.

قال بعد ذلك: **(وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)** هذا هو الركن الخامس، الإيمان باليوم الآخر؛ أي: الإيمان بيوم القيامة، وتحقيق هذا الركن يكون بأن يوقن هذا العبدُ ويؤمن بغير شك بأن ثَمَّ يومًا يعودُ الناس إليه، يُبعثون فيه وإليه، ويحاسبون فيه، وأن كل إنسان مَجْزِيٌّ بما فعل؛ لأن الأمرَ ليس منتهيًا بالموت، بل ثَمَّ يوم يجتمع فيه الناس فيقتص من الظالم للمظلوم ويحاسبُ الناس على أعمالهم؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٧٠]، إذا آمن بهذا القدر، وأن هناك يومًا سيكون، وأنه سيبعثُ مِنْ جديد، فإنه قد حقق هذا الركنَ.

بعد ذلك الإيمان التفصيلي باليوم الآخر، وهذا يتبع العلم بما جاء في الكتاب والسُّنَّة من أحوال يوم القيامة، ومن أحوال القبور، وأحوال ما يكون يوم القيامة، من الإيمان بالحوض، والميزان، والصحف، والصراط والإيمان بأحوال الناس في العرصات، أحوال الناس بعد أن يجوزوا الصراط؛ أعني: المؤمنين الذين يدخلون الجنة، وما يكون بعد أن يجوزوا الصراط، ومن يدخل الجنة أولًا، وأحوالُ الناس في النار ونحو ذلك، وأحوال الظُّلمة، والجسر، هذه كلها أمور تفصيلية لا يجب الإيمان بها على كل أحد، إلا مَنْ سمعها في النصوص فإنه يجبُ عليه الإيمانُ بما سَمِعَ، لكن لو قال قائل: أنا لا أعلم هل ثَمَّ حوض أم لا؟ لا أدري هل ثَمَّ ميزان أم لا؟ ونحو ذلك، يُعَرَّفُ بالنصوص فإن عَرَفَ فأنكر وكذَّب فيكون مُكذِّبا بالقرآن وبالسُّنَّة.

أما تحقيق هذا المقام الذي هو اليوم الآخر، فيؤمن بأن ثَمَّ يومًا يعود فيه الناس، فيجازى المحسنُ بإحسانه، والمسيء بإساءته. فلو سألت أحدًا وقلت له: هل ثَمَّ يوم آخر يعود فيه الناس؟ قال: بلا شك هناك يوم القيامة يُبعث فيه، ويحاسبُ الناس، وفيه أهوال. وسكت، فهو بهذا حقق الركن وهو الإيمان باليوم الآخر، إذا سألته هل تؤمن بالحوض؟ قال: ما الحوض؟ أنا ما أعرف هذا الحوض. وإذا سألته هل تؤمن بالميزان؟ قال: أنا ما أعرف. فإنه يُعرَّف بالنصوص الدالة على ذلك؛ لأن هذا من العلم التفصيلي الذي إنما يجب العلم به بعد إخباره بما جاء في النصوص عليه.

الركن السادس قال: (وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) الإيمان بالقدر،

تحقيق هذا الركن أن يعلم ويعتقد ويؤمن بأنَّ كُلَّ شيء يحدثُ في هذا الملكوت بخلق الله، وقَدْ سَبَقَ به قدر، وأن الله ﷻ عالمٌ بهذه الأحوال وتفصيلاتها بخلقه قبل أَنْ يخلقهم، وكَتَبَ ذلك، وإذا آمن أَنَّ كل شيءٍ قد سبق به قدرُ الله فيكون حقق هذا الركن، والإيمانُ بالقدر الإيمان الواجب يكون على مرتبتين(١):

المرتبة الأولى: الإيمان بالقدر السابق لوقوع المقدر: وهذا يشمل درجتين:

الدرجة الأولى: العلم السابق: فإن الله ﷻ يعلم ما كان وما سيكون وما يكون وما هو كائن وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، علم الله السابق بكل شيء بالكليات وبالجزئيات، بجلائل الأمور وبتفصيلاتها، هذا العلم السابق، كما قال ﷻ في آخر سورة الحج: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال ﷻ في آية سورة الأنعام: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٣/١٤٨، ١٤٩)، والعقيدة الواسطية (ص٣٥): «وتؤمن الفرقة الناجية أهل السُّنَّة والجماعة بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين؛ فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون، بعلمه القديم ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة؛ فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه». اهـ. باختصار. وانظر: جامع العلوم والحكم (ص٢٧)، وشفاء العليل لابن القيم (ص٢٩).

﴿ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فبيَّن الله ﷻ أن علمه بالأشياء سابق، وأنه يعلم كل شيء، الكليات والجزئيات، الأمور الجلية وتفاصيل الأمور، هذا العلم الأول، وهذا العلم لم يزل الله ﷻ عالمًا به، علمه ﷻ بهذه الأشياء بجميع تفاصيل خلقه، عِلمُه بها أَوَّل ليس له بداية.

الدرجة الثانية: الكتابة: أن يؤمنَ العبدُ أنَّ الله ﷻ كَتَب ما الخلق عاملون، كتب أحوالَ الخلق وتفصيلات ذلك قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وذلك عنده في كتاب جعله في اللوح المحفوظ كما قال ﷻ: ﴿وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ فأثبت أنه في كتاب، وقال الله ﷻ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣]، قد سُطِّر وكُتِب في اللوح المحفوظ، وقال ﷻ: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٧٠]، بيَّن أنَّ كُلَّ شيء إنما هو في كتاب.

وهذا قَدْ جاء أيضًا في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما؛ أن النبي ﷺ قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»[(١)].

هاتان الدرجتان في المرتبة الأولى؛ المرتبة الأولى تسبق وقوع المقدر، هذه المرتبة الأولى تحوي درجتين.

المرتبة الثانية: أيضًا تحوي درجتين وهي تواكب أو تقارن وقوع المقدر:

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

أولى الدرجتين الإيمان بأن مشيئة الله ﷻ نافذة: وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون، فليس ثَمَّ شيءٌ يَحْدُث ويحصل في ملكوت الله ﷻ إلا وقد شاءه الله ﷻ، وقَدْ أراده الله ﷻ كونًا، سواء في ذلك طاعات المطيعين أو عصيان العاصين، سواء في ذلك إيمان المؤمنين، أو كفر الكافرين، فكل شيء يحصل في ملكوت الله إنما هو بإذنه ومشيئته وإرادته الكونية؛ لأن المشيئة لا تنقسم، إنما الذي ينقسم الإرادة، ومشيئة الله إذا أطلقت يُعنى بها الإرادة الكونية، الإرادة تنقسم إلى: إرادة كونية، وإرادة شرعية، فأما المشيئة فهي مشيئة الله ﷻ في كونه[1]، هذه **الدرجة الأولى** تواكب وقوع المقدر، فلا يمكن أن يعمل العبد شيئًا يكون مقدرًا من الله ﷻ إلا وهذا الشيء قد شاءه الله ﷻ.

الدرجة الثانية: أن يؤمن بأن الله ﷻ خالق كل شيء: فكل شيءٍ مخلوق والله ﷻ خالقه، أعمال العباد، أحوال العباد، السمٰوات، الأرض مَنْ في السمٰوات ومَنْ في الأرض، ما في السمٰوات وما في الأرض، الجميع خلقه.

فإذا أراد العبد أن يعمل شيئًا؛ فإنَّه لا يكون إلا إذا شاءه اللهُ ﷻ، وخلق الله ﷻ ذلك الشيء، طاعاتُ المطيعين خلقها اللهُ ﷻ، عصيانُ العاصين خلقه الله ﷻ، فإذا توجه العبد بإرادته إلى أن يفعل شيئًا إذا شاءه الله كونًا وقعَ بعد خلقه له، وإذا لم يشأه ولو أراده العبد لم يقع، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن

---

(١) انظر: شفاء العليل (ص٤٧ ـ ٤٨).

يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، ومرتبة الخلق عامة.

إذًا؛ هذا الإيمانُ الواجبُ يصح أنْ نقول: إنه إيمان تفصيلي، مرتبةٌ قبل وقوع المقدر، العلم الأزلي، العلم الأول، والكتابة التي هي قبل خلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، ثم ما يواكب وقوع المقدر، وهو أنَّ العبد عنده إرادة وعنده قدرة، إذا اجتمعت الإرادة الجازمة والقدرة التامة حصل منه الفعل، فيتوجه العبد إلى الفعل ويحصل منه الفعل، لكن لا يحصل منه إلا بعد أن يشاء الله ﷻ ذلك من العبد، وإلا بعد أن يخلق الله ﷻ ذلك الفعل من العبد، والفعل فعلُ العبد حقيقة، لكن الخالق لهذا الفعل هو الله ﷻ؛ لأن الفعل من العبد لا يكون إلا بإرادة جازمة وبقدرة تامة، والإرادة والقدرة قد خلقها الله ﷻ، فاللهُ ﷻ خلق ما به يكون الفعل ويخلق الفعل نفسه إذا توجه إليه العبد. فحصل بهذا الإيمان التفصيلي الواجب في القدر.

وبهذا البيان أيضًا تتضح أركانُ الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.



والدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

الشَّـرْح

قوله ﷻ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾؛ يعني: الذي يُمدح أصحابُه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ النبيين: الرسل، وهنا ذَكَرَ الخمسة هذه: آمن بالله، واليوم الآخر والملائكة، والكتاب، والنبيين، فهذه الآية دليل على خمسة مِنْ أركان الإيمان، وكثيرًا ما تأتي هذه الخمسة مقترنة؛ كقوله ﷻ في آخر سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ذكر الأربعة: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾، وكقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وكقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]، ونحو ذلك من الآيات.

وقد جاءت أيضًا في حديث جبريل عليه السلام المشهور[١].

أما القدر فأدلته في القرآن أدلة عامة، وأدلةٌ مفصلة لكل مرتبة من مراتب القدر، فمن الأدلة العامة ما ذكره الشيخ رحمه الله وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾، ووجه الاستدلال: مجيء ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: ليس ثَمَّ مخلوقٌ من مخلوقات الله إلا وقد خُلِقَ بقدرٍ سابق من الله عز وجل، لا يخرج شيءٌ عَنْ هذه الكلية، و(**كُل**) من ألفاظ الظهور في العموم[٢]، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وكل دليل فيه ذكر مرتبة من مراتب القدر يصلحُ دليلًا على القدر؛ لأنه دليل لبعضه. هذا ما ذكره الشيخ رحمه الله في بيان المرتبة الثانية من مراتب الدين ألا وهي مرتبة الإيمان.



---

(١) سيأتي تخريجه (ص١٨٣).

(٢) قال الشوكاني رحمه الله: «الفرع الثالث في أنّ صيغة (**كل**)، و(**جميع**) يفيدان الاستغراق)، قال الفراء: (وهذا شيء اختصت به (**كل**) من بين سائر صيغ العموم». اهـ باختصار. وقال أيضًا: (لفظ (**كل**) أقوى صيغ العموم). انظر: إرشاد الفحول (ص٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٣).

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الْإِحْسَانُ، رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّه يرَاكَ[١].

والدَّلِيلُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: ٢١٧ ـ ٢٢٠]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] **الآيَةَ.**

الشَّرح

الإحسان الذي هو مرتبة من المراتب إحسانُ العابد أثناء عبادته، وهو مقامُ المراقبة ـ مراقبةُ العابد لله ﷻ ـ لربه ﷻ أثناء عباداته، بل في أحواله كلها؛ لأنه إذا راقبَ ربَّه بأن قد عَلِم أن الله ﷻ مطلعٌ عليه، كأنه يرى الله ﷻ، فإنَّ هذا يدعوه إلى إحسان العمل، وأن يجعلَ عمله أحسن ما يكون، وأن يجعلَ حاله في إقبال قلبه، وإنابته، وخضوعه، وخشوعه، ومراقبته لأحوال قلبه، وتصرفات نفسه، يجعل ذلك أكمل ما يكون لحسنه وبهائه؛ لأنه يعلم أن الله ﷻ مطلع عليه.

---

(١) إشارة إلى حديث جبريل عليه السلام الذي في الصحيحين، سيأتي تخريجه (ص١٨٣).

هذا المقام ـ مقام المراقبة ـ ركنٌ واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ أي: أن تكون عابدًا لله على النحو الذي أمر الله ـ جلَّ وعلا ـ به، وأمر به رسولُه ﷺ، وحالتك أثناء تلك العبادة التي تكون فيها مخلصًا موافقًا للسُّنَّة، أن تكون وكأنك ترى اللهَ ﷻ، فإن لم تكن تراه، فلتعلم أنَّ اللهَ ﷻ مطلع عليك، عالمٌ بحالِك، يرى ويُبْصر ما تَعملُ، يعلمُ ظاهرَ عَملك وخفِيَّه، يعلمُ خلجاتِ صَدْرِك، ويعلم تحركاتِ أركانِكَ وجوارِحك. وبضعف الإحسان تضعف المراقبة لله ﷻ.

إذًا؛ فمرتبة الإحسان تعظم بعظم مراقبة الله ﷻ، وتضعف بضعف مراقبة الله ﷻ؛ فالعبد المؤمن أثناء عبادته إذا كان يعبد الله ﷻ مخلصًا على وفق السُّنَّة، وحاله كأنَّه يرى الله، عالمٌ بأنّه مطلعٌ عليه ويراه، هذا يجعله يُحْسِنُ عَمَله، بل يجعل عمله وحاله أثناء العمل أحسن ما يكون.

(**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾).

ووجه الاستدلال من هذه الآية: أن الله ﷻ ذكر هنا معيته للذين اتقوا ولمن هم محسنون، وهذه المعية تقتضي[1] في هذا الموضع شيئين:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٣)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٢٤٩)، وعدة الصابرين (ص٥٤)، وجامع العلوم والحكم (ص١٨٨).

الأول: أنه ﷻ مطلع عليهم، عالم بهم، محيط بأحوالهم، لا يفوته شيء من كلامهم، ولا من أحوالهم، ولا من تقلباتهم.

والثاني: أنَّه ﷻ معهم ناصرٌ لهم بتأييده، ونصره وتوفيقه، المعية هنا معية خاصة بالمؤمنين، ومعلوم أن المعية الخاصة للمؤمنين تُفسر بما تقتضيه وهي أنها معيةُ نصرٍ وتأييدٍ وتوفيقٍ وإلهام ونحو ذلك، وهذا متضمن للمعية العامة، وهي معية الإحاطة والعلم ونحو ذلك.

إذًا؛ وجه الاستدلال:

أولًا: أنه ذكر المعية.

ثانيًا: أنه ذكر معيته للمحسنين، فقال ﷻ: ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾، والمحسنون: جمع المحسن، والمحسن اسم لفاعل الإحسان، ففاعل الإحسان اسمه محسن، والإحسان هو الذي نتكلم عليه وهو المرتبة الثالثة.

ثم ذكر قوله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

ووجه الاستدلال من هذه الآية: أنه ذكر رؤية الله ﷻ لنبيِّه حال عبادته، وأنه يراه في جميع أحواله حين يقوم وتقلبَه في الساجدين من صحابته أثناء صلاته بهم ﷺ، فقال واصفًا نفسه: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، وهذا دليلُ الشَّقِّ الثاني من ركن الإحسان وهو قوله ﷺ: «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ**».

قال أيضًا: (وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾)، **ووجه الاستدلال:** قوله ﷻ هنا: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، وشهود الله ﷻ بما يعمله العباد من معانيه رؤيته ﷻ لهم وإبصاره ﷻ بهم، رؤيته ﷻ من معانيه كونه ﷻ شهيدًا، وهذا الاستدلالُ ظاهر؛ لأنَّ الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك، قال ﷻ هنا: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ أي شأنٍ تكونُ فيه ﴿وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ أنواعُ تلاوتك للقرآن، وأحوالُ ذلكَ في الصلاة، وخارج الصلاة، وأنتَ على جنبكَ، وأنتَ قائمٌ، أحوال ذلك ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ أحوال عملكم، كُلُّ ذلك مِنْكُم، فالله ﷻ شهيدٌ عليه، يرى أحوالكم فيه على تفصيلاتها، وهو شاهد وشهيد عليكم، يرى أعمالكم ويسمع كلامكم، ويبصر أعمالكم ﷻ، وهذا دليل أيضًا ظاهر الاستدلال.



وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ حَدِيثُ جِبْرِيلَ عليه السلام الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عليْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَال: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ. وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَال: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلدَ الأَمَةُ رَبَّتَها، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ». قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا. ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ: أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[١].

---

(١) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الشَّرح

ذكر رَحِمَهُ اللهُ الدليل من السُّنَّة، وهو حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ المشهور عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهذا حديث عظيم، سمَّاه بعض أهل العلم «**أمَّ السُّنَّة**»؛ أي: كما في القرآن «**أم القرآن**» فهذا الحديث «**أمُّ السُّنَّة**»؛ لأن جميع السُّنَّة تعود إلى هذا الحديث، فإنَّ هذا الحديث فيه بيان العقيدة، والعقيدة مبنية على أركان الإيمان الستة، وفيه بيان الشريعة، وذلك بذكر أركان الإسلام الخمسة وفيه ذكر الغيبيات والأمارات بل قبل ذلك فيه ذكر آداب السلوك والعبادة وصلاح توجه القلب والوجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بذكر الإحسان، وفيه ذكر الساعة وأماراتها، وهذا نوع من ذكر الأمور الغيبية ودلالات ذلك، فهذا الحديث يعود إليه جُلُّ السُّنَّة، كما أن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، قال طائفة من مفسري السلف[1]: دخل في

---

(١) أخرج الطبري في تفسيره (١٤/ ١٦٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٣٧١)، والطبراني في الكبير (٨٦٥٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٤٧٣)؛ أن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾).اهـ. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٦٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٨) «أن الحسن قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ الآية، ثم وقف فقال: إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئًا من طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئًا إلا جمعه».اهـ.

هذه الآية جميع أحكام الدين، وجميع أصول الأحاديث النبوية في هذا الحديث.

وهذا الحديث معروف بحديث جبريل عليه السلام، وروايته على هذا الطول عن عمر رضي الله عنه، ورُوِي أيضًا مُقَطَّعًا ببعض الاختصار في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه[1].

وهذا الحديث فيه ذِكْرُ الإسلام والإيمان والإحسان، وفيه أن هذه الثلاثة هي الدين؛ لأن في آخرها قال ﷺ: «**أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»، فإذًا؛ الدين الذي هو الإسلام منقسمٌ إلى ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

قوله: «**إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ**» في هذا مدح لهذه الصفة، وإحداهما مكتسبة والأخرى جبلية، أما شدة سواد الشعر فهذه جبلية لا تكتسب ولا يجوز أن يُصبغَ بالسواد لمن ليس بذي سواد، وأما شدة بياض الثياب فسياق هذا الحديث يقتضي مدح من كان على هذه الصفة؛ ولهذا كان النبي ﷺ يحب الثياب البيض، وكان يلبسها، وأمر ﷺ بتكفين الموتى فيها.

قوله: «**لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ**»؛ يعني: أنهم لا يعرفونه في المدينة، وأتى بهذه الصفة الجميلة «**شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ**» ليس عليه أثر الغبار ـ وعادة المسافر أن يكون كذلك ـ وأيضًا شديد بياض الثياب؛ كأنه خرج من بيته في نظافة أهله الساعة فكيف يكون ذلك؟! ففي

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٤).

هذه اللفظة إشعارٌ بأنه مستغرب أن يكون على هذه الصفة؛ لهذا قال بعدها: «**وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ**»، وقد جاء في بعض الروايات أن جبريل كان ربما أتاهم على صورة دحية الكلبي[١] ـ أحد الصحابة ـ فيسأل النبي ﷺ فيجيبه، وهذا غير مراد هنا؛ لأنه لا يتوافق مع قوله: «**وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ**» خلافًا لمن قال غير ذلك.

وهذا فيه التعليم، فإن جبريل عليه السلام أتى مُتعَلِّمًا ومُعلِّمًا، مُتعلِّمًا من جهة الهيئة والسؤال والأدب، ومُعلِّمًا حيث سأل لأجل أن يستفيد الصحابة رضي الله عنهم وتستفيد الأمة من بعدهم.

قوله: «**فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ**» الضمير راجع إلى جبريل عليه السلام والثاني إلى النبي ﷺ، وهذا فيه القرب من العالم والمسؤول حتى يكون أبلغ في أداء السؤال بدون رعونة صوت ولا إيذاء وأَفْهم للجواب.

قوله: «**وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ**» قيل فيها تفسيران[٢]:

التفسير الأول: الضمير الأول راجع إلى جبريل عليه السلام، والثاني راجع إلى النبي ﷺ قالوا ذلك؛ لأجل أن تكون الضمائر راجعة على نحو ما رجعت عليه الجملة الأولى؛ لأن توافق الرجوع أولى من تعارضه بلا قرينة.

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (٨/ ١٠١)، وفي الكبرى (٦/ ٥٢٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٢١٠)، والبزار في مسنده (٩/ ٤١٩) من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: فتح الباري (١/ ١١٦)، وشرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٥٧)، والديباج على مسلم للسيوطي (١/ ٨).

التفسير الثاني: وقال آخرون: الضمائر راجعة إلى جبريل عليه السلام؛ يعني: وضع كفي نفسه على فخذي نفسه، وهذا أدب منه أمام مقام النبي ﷺ.

وفي هذا أن طالب العلم ينبغي له أن يكون مُهيِّئًا نفسه، ومهيئًا المسؤول للإجابة على سؤاله، في حسن الجِلسة، وفي حسن وضع الجوارح، وفي القرب منه، وهذا نوع من الأدب مهم، فإن سؤال طالب العلم للعالم، أو سؤال المتعلم لطالب العلم له أثر في قبول العالم للسؤال وفي انفتاحه للجواب، وقد ذُكر في آداب طلب العلم وفي الكلام عليه أن بعض العلماء من السلف كانوا ينشطون لبعض تلامذتهم فيعطونهم، وبعضهم لا ينشطون له فيعطونه بعض الكلام الذي يكون عامًّا أو لا يكون مكتملًا من كل جهاته، وذلك راجع إلى حسن أدب المتعلم أو طالب العلم، فإنه كلما كان المتعلم أكثر أدبًا في جلسته وفي لفظه وفي سؤاله كلما كان أوقع في نفس المسؤول، فيحرص ويتهيأ نفسيًّا لجوابه؛ لأنه من احترَم احترُم، ومن أَقبَل أُقبِل عليه، فهذا فيه أن نتأدب جميعًا بهذا الأدب.

فمثلًا ألحظ على بعض المتعلمين أنه إذا أتى يسأل العالم يسأله بندية ولا يسأله على أنه مستفيد، فيجلس جِلسة العالم نفسه أو يجلس جلسة المستغني ويداه في وضع ليس من الأدب، واحدة هنا والأخرى هناك، وجسمه أيضًا في استرخاء تام ليس فيه الاستجماع، ونحو ذلك مما يدل على أنه غير متأدب مع العالم أو مع طالب العلم الذي سيستفيد منه، وهذه الآداب لها أثر على نفسية العالم أو المجيب، فإنك تريد أن تأخذ منه العلم، وكلما كنت أذلَّ

ـ على الوجه الشرعي ـ في أخذ العلم كلما كان العالم أكثر إقبالًا عليك؛ ولهذا تجد أن أكثر أهل العلم لهم خواص، وهذه الخصوصية راجعة إلى أن هذا المتعلم كان متأدبًا في لفظه، وفي تعامله، وفي كلامه، وفي حركته مع شيخه، مما جعل شيخه يثق فيه ويُقبل عليه، ويعطيه من العلم ما لا يعطيه غيره، ويعطيه من تجاربه في الحياة ومع العلم والعلماء وفي الأمور وفي الواقع بما لا يفيده غيرَ المتأدب معه، فهذه نأخذها من حديث جبريل عليه السلام، ونأخذها أيضًا من قصة الخضر مع موسى عليه السلام في سورة الكهف، وهي حَرِيَّة بالتأمل في آداب طلب العلم.

قوله: «**يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ**»؛ أي: اجعل كلامك لي خبرًا، وهذا سؤال عن نوع من أنواع الدين ألا وهو الإسلام المتعلق بالأعمال الظاهرة، فسأل عن الإسلام، ثم سأل عن الإيمان، ثم سأل عن الإحسان. إلى آخر الحديث. وفي قوله: «**أَخْبِرْنِي**» دلالة على أن النبي ﷺ مُخبِر؛ أي: ينقل الخبر عن الإسلام عن ربه عز وجل في ذلك، وهذا موافق لما هو متواتر في الشريعة؛ أن النبي ﷺ إنما هو مبلِّغ للدين عن الله عز وجل كما جاء في بعض الأحاديث القدسية «**قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ**»(١).

قوله: «**قَالَ: صَدَقْتَ**» وهذا فيه عجب أن يسأل ويصدِّق، وهذا

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا أو أخبرنا، وأنبأنا (١/ ١٧٤فتح)، وفيه: «وقال أبو الْعَالِيَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النبي ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ، وَقَالَ أَنَسٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عز وجل وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّكُمْ عَزَّ وَجلَّ».

فيه لفت انتباه الصحابة إلى هذه المسائل كيف يسأل ويصدق، فالمتعلم إذا أتى بأسلوبٍ في السؤال يلفت النظر ليستفيد البقية مع علم المسؤول فإن هذا أسلوب حسن من أساليب التعليم الشرعية، وذلك ليستفيد منه الآخرون؛ لأن النبي ﷺ يعرف أن هذا جبريل وتصديقه له دالٌّ على هذا بوضوح.

قوله: «**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، ذكر أركان الإيمان الستة، وهذه الأركان جاءت في القرآن أيضًا منها خمسة متتابعة جاءت في قوله ﷻ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وفي القدر جاء قوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، فأصول هذه الأركان جاءت أيضًا في القرآن.

وهذه الأركان الستة هي التي عُبِّر عنها بأركان الإيمان، والخمسة التي قبلها بأركان الإسلام.

ما معنى كونها أركانًا للإيمان؟ نلحظ مسألةً مهمة ينبغي أن يُنتبه لها، وهي أن لفظ **(أركان الإسلام)** ولفظ **(أركان الإيمان)** لم يرد في شيء من النصوص، فلم يرد أن للإسلام أركانًا ولا أن للإيمان أركانًا، وإنما عَبَّر العلماء بلفظ الركن اجتهادًا من عندهم، وإذا كان

كذلك فينبغي أن تُفهَم النصوص على ضوء هذا الأصل، وهو أن التعبير بالأركان إنما هو فهم لأهل العلم، وفهمهم صحيح بلا شك؛ لأن الركن هو: ما تقوم عليه ماهية الشيء، فالشيء لا يتصور قيامه إلا بوجود أركانه، فمعنى ذلك: أنه إذا تخلف ركن من الأركان ما قام البناء، فإذا تخلف الإيمان بالقدر ما قام بناء الإيمان أصلًا؛ لأن الركن في التعريف الاصطلاحي: هو ما تقوم عليه ماهية الشيء، فإذا تخلَّف ركن لم يقم الشيء أصلًا؛ يعني: لم يقم الشيء وجودًا شرعيًّا؛ لأن قيامه مبني على تكامل أركانه.

وهذا يورد علينا إشكالًا وهو: أنه في الإسلام قيل: هذه هي أركان الإسلام الخمسة، والعلماء لم يتفقوا على أن من ترك الحج والصيام ـ وهما من أركان الإسلام ـ أنه ليس بمسلم، واتفقوا على أن من ترك ركنًا من أركان الإيمان فإنه ليس بمؤمن أصلًا، وهذا يرجع إلى أن اصطلاح الركن اصطلاح حادث فينبغي أن تفهم ـ وخاصة في مسائل الإيمان والإسلام والتكفير وما يتعلق بها ـ أن العلماء أتوا بألفاظٍ للإفهام فهذه الألفاظ التي للإفهام لا تُحَكَّم على النصوص، وإنما النصوص التي تُحَكَّم على ما أتى العلماء به من اصطلاحات؛ أي: أن نفهم الاصطلاحات على ضوء النصوص، وأن نفهم النصوص على ضوء الاصطلاحات، فإذا صار الاصطلاح صحيحًا من جهة الدليل الشرعي رجعنا في فهم الدليل الشرعي للاصطلاح ففهمنا ذلك، وهذا يتضح ببيان أركان الإسلام، فإنه لو تخلف ركنان من أركان الإسلام ـ تخلف الحج مثلًا والصيام ـ فإن أهل السُّنَّة والجماعة ما اتفقوا على أن من لم يأتِ بالحج

والصيام فإنه ليس بمسلم بل قالوا: هو مسلم؛ لأنه شهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ ولأنه أقام الصلاة مثلًا، واختلفوا فيما عدا ذلك من الأركان فيما إذا تركها، ولم يأتِ بها دون جحد لها مع أنه تخلف عنه ركن أو أكثر، وهذا يعني: أنه في فهم أركان الإسلام نجعل هذه الأركان تختلف في تعريف الركن عن فهم أركان الإيمان، فنقول: في أركان الإسلام يُكتفَى في الإسلام بوجود الشهادتين والصلاة وفي غيرهما خلاف، وأما في أركان الإيمان فمن تخلَّف منه ركن من أركان الإيمان فإنه ليس بمؤمن، هذا من حيث التأصيل.

فإذًا نقول: يمكن أن يسمَّى مسلمًا ولو تخلَّف عنه بعض أركان الإسلام، ولا يصح أن يسمى مؤمنًا إن تخلَّف عنه ركن من أركان الإيمان.

إذا تقرر هذا فأركان الإيمان الستة هذه فيها قدر واجب لا يصح إسلامٌ بدونه، قدرٌ واجب على كل مكلف من لم يأتِ به فليس بمؤمن، وهناك قدر زائد على هذا تبعٌ للعلم أو تبع لما يصله من الدليل، فما القدر المجزئ الذي من لم يأت به صار كافرًا؟ هناك قدر مجزئ في الإيمان بالله، وبالملائكة، وبالكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر، وقد سبق تفصيل ذلك[1].

قال: «**وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، وقوله: «**خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، الشر هنا من باب إضافة القدر إلى العامل، أما فعل الله ﷻ فليس فيه شر

---

(١) راجع (ص١٦٨ وما بعدها).

كما جاء في الحديث: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[(١)].

قوله: «**قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَان. قَالَ:** «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قال العلماء: الإحسان هنا ركن واحد، والإحسان جاء في القرآن مقرونًا بالتقوى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] ومقرونًا بالعمل الصالح، ومقرونًا بأشياء أُخْرَى، وأيضًا أتى الإحسان مستقلًا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ويُراد بالإحسان: إحسان العمل، وقوله هنا في بيان ركنه: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، هذا ركن به يحصل الإحسان؛ لأن الإحسان مِنْ أَحْسَنَ العمل إذا جعله حسنًا، وإحسان العمل يتفاوت فيه الناس، ومنه قدر مجزئ يصح معه أن يكون العمل حسنًا وأن يكون فاعله محسنًا، فكل مسلم عنده قدر من الإحسان لا يصح عمله بدونه، ثم هناك القدر المستحب الآخر الذي يتفاوت الناس فيه بحسب الحال الذي يتحقق به هذه المرتبة.

فأما القدر المجزئ: فأن يكون العمل حسنًا، بمعنى: أن يكون خالصًا صوابًا.

وأما القدر المستحب: فأن يكون قائمًا في عمله على **مقام المراقبة** أو **مقام المشاهدة**، ومقام المراقبة أقل، ومقام المشاهدة أعظم المراتب التي يصير إليها العبد المؤمن، وهو أن تكون الأشياء عنده حق اليقين.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فأما المرتبة الأولى ـ مرتبة المراقبة ـ: فهي في قول النبي ﷺ: «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، وهي مقام أكثر الناس، فإنهم إذا وصلوا إلى هذه المرتبة فإنهم يعبدونه عز وجل على مقام المراقبة، فإذا راقب الله بأن دخل في الصلاة بمراقبة الله، ويعلم أن الله عز وجل مطلع عليه، وأنه بين يديه، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، فهذا مقام الإحساس بمراقبة الله عز وجل للعبد.

وقد قال النبي ﷺ: «**صَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ**»(١) لتعلم أن الله عز وجل مراقبك، وأنه مطلع عليك، وما تفيض في شيء إلا وهو يعلمه ويراه منك سبحانه وتعالى، وكلما عظمت هذه رجعت إلى إحسان العمل، فإذا تحرك المرء في صلاته فاستحضر مقام مراقبة الله عز وجل له واطلاعه عليه، فإنه مباشرة سيخشع لاستحضاره هذا المقام مقام المراقبة.

وأما مقام المشاهدة: فهو أعلى من مقام المراقبة، وهو الذي أخبر به النبي ﷺ بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»، وهذه المشاهدة المقصود بها مشاهدة الصفات لا مشاهدة الذَّات؛ لأن الصوفية والضُّلَّال هم الذين جعلوا ذلك مدخلًا لمشاهدة الذات ـ كما يزعمون ـ وهذا من أعظم الباطل والبهتان، وإنما يمكن مشاهدة الصفات ويُعنى بها: مشاهدة آثار صفات الله عز وجل في خلقه، فإن العبد المؤمن كلما عَظُم علمه ويقينه بصفات الله جل جلاله، وبأسمائه،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٧١)، والإمام أحمد في المسند (٥/ ٤١٢)، والطبراني في الكبير (٣٩٨٧)، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

أرْجَع كل شيء يحصل في ملكوت الله إلى اسم من أسماء الله ﷻ، أو إلى صفة من صفاته، فأي حالة من الحالات يراها في السماء أو في الأرض، فإن مقام مشاهدته لصفات الله تقتضي أنه يُرجع كل شيء يراه إلى آثار أسماء الله ﷻ وصفاته في خلقه؛ ولهذا يحسن هذا المقام لمن عظم علمه بأسماء الله ﷻ، وبصفاته، وبأثرها في ملكوته، فيأتي ـ لعظم علمه بذلك ـ حتى يشهد صفة إحاطة الله ﷻ بالعبد، وأن الله رقيب عليه، وأنه محيط به، وأنه شاهد عليه، فيعظُم ذلك في نفسه حتى يستحيي أن يكشف عورته في خلوة لا يراها إلا هو كما جاء في الحديث «**فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ**»(١)، هذا لأجل مقام المشاهدة العظيم.

فإذًا؛ أهل السُّنَّة، والذين يتكلمون في الزهد وفي إصلاح أعمال القلوب على منهج أهل السُّنَّة يجعلون الإحسان على مقامين: المراقبة، والمشاهدة.

وكل هذا راجع إلى إحسان العمل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، كلما عظم مقام المراقبة أو المشاهدة زاد إحسان العمل.

قوله: «**ثُمَّ انْطَلَقَ**»؛ يعني: جبريل ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم في كتاب الغسل، باب من اغتسل عريانًا وحده في الخلوة (١/ ٤٥٨فتح)، وأبو داود (٤٠١٧)، والترمذي (٢٧٦٩)، وأحمد في المسند (٣٣/ ٢٣٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (١/ ٢٨٧)، والبيهقي في الكبرى (١/ ١٩٩) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده.

قوله: «**فَلَبِثْتُ**»: اللابث عمر رضي الله عنه.

قوله: «**مَلِيًّا**»: جاءت في بعض الروايات: «**فَلَبِثْتُ ثلاثًا**»[١]؛ أي: ثلاثة أيام.

قوله: «**ثُمَّ قَالَ لي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»**، أخبره ﷺ بذلك حتى يَعْظُم وقع هذه الأسئلة وجواب هذه الأسئلة.

وبهذا يتم ذكر الأصل الثاني من أصول دين الإسلام، ألا وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة.

ملخص ذلك: ذكر الشيخ أن الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة، عرَّف الإسلام، وذكر أركانه، وذكر معنى الشهادتين، شهادة أن لا إلـٰه إلا الله، ففسَّر التوحيد وأدلة شهادة أنَّ محمدًا رسول الله، وبيَّن معنى الشهادة بأن محمدًا رسول الله، ثم بيَّن أدلة أركان الإسلام الباقية، ثم ذكر المرتبة الثانية وهي الإيمان، ثم ذكر المرتبة الثالثة وهي الإحسان، ودلائل ذلك كله على نسق ووضوح يسهل معه الفهم ويسهل معه الإفهام.

ولهذا ينبغي لنا أن نحرص على هذه الرسالة، وتعليمها للعوام، وللنساء في البيوت، وللأولاد ونحو ذلك، على حسب مستوى من يخاطب في ذلك، وقد كان علماؤنا ـ رحمهم الله تعالى ـ يعتنون بثلاثة الأصول هذه تعليمًا وتعلمًا، بل كانوا يلزمون عددًا من

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، وابن ماجه (٦٣)، وأحمد في المسند (١/ ٥١)، وابن حبان (١/ ٢٩١)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الناس بعد كل صلاة فجر أن يحفظوا هذه الأصول ويتعلموها، وذلك هو الغاية في رغبة الخير، ومحبة الخير لعباد الله المؤمنين، إذْ أعظم ما تُسدي للمؤمنين من الخير، أن تُسدي لهم الخير الذي ينجيهم حين سؤال الملكين للعبد في قبره؛ لأنه إذا أجاب جوابًا حسنًا صحيحًا عاش بعد ذلك سعيدًا، وإن لم يكن جوابه مستقيمًا ولا صحيحًا عاش بعد ذلك ـ والعياذ بالله ـ على التوعد بالشقاء والعذاب.



الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذرّيّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ: ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

الشَّرح

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ**)، وقد سبق بيان أن:

الأصل الأول: معرفة العبد ربه؛ يعني: معبوده.

والأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة.

وذكر هنا الأصل الثالث: معرفة النبي محمد ﷺ، والمراد هنا بالمعرفة: العلم به على نحو ما سبق في الكلام على الأصل الأول، **فَمَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ** ﷺ: معناه العلم به وبحاله، العلمُ بنسبه، وأنه مِنْ العرب، بل مِنْ أشرف العرب قبيلةً، وأنَّه كانَ في عمره له كذا وكذا، نبئ وأرسل، قام داعيًا يدعو إلى التوحيد، ويُنْذِرُ عن الشرك، وما يتصل بذلك من المباحث.

فحقيقةُ هذا الأصل العلمُ ببعض سيرةِ النبي ﷺ، وهذا العلم متعين لتكون الشهادة بأنَّ محمدًا رسول الله على علم ومعرفة، فإنه إذا قال: أشهد أنَّ محمدًا رسول الله، فإذا قيل له: من محمد هذا؟

فلم يعرفه، كانت شهادته مدخولة؛ ولهذا فإنَّ معرفة هذا الأصل يكون به الجواب بتوفيق الله على سؤال القبر الثالث، ألا وهو: من نبيك؟ يشهد المسلمُ أنَّ محمدًا رسول الله، لكنَّ هذه الشهادة يتبعها أن يكون عالمًا وعارفًا بمحمد هذا مَنْ هو؟ ﷺ.

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ موضحًا هذا الأمر: **(وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ)** أما تسميته ﷺ بمحمد:

* فقال طائفة من أهل العلم: لم يُسمَّ قبله ﷺ في العرب أحد بهذا الاسم، وإنما كانت العرب تسمي أحمد، وتسمي حَمْد، وكُلُّ ذلك مشتقٌ من الحمد رغبةً في أن يكون هذا الولد من ذوي الحمد، وممن يحمده الناس على خصاله.

* وقال آخرون: بل العرب تَسَمَّت بمحمد، لكن قليل، إمَّا اثنان أو ثلاثة.

وهذا الثاني صحيح، إن صح النقل عن أهل التاريخ بتسمية أولئك النفر بمحمد، ممن هم في عصره ﷺ، أو قبل ذلك بقليل[١].

محمدٌ معناه: كثير الخصال التي يستحق عليها الحمد، فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمد، ذو العرش هو الله عَزَّ وَجَلَّ صفاتُه وأفعالُه وأسماؤه كلها يُحمد عليها، يُثنى عليه بها، وتسمية جد النبي ﷺ له بمحمد، على رجاء أن يكونَ مِنْ أهلِ خصال الخير، التي يكثرُ

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٢/ ٢٥٩)، وفتح الباري (٦/ ٥٦٦)، والإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٣٢٦)، وأخبار مكة للفاكهي (٣/ ١١٦).

مِنْ أجلها حَمْدُ الناس له عليها[١]، وهذا كان وصار ظاهرًا، فإنه ﷺ خصالُه كلها، وصفاته كلها يُحمد عليها؛ لأن خصاله ﷺ خيرٌ، حتى ما كان منه قبل البعثة وقبل النبوءة وقبل الرسالة، وقد كان كثير صفات الخير.

فإذًا؛ التسمية بمحمد تسمية من قبيل التفاؤل، كانت العرب تعرف ذلك، وكانوا يسمون خالدًا تفاؤلًا بأن يكون من أهل المكث الطويل في الدنيا ومن أهل الأعمار الطويلة، وكانوا يسمون عاصيًا تفاؤلًا بأن يكون على أعدائهم من ذوي العصيان، وكانوا يسمون صخرًا ليكون شديدًا كالصخر على أعدائهم... وهكذا، فكثيرٌ من العرب إذا سموا رأوا المعنى، وتسمية النبي ﷺ لوحظ فيها ذلك، على رجاء أن يكون ﷺ كثير الصفات التي يُحْمدُ عليها، وكان ما أمَّله جَدُّه في تسميته بمحمد، قد حصل، فأعظم ذلك أنه كان ﷺ رسولًا مرسلًا من عند الله ﷻ.

فهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، وقريشٌ أفضلُ العرب وصفوتهم، فأفضل قبائل العرب قريش، وهذا كما جاء في الحديث: **«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ»**[٢] وأفضل قريشٍ بنو هاشم، وأفضلُ بني هاشم محمدٌ ﷺ، فكما جاء في الحديث الصحيح، قال بعد ذلك: **«فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ»**[٣].

---

(١) انظر: شعب الإيمان (٢/ ١٤٢)، وزاد المعاد (١/ ٨٩)، وجلاء الأفهام (ص١٨٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٨٣)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٥٥)، =

قوله: (**وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ**)، المراد بالعرب العربُ المستعربة؛ لأن العرب قسمان عند أهل النسب[(١)]:

الأول: عرب عاربة: وهؤلاء انقرضوا إلَّا قحطان في اليمن.

الثاني: وعرب مستعرِبة: وهم الذين لم يكونوا أصلًا من العرب، لكنهم دخلوا وصاروا عربًا بانفتاق لسانهم عن العربية، وبتكلمهم بالعربية، وأكثر قبائل العرب من هذا الجنس؛ العرب المستعربة وهم العرب، وقد جاء في الحديث الصحيح؛ أن النبي ﷺ قال: «**أَوَّلُ مَنْ فُتِقَ لِسَانُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الْمُبَيَّنَةِ إِسْمَاعِيلُ** عليه السلام»[(٢)]، وذلك كما هو معلوم أن إسماعيل لما أتى به أبوه إبراهيم، وأتى بأمه

= والأوسط له (٦/ ١٩٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ١٣٩)، وابن قدامة المقدسي في إثبات صفة العلو (ص٧٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قال ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٢/ ٢٤٨، ٦/ ١٩٩): (وهذا لا أعلم أحدًا يرويه غير محمد بن ذكوان، ولمحمد بن ذكوان غير ما ذكرت من الحديث، وعامة ما يرويه إفرادات وغرائب، ومع ضعفه يكتب حديثه). وقال ابن أبي حاتم في علل الحديث (٢/ ٣٦٧): (قال أبي: هذا حديث منكر)، وانظر: الضعفاء للعقيلي (٤/ ٣٣٨).

(١) انظر: البداية والنهاية (١/ ١٢٠)، وفتح الباري (٦/ ٥٣٧).

(٢) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٩٢)، قال الحافظ في الفتح (٦/ ٤٠٣): رواه الزبير بن بكار في النسب من حديث علي رضي الله عنه بإسناد حسن، وقال السيوطي في المزهر في علوم اللغة (١/ ٣١): رواه الشيرازي في كتاب الألقاب من حديث علي رضي الله عنه، مرفوعًا إلى النبي ﷺ. وأخرج الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٢)، وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٣٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه، قال: «**أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَوُضِعَ الْكِتَابُ عَلَى لَفْظِهِ....**». الحديث.

وجعلهما في مكة، نَاسبَ العربَ فصار مُلْهَمًا مِنْ عند الله ﷻ بانفتاق اللسان عن العربية الفصحى، وهذا كما جاء في الحديث على أن كثيرًا من أهل النسب ينازعون في هذا الأخير.

قال: (وَالْعَرَبُ مِنْ ذرّيّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عليْهِ وَعَلى نَبِيِّنا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ)؛ يعني: أنَّ قبائل العرب المعروفة قريش، وهذيل، بنو تميم، بنو دوس إلى آخره، أن هؤلاء جميعًا من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، النسَّابون يصلون بالنسب تارات بأنساب القبائل إلى إسماعيل ولكن المعروف عند العرب في عهد النبي ﷺ وقبله، أنهم يمكنهم وصل أنسابهم إلى عدنان، وأما بعد ذلك إلى إسماعيل فإنه لا يثبت ولا يمكن التصديق به(١).

العرب كثيرون؛ فالنبي ﷺ بُعث من العرب كما قال ﷻ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾؛ أي: من جنسكم العربي، من قبائلكم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال ﷻ: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ونحو ذلك من الآيات.

فإذًا؛ النبي ﷺ ابنٌ لعبد الله، وهو والده الأدنى، وابن لإسماعيل بن إبراهيم، وهو والده الأعلى، وهذان وهما عبد الله وإسماعيل هما الذبيحان، فقد جاء في حديثٍ ضعيف السند لكنه

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله: «إلى هاهنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين ولا خلاف فيه البتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام وإسماعيل هو الذبيح». انظر: زاد المعاد (١/ ٧١).

صحيح المعنى؛ أنه قال ﷺ: **«أَنَا ابنُ الذَّبِيحَيْنِ»**[1]، المراد بالذبيحين: عبد الله؛ لأنه أباه لما استقسم فنذر أن يذبح إن خرج له دوس فنذر أن يذبح ولده، ثم حصل له قصة ما هو معروف فصار ذبيحًا، فكاد أن يُذبح، وإسماعيل كذلك، فهو الذي جاء فيه قول الله ﷻ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠٢]، وهذا هو الصحيح، فإن الابن الذي استسلم لأبيه، صابرًا، محتسبًا، مطيعًا، لأبيه ومطيعًا لربه ﷻ هو إسماعيل أبو العرب.

واليهود تزعم أن الذبيح هو إسحاق، وهذا باطل؛ لأن الله ﷻ قال في سورة الصافات: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠١، ١٠٢] فوصف هذا الابن بأنه حليم، وهذا الوصف بالحلم في القرآن لإسماعيل عليه السلام، وأما إسحاق فإنه يوصف بأنه عليم؛ قال: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ هذا من صفة إسماعيل عليه السلام؛ ولهذا في هذه الآيات بعدها قال: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ [الصافات: ١١٣]، فبشِّر بإسحاق بعد ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٨٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٤)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٦/ ٢٠١) من حديث معاوية رضي الله عنه. وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٩): (وهذا حديث غريب جدًّا)، وأشار السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٠٥) إلى ضعفه. والحديث حسَّنه العجلوني كما في كشف الخفاء (١/ ٢٣٠).

فالصحيح: أن النبي ﷺ هو ابن الذبيح عبد الله والده الأدنى، وهو ابن الذبيح إسماعيل عليه السلام والده الأعلى، وأما القول بأن الذبيح إسحاق عليه السلام، فإن هذا باطل[1]، وإنما دسَّه اليهود في المسلمين، حتى كثُر في كتب التفسير، كي يأخذوا هذا الفخر، وهو أن إسحاق عليه السلام هو الذي صبر، واحتسب واستسلم وابتلي بهذا البلاء العظيم.

قال: (وَالْعَرَبُ مِنْ ذرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلام)، الخليل هو إبراهيم عليه السلام؛ كما قال عز وجل: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، ووُصف بالخُلة إبراهيم ونبينا محمد ﷺ، فإبراهيم هو خليل الله، وموسى كليم الله، وأمَّا نبيُّنا محمد ﷺ فإنه اجتمع فيه الوصفان اللذان خُصَّ بهما إبراهيم وموسى، فهو خليل الله، كما أن إبراهيم عليه السلام خليل الله، وهو كليم الله، كما أن موسى عليه السلام كليم الله، كلَّمه الله عز وجل ليلة المعراج[2].

قال هنا: (وَلَهُ مِنَ العُمْرِ: ثلاثُ وسِتُّونَ سنةً)؛ أي: من مبدأ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأيضًا فإن فيها أنه قال لإبراهيم: اذبح ابنك وحيدك، وفي ترجمة أخرى: بكرك، وإسماعيل هو الذي كان وحيده وبكره باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، لكن أهل الكتاب حرفوا فزادوا إسحاق، فتلقى ذلك عنهم من تلقاه، وشاع عند بعض المسلمين أنه إسحاق، وأصله من تحريف أهل الكتاب». انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٣١ ـ ٣٣٦)، ومنهاج السُّنَّة النبوية (٥/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٦)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

ميلاده إلى وفاته ﷺ عمره ثلاث وستون سنة، ولد ﷺ عام الفيل، وعاش أربعين سنة، ثم بعد ذلك نُبئ وبعدها أُرسل، ولما مضى عليه بعد ذلك عشر سنين عُرج به كما ذُكر، وبعد ذلك بثلاث سنين ترك مكة إلى المدينة مهاجرًا، فصار عُمُره حين الهجرة ثلاثًا وخمسين سنة، ومكث في المدينة عشرة أعوام وأشهرًا، وصار عمره ثلاثًا وستين سنة ﷺ. فصَّل ذلك **فقال**: **(مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ)**، النبوّة تسبق الرسالة، **(وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا)** قال بعض أهل العلم(١): إنه ﷺ مكث ثلاث سنين نبيًّا، ثم عشرون سنة نبيًّا رسولًا؛ لأنه كما قال الشيخ هنا: **(نُبِّئَ بِـ(اقْرَأْ) وَأُرْسِلَ بِـ(الْمُدَّثِّر)**.



(١) انظر: البداية والنهاية (٣/١٧)، وفتح الباري (٩/٤).

نُبِّئَ بِـ(اقْرَأْ) وأُرْسِلَ بـ(الْمُدَّثِّر)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وَبَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

الشَّرْح

قال: **(منها أربعون قبل النُّبُوَّةِ)**، ثم **قال: (نبئ)**، وهذان لفظان مختلفان: **الأول: (النبوة)، والثاني: (نُبئ)**، نبئ من النبوءة بالهمز، **ونُبِّيَ** من النبوة، وفرق بين النبوة والنبوءة، وفرق بين النبي والنبيء لغة، أما من حيث الشرع فالنبي والنبيء واحد، وهما قراءتان مشهورتان سبعيتان متواترتان بالقرآن كله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]، القراءة الأخرى: ﴿يا أيها النَّبِيءُ لم تحرم ما أحل الله لك﴾ [التحريم: ١]، والنبيين، والقراءة الأخرى والنبيئين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، ﴿يا أيها النَّبِيءُ اتق الله﴾ [الأحزاب: ١]، قراءتان مشهورتان، أشهر من يقرأ بالنبي عاصم، وأشهر من يقرأ بالنبيء نافع(١).

النبوة من الارتفاع؛ كأنه صار في نَبْوَة من المكان؛ أي: في مرتفع منه، وسبب هذا الارتفاع الإنباء(٢)، والنبوءة من الإنباء أنبأه فصار نبيئًا(٣)؛ يعني: منبئًا.

---

(١) انظر: نقط المصحف لأبي عمرو الداني (ص١٣٥)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي (ص٨٢).

(٢) انظر: التعاريف للمناوي (ص٣٠٧)، والقاموس المحيط (٣/ ٣٧٢) مادة (نبا)، ولسان العرب (١/ ١٦٣).

(٣) انظر: القاموس المحيط (ص٦٧)، ولسان العرب (١/ ١٦٢).

قال: (**نُبِّئَ بِـ(اقرأ)**) هذا من الإنباء، ولا يصلح أن يُقال: (**نُبِّيَ بِإقْرَأْ**)؛ لأن (**نبي**) من الارتفاع، ليس من الإنباء والإخبار والإيحاء، نبي من الارتفاع، فيقال: نبوة، فإذا أردت الفعل تقول: نبئ، أنبئ؛ لأنه من الإنباء

فإذًا؛ نقول: يا أيها النبي، السلام على النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته؛ لأنه صار مرتفعًا عن غيره من أهل الأرض بما أوحى الله ﷻ إليه، أو النبوءة وهي التي هنا قال: (**نبئ**) بمعنى أوحي إليه منبئًا به، (**نُبِّئَ بِـ(اقْرَأْ)،...**)، قبل ذلك قال: (**وَثَلَاثٌ وَعِشْرُوْنَ نَبِيًا رَسُولًا**)، يريد بعضًا منها نبيًّا، وبعضا منها نبيًّا رسولًا.

وقد سبق بيان الفرق بين النبي والرسول، وأن النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، أو أمر بتبليغه لقوم موافقين[1]، ومعلوم أنه إذا قلنا لم يؤمر بتبليغه، أن هذا على سبيل الوجوب، لكن قد يبلغ ولا يكون التبليغ واجبًا عليه؛ فالنبي هو: من أوحي إليه بشرع؛ أي: بدين، وأمر بتبليغه أو لم يؤمر بتبليغه. إذا قلنا لم يؤمر بتبليغه يعني وجوبًا، وقد يبلغ ذلك استحبابًا؛ فالنبي ﷺ قبل أن يُرسل بالمدثر بلَّغ ما أوحى الله ﷻ إليه، بلَّغه خاصته؛ كأبي بكر، وخديجة رضي الله عنهما، ونحو ذلك.

وهذا التبليغ ـ على التعريف ـ ليس على سبيل الوجوب، بل هذا من جهة الاستحباب؛ لأن هذه فترة النبوة، فإذا كان تعريف

(١) يراجع: (ص٣٨ ـ ٣٩).

النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه؛ أي: وجوبًا، أو أمر بتبليغه لقوم موافقين فإنه يكون تبليغه فيما لو بلغ يكون على وجه الاستحباب، ليس على وجه المطالبة من الله ﷻ له بذلك، وقد يطالب فيؤمر بتبليغه، فإذا أمر بتبليغه لقوم يخالفونه، لقوم مشركين، فإنه يكون ذلك الأمر إرسالًا، ولهذا قال: (**نُبِّئَ بِـ(اقْرَأْ)**...).

قال ﷻ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]؛ كما هو معروف في حديث عائشة رضي الله عنها المشهور؛ أنها قالت ـ وهذا في أول الصحيح[(١)] ـ: «**أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ في النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ**»، وساقت خبر إتيانه بالوحي، ورجوعه إلى خديجة رضي الله عنها، وما حصل في ذلك.

فنبئ بـ (اقرأ)؛ أي: جاءه الوحي، فقال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، قَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**» ظنَّ ﷺ أن جبريل يريده أن يقرأ شيئًا مكتوبًا، فقال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، لست من أهل القراءة[(٢)]، خلافًا لما قد يُظن، أو ما حمل عليه بعضهم أن قوله: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، لست بقارئ؛ يعني: لن أقرأ[(٣)]، ولم يرفض هذا الطلب ﷺ، لكن قال: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»؛ أي: لست بقارئ؛ أي: لست من أهل

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: فتح الباري (١/ ٢٤).

(٣) ممن ذهب إلى ذلك: الطيبي، وأبو شامة؛ كما ذكر الحافظ. انظر: المصدر السابق.

القراءة؛ لأنه لا يقرأ ولا يكتب ﷺ، فقال له مرة أخرى: اقْرَأْ. قَالَ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**»، ثم جاءه في الأخيرة ككل مرة غطَّه، ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ١ ـ ٤]، فنزل بها رسول الله ﷺ من غار حراء الذي كان يتحنث فيه يرجف فؤادُه، حتى أتى خديجة، فقصَّ عليها الخبر، فقالت له: «كَلَّا وَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»، ثم قالت لورقة بن نوفل ما قاله لها ﷺ، وقص عليه ﷺ الخبر، فقال: هَذَا وَالله هُوَ النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى موسى عليه السلام ـ **والناموس**: ملك الوحي الذي كان يأتي موسى عليه السلام ـ يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ـ أَيْ: فِي مَكَّةَ ـ لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟**» قَالَ: لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ. فَمَا لَبِثَ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الوَحْيُ. أو كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها المعروف المخرج في الصحيحين، وهو في أوائل صحيح البخاري(١).

نُبِئَ بـ(اقرأ) فمكث فيها مدة، وهذه المدة فتر فيها الوحي.

ثم بعد ذلك **(أُرْسِلَ بالْمُدَّثِّر)**، أنزل الله عز وجل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢]، فصار الواجبُ هنا الإنذار، والإنذار ـ كما سيأتي ـ يكون لقوم وقعوا في شيء يُنْذَرُون عنه، فصار هذا علامةً على الرسالة، ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أنذر مَنْ؟ **الجواب:** جاء

(١) سبق تخريجه (ص٢٠٧).

ذلك مبينًا في الآية الأخرى حيث قال ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، هذه كانت بداية الإرسال وبداية الإنذار ﷺ.

وأُرسِل بـ(الْمُدَّثِّر)؛ أي: صار رسولًا بنزول أول سورة المدثر عليه.

(**وَبَلَدُهُ مكَّة**) هو من أهل مكة ﷺ فقد كان يقول في مكة: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ، وَاللهِ لَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»(١) فبلده مكة، وكان ﷺ يحبها، وقال ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**»(٢) كانت أحجار مكة تحبه ﷺ، وهذا الحجر بخصوصه أنطقه الله للسلام عليه ﷺ، قال: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ**»؛ أي: بصريح السلام: السلام عليك يا رسول الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٢٥)، والنسائي في الكبري (٢/ ٤٧٩)، وابن ماجه (٣١٠٨)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ٣٠٥) من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري. قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن غريب صحيح). قال الحافظ في فتح الباري (٣/ ٦٧): (وهو حديث صحيح أخرجه أصحاب السنن). وأخرجه الترمذي (٣٩٢٦) وابن حبان (٩/ ٢٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٦١) والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٤٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال أبو عيسى: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه)، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(وَبَلَدُهُ مَكَّةُ) وهذه البلد هي التي نبئ فيها، وهي التي أرسل فيها، وهي التي بها عشيرته وقومه وأهله وقرابته، وبعثه الله ﷻ ينذر ويبشر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢].

أوضح الشيخ هنا **قال: (وَبَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوحِيدِ)**، ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ ينذر عن أي شيء؟ ينذر عن الشرك؛ أي: يخوّف، والإنذار: إعلامٌ فيه تخويف عَنْ شيءٍ يمكن تداركه، لكن وقت تداركه يطول بخلاف الإشعار؛ لأنه عندنا ثلاثة ألفاظ: إعلام، إنذار، إشعار:

الإعلام: مجرد إيصال الخبر.

الإنذار: إعلام فيه تخويف، مدة الاستدراك فيه طويلة.

الإشعار: إعلام فيه تخويف، لكن مدة استدراكه قليلة كما قال الشاعر(١):

أنذرتَ عَمْرًا وَهُوَ فِي مَهَلٍ ... قَبْلَ الصَّبَاحِ فَقَدْ عَصَى عَمْرُو

فدَّل على أن الإنذار يكون بعده مدة يمكن الاستدراك بها فقوله: **(ينذر عن الشرك)** يخوف من النار، يخوف من عذاب الله، يخوف من سخط الله؛ كما قال ﷻ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣].

فإذًا؛ الإنذار يكون عن الشرك، وعما يكون عقابًا لأهل الشرك من أنواع العقوبات في الدنيا بالهلاك والاستئصال، وفي الآخرة بالعذاب والنكال.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١/ ١٨٤).

(وبعثَهُ اللهُ بالنَّذَارَةِ عنِ الشِّرْكِ، ويدعُو إلى التَّوحيدِ)، الإنذار والنهي عن الشرك مقدم هنا، قدمه على الدعوة إلى التوحيد، وهذا التقديم هو المفهوم من كلمة التوحيد لا إلـٰه إلا الله، وهو المفهوم من قوله ﷻ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، فقوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يعني: أنذر عن الشرك، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ كما سيأتي معناه، أن معناه عظِّمه بالتوحيد، فإذًا قال: **(بالنَّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوحِيدِ)** هو معنى **(لا إلـه إلا الله)**.

ذكر العلماء أن ثَمَّ مناسبة هنا وهي أن الإنذار عن الشرك هذا فيه تخلية، والدعوة إلى التوحيد تحلية، **ومن القواعد المقررة أن التَّخْلِيَة تسبق التَّحْلِيَة** لهذا النهي عن الشرك والإنذار عن الشرك إخراج لكل ما يتعلق به القلب؛ لأنه قال: لا يتعلق القلب بأي أحد من هذه الآلهة، ثم إذا خلا القلب من التعلق بأحد، أمره بأن يتعلق بالله ﷻ وحده دون غيره[(١)].



(١) قال أبو السعود في تفسيره (١/ ٢٥٠): «وتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان به تعالى لتوقفه عليه، فإن التخلية متقدمة على التحلية». وانظر: فتح الباري (٥٤١/١٣).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ ـ ٧].

وَمَعْنَى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا وَأَهْلَهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا.

الشَّرح

قال: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾)، المُدَّثِّرُ: هو المتغطي، المتدثر بأغطيته وأكسيته وملابسه أو نحو ذلك. **قال:** ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ هذا للوجوب.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَمَعْنَى** ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ **يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ**) ـ كما سبق ـ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ **عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ**)؛ يعني: أن قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ معناه: خُصَّ ربك بالتكبير؛ لأنه قدم المفعول وأصل الكلام: كبِّر ربك. فقدَّم المفعول على العامل فيه وهو الفعل، فدل على الاختصاص.

قال الشيخ: (**مَعْنَى** ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ)، وهذه لا شك من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من العلم الغزير العظيم الذي يحتاج إلى إيضاح وبسط، ذلك أن التكبير جاء في القرآن وله خمسة موارد:

الأول: تكبير الله ﷻ يكون في ربوبيته؛ أي: اعتقاد أنه أكبر من كل شيء يُرى أو يُتوهم أو يُتصور أنه موجود، فهو أكبر من كل شيء في ربوبيته، في ملكه، في تصريفه لأمره، في خلقه، في رزقه، في إحيائه، في إماتته، إلى آخر معاني الربوبية، قال ﷻ: ﴿وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا﴾ [الإسراء: ١١١]، الله أكبر يشمل هذا المعنى، ويشمل غيره من معاني التكبير التي ستأتي.

الثاني: أن الله ﷻ أكبر من كل شيء في استحقاقه الإلـٰهية والعبادة وحده دون غيره، فإن العبادة صُرفت لغير الله، وهو ﷻ أكبر وأعظم وأجل من كل هذه الآلهة التي صرفت لها أنواع من العبادة؛ فالتكبير يرجع إلى الربوبية وهو الأول، وهذا التكبير يرجع إلى استحقاقه الإلـٰهية.

الثالث: تكبير يرجع إلى الأسماء والصفات؛ أي: أن الله ﷻ أكبر من كل شيء في أسمائه وصفاته، فإنه في أسمائه أكبر من كل ذوي الأسماء؛ فالأشياء لها أسماء، لكن أسماء الله ﷻ أكبر من ذلك، لما فيها من الحسن، والبهاء، والعظمة، والجلال، والجمال ونحو ذلك، وكذلك في الصفات، فصفاته عُلا، كما قال ﷻ: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾ [النحل: ٦٠]؛ أي: له الاسم الأعلى، وله النعت الأعلى، وقال ﷻ: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال ﷻ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، ونحو ذلك، فهو ﷻ أكبر من كل شيء في أسمائه وصفاته.

الرابع: كذلك قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾؛ أي: في قضائه وقدره

الكوني؛ فالله ﷻ في قضائه وقدره الكوني أكبر، فقضاؤه وقدره له فيه الحكمة البالغة، وأما ما يقضيه ويقدِّره العباد لأنفسهم، يقدر الأمر بنفسه، ويفعل الأمر لنفسه، فإن هذا يناسب نقص العبد، والله ﷻ في قضائه وقدره بما يحدثه في كونه فهو أكبر.

الخامس: تكبير الله ﷻ في شرعه وأمره، وهو اعتقاد أن الله ﷻ أكبر فيما أمر به ونهى، وفيما أنزله من هذا القرآن العظيم، أكبر وأعظم من كل ما يشرعه العباد، أو يحكم به العباد، أو يأمر العباد به وينهون عنه، ولهذا صارت هذه الكلمة (**الله أكبر**) من شعارات المسلمين العظيمة، يدخلون في الصلاة بها، ويرددونها في الصلاة، وهي من الأوامر الأولى التي جاءت للنبي ﷺ، قال سبحانه وتعالى له: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ فكل هذه المعاني الخمسة تدخل في هذا.

إذا لاحظت هذه المعاني الخمسة، فكل واحدة منها لها أدلة كثيرة من القرآن، تدبَّر وأنتَ تقرأ القرآنَ، الآيات التي فيها ذكر تكبير الله تجد أنَّ بعضها فيه ذكر الربوبية، وبعض الآيات فيه ذكر الألوهية، وبعضها فيه ذكر الأسماء والصفات، وبعضها فيه ذكرُ قضاء الله الكوني ـ أفعال الله ﷻ ـ، وبعضها فيه شرع الله ﷻ، إذا اجتمعت هذه الخمس رأيت أن هذا التفسير من أحسن وأعظم ما يكون.

فقوله: (﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ **عظِّمْه بالتوحيد**) على ما سبق بيانه من المعاني؛ لأن معاني التكبير هي معاني التعظيم، وتلك المتعلقات هي التوحيد بأنواعه، فصار تفسير الشيخ هنا بقوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾

أي: **عَظِّمْهُ بِالتَّوحِيدِ** وهو من التفاسير المنقولة عن السلف[(١)]؛ أنه صار هنا اختيارًا مناسبًا ملائمًا واضح الدلالة.

قال بعدها: (﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ **أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ**)، فسَّر الثياب بالعمل، الثوب أصله في اللغة[(٢)]: ما يثوب إلى صاحبه؛ أي: ما يرجع إلى صاحبه، وسمي اللباس ـ سواء كان قميصًا أو إزارًا أو كان سراويل، أو نحو ذلك، أو كانت عمامة ـ يسمى ثوبًا؛ لأنه يرجع إلى صاحبه في التباسه به حال لبسه، هذا أصل الثوب؛ ولهذا يقال للعمل أيضًا: ثوبٌ، وتجمع على ثياب، باعتبار أنه يرجع إلى صاحبه؛ لهذا فسَّر قوله ﷻ هنا: (﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ **أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ**) فسر الثياب بالأعمال؛ لأنها راجعة إلى صاحبها باعتبار أصلها اللغوي، أو يقال: إن العمل مشبه بالثوب لملازمته لصاحبه، فالثوب يلازم لابسه، والعمل كذلك يلازم عامله، كما قال ﷿: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]، الطائر: هو ما يطير منه من العمل من خير أو شر، أُلزم به، صار ملازمًا له كملازمة ثوبه له.

وهنا اختار الشيخ رحمه الله أحد التفسيرين المنقولين عن السلف[(٣)]، وهو أن معنى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أي: (**طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ**)، وفُسِّرت بِـ:طهِّر ثيابك من النجاسات، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، هذا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٦٢)، وتفسير البغوي (٤/ ٣١٤)، وفتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٢٤).

(٢) انظر: لسان العرب (١/ ٢٤٣).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٩/ ١٤٤ ـ ١٤٦)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٤٤١).

التفسير الأعم أنسب هنا؛ لأنه يناسب ما قبله وما بعده، فإن ما قبله فيه الإنذار وتعظيم الله بالتوحيد، وما بعده فيه تركٌ للرُّجْزِ وهجر للأصنام والبراءة منها، بقي قوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، فاتساق الكلام وكونه جميعًا جاء بمعنى مترابط يقضي بأن يختار تفسير الثياب بالأعمال؛ لأن ما قبله ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ لينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أي: وعظمه بالتوحيد، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، ثم قال: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ التي هي الأصنام والأوثان، اتركها وتبرأ منها، الجميعُ في البراءة من الشرك، والبعد عن الشرك، والنهي عنه، والدعوة والالتزام بالتوحيد.

بقي **قوله**: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ لها تفسيران:

* تفسير للثياب بالثياب المعروفة ثياب تطهرها من النجاسة.

* وتفسير للثياب بالأعمال؛ أي: طهِّر أعمالك من الشرك.

فصار الأنسب للثياب أن يفسر: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أي: طهِّر أعمالك من الشرك، وهذا مما يعتني به المحققون من المفسرين، أنهم يختارون في التفسيرِ التفسيرَ الذي يناسب السياق، يناسب ما بعده وما قبله، واللغة لها محامل كثيرة، ولهذا اختلف السلف في تفسيراتهم.

قال: (﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ **الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا وَأَهْلَهَا، وَالبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا**)؛ يعني: ترك الأصنام، وترك أهلها، والبراءة من الأصنام، والبراءة من أهلها، قال: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ الرُّجز[1]:

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٢٩/١٤٨)، وتفسير ابن كثير (٤/٤٤٢).

اسم عام لما يُعبد من دون الله، قد يكون صنمًا، وقد يكون وثنًا، قال هنا: (**الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ**)؛ يعني: قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾؛ أي: الأصنام اتْرك، ويلزم من ذلك أن يترك أهلها ويتبرأ منها ومن أهلها، (**الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ**) الأصنام: جمع صنم، والصنمُ اسم لما عُبِد من دون الله، مما كان على هيئة صورة، عند كثير من العلماء[١]؛ أي: الصنم يكون مصورًا على هيئة صورة، صورة كوكب، أو صورة جني، أو صورة شجرة، أو صورة آدمي، أو صورة نبي، أو صورة صالح، أو طالح، أو صورة حيوان، أن يكون على هيئة صورة مما هو على الأرض ـ مما يعبد من دون الله ـ صار صنمًا، فإن كان ما يُعْبَد من دون الله ليس على هيئة صورة صار اسمه الوثن.

لهذا قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[٢]، لا يصلح صنمًا يُعبد؛ لأن القبر لا يكون على هيئة مصورة، قال: «**وَثَنًا يُعْبَدُ**» الوثن: اسم لما يُعبد من دون الله إذا لم يكن مصورًا على هيئة صورة.

قال بعض أهل العلم: الوثن قد يكون أيضًا على هيئة صورة،

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ١٥٠)، وتفسير الطبري (٧/ ٢٤٤، ١٣/ ٢٢٨)، وفتح الباري (٤/ ٤٢٤).

(٢) أخرجه الحميدي في مسنده (٢/ ٤٤٥)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٤٦)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٣٣)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٥٠، ٣/ ٣٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (١/ ٤٠٦) عن زيد بن أسلم مرسلًا. وأخرجه الإمام مالك في الموطأ (٤١٤) عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار مرسلًا أيضًا.

فيكون الصنم ما له صورة، والوثن: يشمل ما كان له صورة وما لم يكن له صورة. وهذا هو القول الثاني، فيكون كل صنم وثنًا، وليس كُلُّ وثنٍ صنمًا، وأخذوا هذا من قوله ﷻ في سورة العنكبوت، قال ﷻ مخبرًا عن قول إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، فحصر فقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، قد بيَّن الله ﷻ في آياتٍ أخر أَنَّ إبراهيم سألهم عن عبادتهم قال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٧٠]، فكان جوابهم: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشعراء: ٧١]، صار الوثن يشمل الصنم وغير الصنم، فهذا القول أدق ـ وهو الذي أختاره ـ أن الوثن يشمل الصنم وغير الصنم؛ يعني: ما له صورة مما عُبد من دون الله وما ليس له صورة، وأما الصنم فهو في الغالب ما كان على هيئة صورة.

قال: (**الرُّجْزُ: الْأَصْنَامُ**) ومعلوم أنه إذا نهاهم عن عبادة الأصنام، فإنه بذلك ينهاهم عن عبادة الأوثان؛ لأنَّ العلةَ فيهما واحدة، وهي عبادة غير الله ﷻ، وهجرها تركها وأهلها، والبراءة منها وأهلها.



أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

الشَّرْح

قال: (أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ)؛ يعني بذلك: أنه مكث ﷺ عشر سنين يدعو قومه، ويدعو عشيرته الأقربين وجوبًا لقوله ﷻ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فأخذ يدعو إلى التوحيد قبل أن تنزل الفرائض، لم تنزل فريضة الصلاة على هذا النحو، ولا فريضة الزكاة ولا سائر التشريعات على هذا النحو، لم تحرم الخمر، ولم يحرم الزنا، ولم يحرم الربا في تلك المدة. وهذا معنى قوله: **(أَخَذَ عَلَى هَذَا)**؛ يعني: على الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، **(أَخَذَ عَلَى هَذَا)** على الإنذار عن الشرك، والدعوة إلى التوحيد، أخذ عشر سنين يدعو إلى التوحيد، ما كان يدعو فيها إلى الأعمال، لا إلى صلاة ولا إلى زكاة مع أنه كان له صلاة في ذلك.

قال كثير من أهل العلم: كانت الصلاة المفروضة في السنوات العشر تلك صلاتين في اليوم والليلة:

أحدها: في إقبال النهار.

والأخرى: في إقبال الليل؛ أي: أحدها: الفجر، والثاني: المغرب، وحملوا عليه قوله ﷻ في سورة طه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، وكذلك قوله ﷻ

في سورة ق: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، ونحو ذلك من الآيات، أما الصلوات الخمس فلم تُفرض إلا بعد ذلك[١].

قال: (وبعدَ العشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ) المعراج معناه: الصعود، **(عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ)**؛ يعني: صُعد به إلى السماء، ومن أسماء السّلم والمِرقاة التي يُرتقى عليها المعراج، فمعنى المعراج السلم الذي يُصعد عليه[٢]، **(عُرِجَ بِهِ)**؛ أي: صُعد به، والتسمية بليلة المعراج، وهي الليلة التي صُعد بالنبي ﷺ فيها على المعراج؛ أي: على السلم، تسمية الليلة بوسيلة الصعود وهو المعراج، فهو ﷺ أسري به تلك الليلة من مكة إلى بيت المقدس، وبعد ذلك **(عُرِجَ بِهِ)**، الدابة رُبطت عند بيت المقدس، ثم أخذه جبريل وعرج به بالمعراج ـ بالسلم الخاص الذي يصعد عليه ـ إلى السماء.

قوله: **(إِلَى السَّمَاءِ)** المقصود به جنس السماء؛ أي: السمٰوات حتى ارتفع في مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ﷺ، حتى إنه قَرُب من ربه عز وجل، وكلَّمه رَبُّه عز وجل بدون واسطة، ورأى ﷺ تلك الليلة نورَ الله عز وجل، ورأى الحجابَ الذي احتجب الله عز وجل به عَنْ خلقه فلا يرونه كما جاء في الحديث الصحيح؛ أنَّ النبي ﷺ سُئل هل رأيت ربك؟ أي: ليلة المعراج فقال: «**رَأَيْتُ نُورًا**»، وفي رواية أخرى قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»[٣]؛ يعني: ثَمَّ نور فكيف أراه؟ وهذا من الفضل

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٠).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٠٣)، ولسان العرب (٢/ ٣٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

العظيم له ﷺ؛ أنه ارتفع من الأرض إلى ما بعد السماء السابعة، ورأى الجنة ورأى النار في ليلة، ورجع، والسماء الواحدة لا يقطعها القاطع إلا بمسيرة خمسمائة سنة(١)، وما بين السماء والسماء لا يقطعها القاطع إلا بمسيرة خمسمائة سنة، وهكذا حتى تصل إلى السماء السابعة، ثم بعد ذلك الماء، وبعد ذلك الكرسي إلى آخره، فلا شك أن المعراج له ﷺ مما يدل على عظم قدره عند ربه ﷻ؛ لهذا قال سبحانه وتعالى في الإسراء وهو من العجب بمكان: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: ١]؛ أي: في بعض الليل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم رجع، هذا من مكة إلى بيت المقدس محل عجب عند العرب، ولا شك أنه محل عجب، باعتبار ما كان عندهم من المركوبات، فكيف من بيت المقدس إلى ما بعد السماء السابعة، ثم يرجع إلى بيت المقدس، ثم يرجع من بيت المقدس إلى مكة، وفراشه لم يبرد بعد، هذا لا شك أنه مما أكرم الله ﷻ به نبيَّه ﷺ.

---

(١) كما جاء في الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا عليه. أخرجه أبو سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٥)، ونقض الإمام عثمان بن سعيد (١/ ٤٧١، ٥١٩)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٨٨٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٠٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٦٥، ٦٨٨)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ١٧١). وفيه: «**مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَمَا بَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ، وَاللهُ ﷻ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**».

وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

الشَّرْح

قال: (وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ) على هذا النحو، بعد أن فرضت عليه خمس صلوات وأصبح صباحه في مكة، نزل عليه جبريل يعلمه أوقات الصلوات وأنواعها[١].

قال: (وَصَلَّى فِي مكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ)، فصلى السنة العاشرة، والحادية عشرة، والثانية عشرة، من البعثة، ثم بعد ذلك أمر بالهجرة إلى المدينة.

صلى في مكة ﷺ ثلاث سنين بعد أن فرضت عليه الصلاة، صلى الصلوات الخمس على هذا النحو الذي نصليه، قد حُدِّدت صفاتها، وأركانها، وواجباتها، وحُدِّدت أوقات الصلوات كليًّا، جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وبيَّن له أوقات الصلوات، وبعد ثلاث سنين من فرض الصلاة هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، بعد أن أُمر بذلك وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة ابتدأ التاريخ الهجري كما هو معروف.

(١) كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٢١)، ومسلم (٦١٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

والهِجْرةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلىَ بِلَدِ الإِسْلامِ، وَالهِجْرةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِه الأُمَّةِ مِنْ بَلدِ الشِّرْكِ إِلىَ بَلَدِ الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلىَ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعالَى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ**: سَبَبُ نُزولِ هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمَينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهاجِرُوا، نَادَاهُمْ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ**(١).

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنْ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ**: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**(٢).

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٤٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٧٩)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٢١٦)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ٩٩) من حديث معاوية رضي الله عنه.

الشَّرْح

هنا المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسَّر الهجرة **فقال**: **(والهِجْرةُ: الاِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلىَ بِلَدِ الإِسْلامِ)**، هذا **تعريفها الاصطلاحي**.

والهجرة في اللغة: الترك[1]، **وفي الشرع**: ترك ما لا يحبه الله ويرضاه إلى ما يحبه ويرضاه، ويدخل في هذا المعنى الشرعي: هجر الشرك، يدخل فيه: ترك محبة غير الله ورسوله، ويدخل فيه: تركُ بلد الكفر؛ لأنَّ المُقام فيها لا يرضاه الله عَزَّ وَجَلَّ ولا يحبه.

أما في الاصطلاح فقال: **(والهِجْرةُ: الاِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلىَ بِلَدِ الإِسْلامِ)**؛ الانتقال؛ أي: ترك بلد الشرك والذهاب إلى بلد الإسلام، وسببُ الهجرة أو سبب إيجاب الهجرة، أو سبب مشروعيةِ الهجرة: أن المؤمنَ يجبُ عليه أن يُظهرَ دينَه، معتزًّا بذلك، مبيِّنًا للناس، مخبرًا أنَّه يشهد شهادةَ الحق؛ لأن الشهادة لله بالتوحيد ولنبيِّه بالرسالة فيها إخبار غيره، وهذا الإخبار يكون بالقول والعمل، وإظهار الدين به يكون إخبار غيره عن مضمون الشهادة ومعنى الشهادة، فلهذا كانت الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام واجبة إذا لم يستطع المسلم إظهار دينه؛ لأن إظهار الدين واجب في الأرض، وواجب على المسلم أن يظهر دينه، وأن لا يستخفي بدينه، فإذا كان إظهارُه لدينه غير ممكن في دارٍ وجب عليه أن يتركها ويهاجر.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٤٣)، ولسان العرب (٥/ ٢٥٢)، والقاموس المحيط (ص٦٣٧).

قال: **(الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلىَ بِلَدِ الإِسْلامِ)** بلد الشرك هي: كُلِّ بلد يظهر فيها الشركُ ويكون غالبًا؛ إذا ظهر الشرك في بلدٍ وصار غالبًا كثيرًا، أكثر من غيره، فهي تسمى بلدَ شركٍ، سواء كان هذا الشرك في الربوبية، أو كان في الإلـٰهية، أو كان في مقتضيات الإلـٰهية من الطاعة والتحكيم ونحوها. فبلد الشرك هي البلد التي يظهر فيه الشرك ويكون غالبًا.

هذا معنى ما قرره سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما سُئل عن دار الكفر: ما هي؟ قال: دار الكفر هي الدار التي يظهر فيها الكفر، ويكون غالبًا[(١)].

إذًا؛ إذا ظهر الشركُ في بلدةٍ وصار ظهوره غالبًا، معنى ذلك أَنْ يكون منتشرًا ظاهرًا بينًا غالبًا للخير، فإن هذه الدار تسمى بلد شرك، هذا باعتبار ما وقع وهو الشرك، أما باعتبار أهل الدار فهذه مسألة فيها خلاف بين أهل العلم: وهي أن يُنظر في تسمية الدار بدار إسلام ودار شرك بالنظر إلى أهلها.

وقد سئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بلد تظهر فيها أحكام الكفر، وتظهر فيها أحكام الإسلام، فقال: هذه الدار لا يحكم عليها بأنها دار كفر، ولا أنها دار إسلام، بل يعامل المسلم فيها بحسبه، ويعامل فيها الكافر بحسبه[(٢)].

---

(١) انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (٦/ ١٨٨، رقم ١٤٥١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤٠، ٢٤١).

وقال بعض العلماء: الدار إذا ظهر فيها الأذان وسُمع وقت من أوقات الصلوات فإنها دار إسلام؛ لأن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يغزو قومًا صَبَّحَهم[1]، وقال لمن معه: «**انتظروا**» فإنْ سَمِعَ أذانًا كفَّ، وإن لم يسمع أذانًا قاتل، وهذا فيه نظر؛ لأن الحديث على أصله، وهو أن العرب حينما يُعلون الأذان، معنى ذلك أنهم يقرون ويشهدون شهادة الحق؛ لأنهم يعلمون معنى ذلك، وهم يؤدون حقوق التوحيد التي اشتمل عليها الأذان، فإذا شهدوا أن **(لا إلـه إلا الله)** ورفعوا الأذان بالصلاة، معنى ذلك أنهم انسلخوا من الشرك وتبرؤوا منه، وأقاموا الصلاة، وقد قال ﷻ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، فقوله: ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ من الشرك ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾؛ ذلك لأنَّ العرب كانوا يعلمون معنى التوحيد، فإذا دخلوا في الإسلام وشهدوا أن لا إلـه إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، دلَّ ذلك على أنهم يعملون بمقتضى ذلك، أما في هذه الأزمنة المتأخرة فإنّ كثيرين من المسلمين، يقولون: لا إلـه إلا الله، محمد رسول الله، ولا يعلمون معناها، ولا يعملون بمقتضاها بل تجد الشرك فاشيًا فيهم.

ولهذا نقول: إنَّ هذا القيد أو هذا التعريف وهو أَنَّ دارَ الإسلام هي الدار التي يظهر فيها الأذان بالصلوات في هذه الأزمنة

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠)، ومسلم (٣٨٢) من حديث أنس ﵁، ولفظه: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا بِنَا قَوْمًا، لَمْ يَكُنْ يَغْزُو بِنَا حَتَّى يُصْبِحَ وَيَنْظُرَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ**».

المتأخرة لا يصح أن يكون قيدًا، والدليل على هذا أصله وهو أن العرب كانوا ينسلخون من الشرك، ويتبرؤون منه ومن أهله، ويقبلون على التوحيد، ويعملون بمقتضى الشهادتين، بخلاف أهل هذه الأزمان المتأخرة.

والأظهر هو الأول في تسمية الدار، ولا يلزم من كون دارٍ ما دار شرك أو دار إسلام، أن يكون هذا حكمًا على الأفراد الذين في داخل الدار، بل قلنا: إنَّ الحكم عليها بأنها دار كفر، أو دار شرك هذا في الأغلب بظهور الشرك والكفر، ومن فيها يعامل كُلٌّ بحسبه، خاصة في هذا الزمن؛ لأن ظهورَ الكفر، وظهور الشرك بكثير من الديار ليس من واقع اختيار أهل تلك الديار، بل ربما كان عن طريق تسلطٍ، إما الطرق الصوفية مثلًا، أو عن تسلط الحكومات، أو نحو ذلك، كما هو مشاهد معروف؛ لهذا نقول: إن اسمَ الدار على نحو ما سبق وأما أهلها فيختلف الحال.

قال: **(وَالْهِجْرَةُ: الاِنْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ)**[(١)] الهجرة من حيثُ مكانُها تنقسم إلى: هجرة عامة وإلى هجرة خاصة.

الهجرة العامة: هي التي عرَّفها الشيخ هنا وهي: ترك بلد الشرك إلى بلد الإسلام؛ أي: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، إلى أن تطلع الشمس من مغربها، أيَّ بلد ظهر فيها الشرك، وظهر فيها أحكام الشرك، وكان ذلك غالبًا، فإنَّ الهجرة

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص١٤).

منها تسمى هجرة، وهذه الهجرة عامة، من حيث المكان يمكن أن تكون متعلقةً بأي بلد.

أما الهجرةُ الخاصة: فهي الهجرة من مكة إلى المدينة، ومكةُ لما تَرَكها النبي ﷺ تركها وهي دار شرك، وذهب إلى المدينة؛ لأنه فشا فيها الإسلام فصار كُلُّ بيت من بيوتِ المدينة دَخَل فيه الإسلام، فصارت دارَ إسلام، فانتقل من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، هاجر هجرةً خاصة، وهذه الهجرة الخاصة هي التي جاء فيها قوله ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**»[1] كما ثبت في الصحيح، فقوله: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ**»؛ أي: لا هجرة من مكة؛ أي: الهجرة الخاصة هذه من مكة إلى المدينة.

أما الهجرة العامة ـ الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ـ فهي باقية إلى طلوع الشمس من مغربها إلى قيام الساعة، إذا وجد بلد شرك، ووجد بلد إسلام، وجبتْ الهجرة، هذا من حيث المكان.

ومن حيث الحكم، فإنَّ الهجرةَ تارة تكون واجبة، وتارة تكون مستحبة[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٧)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٦/ ١٩٠): «فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة: **الأول**: قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة. **الثاني**: قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها ومعونتهم وجهاد الكفار والأمن من غدرهم والراحة من رؤية =

القسم الأول: تكون الهجرة واجبة: إذا لم يمكن للمسلم المقيم بدار الشرك أن يظهر دينه، إذا ما استطاع أن يظهر التوحيد، ويظهر مقتضيات دينه، والصلاة واتباع السُّنَّة، كُلٌّ بلد بحسبه بحسب ما فيه من الشرك، يُظْهِرُ ما يخالفُ فيه هذا البلد، ويكون متميزًا فيهم، إذا لم يستطع ذلك، فإن الهجرة تكون واجبة عليه، وعليه حُمِل قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النساء: ٩٧]؛ أي: لم نستطع إظهار الدين، فالاستضعاف هنا بمعنى عدم استطاعة إظهار الدين ﴿فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ [النساء: ٩٧]، فدل هذا على أنها واجبة؛ لأنه توعَّدها عليهم بجهنم، فمعنى هذا: أن مَنْ ترك الهجرة إذ لم يستطع إظهار الدين أنه محرم، وأن الهجرة واجبة.

القسم الثاني: الهجرة المستحبة: وتكون الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام مستحبة، إذا كان المؤمن في دار الشرك يستطيع أن يظهر دينه؛ وذلك لأن الأصل الأول من الهجرة أن يتمكن المؤمن من إظهار دينه، وأن يعبد الله ﷻ على عزة، وقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، نزلت فيمن ترك الهجرة، وناداهم باسم الإيمان.

ما سبق بيانه يتعلق بالهجرة من دار الكفر والشرك إلى دار الإسلام، وهناك هجرة أخرى من دار يكثر فيها المعاصي والبدع إلى

= المنكر بينهم. **الثالث**: عاجز يعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أجر». وانظر: المغني (٩/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧).

دارٍ ليس فيها مَعَاصٍ وبدع أو تقلُّ فيها المعاصي والبدع، وهذه ذكر فقهاء الحنابلة ـ رحمهم الله ـ[(١)] أنها مستحبة، وأن البلدَ إذا كثر فيها الكبائر والمعاصي، فإنه يستحب له أن يتركها إلى دار يقل فيها ذلك أو ليس فيها شيء من ذلك؛ لأن بقاءه على تلك الحال مع أولئك، يكون مع المتوعدين بنوعٍ من العذاب الذي يحيق بأهل القرى الذين ظلموا.

وقد هاجر جمع من أهل العلم من بغداد لما علا فيها صوت المعتزلة وصوت أهل البدع، وكثرت فيها المعاصي والزنا وشرب الخمر، وتركوها إلى بلد أخرى، وبعض أهل العلم بقي لكي يكون قائمًا بحق الله بالدعوة وببيان العلم وبالإنكار وبنحو ذلك، أيضًا كثير من العلماء تركوا مصر لما تولت عليها الدولة العبيدية، وخرجوا إلى غيرها، وهذا قد يحمل على أنها من الهجرة المستحبة، أو من الهجرة الواجبة، بحسب الحال في ذلك الزمن.

قال هنا رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ)**؛ أي: هي فرضٌ بقيد وهو أن لا يستطيع إظهار دينه، فإن كان يستطيع كما سبق فإن الهجرة في حقه مستحبة.

قال: **(وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ)** يريد إلى قرب قيام الساعة، وهو طلوع الشمس من مغربها، كما جاء في الحديث: **«لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»**[(٢)].

---

(١) انظر: المبدع (٣/ ٣١٤)، وكشاف القناع (٣/ ٤٤).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٢٣).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ مستدلًا: **(والدَّليلُ قَوْلُهُ تَعالَى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾) ظلمُ النفسِ بترك الهجرة؛ لأنهم عصوا الله عَزَّوَجَلَّ في ترك الهجرة، ومكة لم يعد في إمكان المؤمنين أن يظهروا دينهم فيها، فقد تسلط الكفار على أهلها، فلم يستطيعوا ـ أعني: المؤمنين ـ أن يظهروا دينهم، وهذا قائم من أول الدعوة، تسلطوا فترة وكان إظهار الدين في أول الدعوة ليس واجبًا، ثم أمروا بذلك بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٤، ٩٥]، فابتلي من ابتلي من المؤمنين فلم يستطيعوا إظهار دينهم، فاستأذنوا النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، فأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة الهجرة الأولى ثم الثانية، وقيل: ثَمَّ هجرةٌ ثالثة، ثُمَّ لما لم يعد في الإمكان أن يظهرَ الدين في مكة، وقد قامت بلدُ الإسلام في المدينة صارت الهجرة متعينةً وفرضًا من مكة إلى المدينة؛ لهذا قال عَزَّوَجَلَّ هنا: ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟﴾ يعني: الملائكة مخاطبين هؤلاء الذين توفتهم الملائكة وقد تركوا الهجرة ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾، على أي حال كنتم؟ ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فأجابت الملائكة: ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ وهذا إنكارٌ عليهم، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾؛ لأن الاستفهام هنا في (أَلَمْ) استفهام للإنكار وضابطه: أن يكون ما بعده باطلًا إذا أزلت الهمزة وقرأت ما بعده، فإذا كان ما بعده غير صحيح صارت الهمزة للإنكار، فهنا إذا أزلت الهمزة صار الكلام: **لم تكن أرض الله واسعة**، هل هذا صحيح؟ **الجواب:** ليس بصحيح، فأرضُ الله عَزَّوَجَلَّ واسعة، ولما أتى الاستفهام في الهمزة بعدها كلام يكون بدون الهمزة باطلًا، تصير الهمزة للإنكار، كما هو مقرر في موضعه في كتب شروح المعاني في اللغة، قال:

﴿فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ فدلَّ على أنهم تركوا الهجرة، فهذه الآية تدل على أن من ترك الهجرة مع القدرة على ذلك أنه مشرك وكافر من دين من أقام معهم، وهذا ليس بصحيح، بل إن هذه الآية في المؤمنين؛ لأنه قال في أوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾، فهؤلاء ظلموا أنفسهم، ليس الظلم الأكبر، ولكنه الظلم الأصغر بترك الهجرة.

قال ﷻ بعدها: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ﴾ رجال مستضعفون، لا يمكنهم أن يعرفوا الطريق، لا يهتدون سبيلًا إلى البلد الآخر ولا يستطيعون حيلة، ليس عندهم ما يركبون، وليس عندهم مال ينقلهم، فهم مستضعفون يريدون الهجرة، ولكنهم مستضعفون من جهة عدم القدرة على الهجرة من المال، والمركب، والدليل ونحو ذلك، فقال ﷻ في هؤلاء: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، ويلحق بهؤلاء من لم يستطع الهجرة في هذا الزمن بالمعوّقات القائمة من أنواع التأشيرات وأشباهها؛ لأن هذا لا يستطيع حيلة، وهو يرغب أن يترك بلد الشرك إلى بلد الإسلام، لكن لا يمكنه ذلك لوجود المعوّقات لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلًا، أو طريقًا إلى بلد الإسلام فهؤلاء قال ﷻ في حقهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

ثم ساق دليلًا آخر، وهو قوله ﷻ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾، تركوا الهجرة فناداهم الله باسم الإيمان، فدل على أن ترك الهجرة لا يسلب الإيمان، فمعنى ذلك: أن ترك الهجرة ليس شركًا أكبر، وليس كفرًا أكبر، وإنما هو معصية من

المعاصي؛ لأنه نادى من ترك الهجرة باسم الإيمان، ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾.

قال البغوي: (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا مِنْ مكَّةَ نَادَاهُمْ اللهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ)، دلَّ على أن من ترك الهجرة من مكة ليس كفرًا ولا شركًا، وأن قوله ﷻ في الآية التي قبلها: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ أن هذا لأجل أنهم تركوا واجبًا من الواجبات، وارتكبوا كبيرةً من الكبائر، لكن لا يُسْلَبُ منهم الإيمان بترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام.

قال: (وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنْ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[1]) هذا الحديث دلَّ على أن التوبة لا تنقطع إلا إذا طلعت الشمس من مغربها، وطلوع الشمس من مغربها هو المراد بقوله ﷻ في آخر سورة الأنعام: ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قال المفسرون: إنَّ معنى: ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أنه طلوع الشمس من مغربها، فإذا طلعت: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾، فلا تنفعُ التوبةُ بعد طلوع الشمس من مغربها كما قال هنا: «**وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»، فالهجرة لا تنقطع حتى تنقطع التوبة، والتوبة

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٢٣).

لا تنقطع حتى تطلع الشمس من مغربها؛ لأن مَنْ ترك الهجرة حتى طلعت الشمس من مغربها قد ترك فرضًا عليه، فإذا طلعت الشمس من مغربها ليس ثم عمل ينفع العبد قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والعمل بعض الإيمان.



فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ مِثْلِ الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ.

الشَّرْح

قال الشيخ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ مِثْلَ الزَّكَاةِ)** أريد بالزكاة التي فرضت في السَّنة الثانية من الهجرة، هذه الزكاة على هذا النحو المقدر، زكاة بشروطها، وبأنصبتها، وقدر المخرَج، وأوعية الزكاة ونحو ذلك، هذا فُرِضَ في السَّنة الثانية من الهجرة، أما جنس الزكاةِ فقد فُرض في مكة، جنسُ الزكاة غَيْرُ مقدر مثل الصلاة التي كانت في مكة[1]، وهذا جاء في آخرِ سورة المزمل.

قال عَزَّ وَجَلَّ في آخرها وهي مكية: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠]، فَأُمِرَ بإيتاء الزكاة قال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

والصواب من أقوال أهل العلم: أن الزكاة أوجبت في مكة، ومنها: بذل الماعون الذي جاء النهي عنه في قوله: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧] ومنها الصدقة، ومنها إعطاء الفقير، ونحو

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٩، ٢٤٠)، والفروع لابن مفلح (٢/ ٢٤٨).

ذلك، وهذه الزكاة غير محدودة لا بقدر، ولا بصفة، وإنما يصدق عليها اسم الزكاة، أما الزكاة على هذا النحو المقدر الذي استقر فهذا فُرِضَ في السَّنة الثانية من الهجرة.

قال: (وَالصَّومِ) الصوم كذلك، «**لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَجَدَ الْيَهُودَ يَصُومُونَ عَاشُورَاءَ فَسُئِلُوا عَنْ ذَلَكَ فَقَالُوا: هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَظْفَرَ اللهُ فِيهِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ». ثُمَّ أَمَرَ بِصَوْمِهِ**»(١)؛ أي: كان صوم يوم عاشوراء فرضًا، ثم لما فُرِضَ صومُ رمضان في السَّنة الثانية من الهجرة، وهي السَّنة التي كان فيها وقعة بدر، صار صوم عاشوراء على الصحيح مستحبًا، والفرض هو صيام شهر رمضان كما قال ﷻ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وبها كان صيام رمضان واجبًا.

قال: (وَالْحَجِّ) من أهل العلم من يقول: إنه فرض في السنة السادسة(٢) من الهجرة، وهي السنة التي نزل فيها قول الله ﷻ: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ومنهم من قال: إنه لم يُفرض إلا في السنة التاسعة من الهجرة، وهذا هو الصحيح(٣)، فإن الحج فرض متأخرًا، وذلك بعد فتح مكة، فأُمر النبي ﷺ بالحج في سورة آل عمران، وهي إنما نزلت في سنة الوفود أو في عام الوفود، وهي

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: فتح الباري (٣/ ٣٧٨)، والمجموع للنووي (٧/ ٧٠).

(٣) انظر: الإنصاف للمرداوي (٣/ ٣٨٧)، والفروع (٣/ ١٥١)، ومجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٢٦).

السنة التاسعة من الهجرة، والنبي ﷺ ترك الحج تلك السنة، وأمر أبا بكر أن يحج بالناس، وبعث معه عليًا رضي الله عنهما ثم حج ﷺ بعد ذلك في السنة العاشرة من الهجرة حجةً يتيمةً لم يحج بعدها.

قال: (**وَالْأَذَانِ**) كذلك فُرض الأذان في أول العهد المدني.

قال: (**وَالْجِهَادِ**) كان هناك تدرج في فرضه.

قال: (**وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ**)؛ أي: أن شرائع الإسلام الظاهرة إنما فرضت في المدينة، وأما في مكة فمكث ﷺ، يدعو إلى التوحيد، وينهى عن الشرك عشر سنين، ثم فرضت الصلاة في السنة العاشرة من البعثة، وأما بقية الشعائر شعائر الإسلام الظاهرة، فإنما كانت في المدينة، حتى تحريم المحرمات من الزنا والخمر والربا ونحو ذلك، فإنما كان في المدينة.

وهذا دليل على عظم شأن التوحيد في هذا الدين، وأن هذه الرسالة رسالة النبي ﷺ، حيث بلَّغها للناس، مكث يدعو إلى التوحيد في عشر سنين، والتوحيد من حيث هو، أمرٌ واحد، دعوة إلى التوحيد ونهي عن الشرك، أمرٌ واحد، وتلك الأوامر التي فرضت فيما بعد، والمناهي التي نهي عنها فيما بعد، كثيرةٌ جدًّا، عددها كثير، مئات الأشياء من أمور الإسلام الظاهرة، وأمور المعاملات، والصلات الاجتماعية، والنكاح، وتلك الأحوال، هي بالمئات، فكان العهد المدني وهو عشر سنين متسعًا لتلك الأمور جميعًا، وأما التوحيد فمع أنه أمرٌ واحد، وهو الدعوة إلى توحيد الله والنهي والنذارة عن الشرك، فقد مكث فيه ﷺ عَشْرَ سنين، وهذا من

أعظم الأدلة على أن شأن التوحيد في هذا الدين هو أعظم شيء، وأن غيَره من أمور الإسلام الظاهرة، يليه بكثير في الاهتمام به في هذا الشرع، فالدعوةُ إنما تكون بتوحيد الله؛ لأنَّ القلب إذا وَحَّد الله ﷻ أحب الله وأحب رسوله، فأطاع الله بعد ذلك وأطاع رسوله فرضًا، وترك الشرك، وأبغضه وكذلك يُبغض كل ما لا يحبه الله ﷻ ولا يرضاه، وهذا من مقتضيات التوحيد.



أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ وَبَعْدَها تُوُفِّيَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ. وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

الشَّرْح

قال: (أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشَرَ سِنِينَ)، مكث في المدينة ﷺ عشر سنين يدعو إلى التوحيد وإلى أمور الإسلام الظاهرة.

(وَبَعْدَها تُوُفِّيَ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَدِينُهُ بَاقٍ)، قوله: (صَلَوَاتُ اللهِ) الصلاة من الله ﷻ على نبيِّه، أو على المؤمنين هي ثناؤه عليهم في الملأ الأعلى، هذا هو الصحيح[1] أن الصلاة من الله ﷻ هي الثناء؛ لأن حقيقة الصلاة في اللغة هي الدعاء والثناء، وأما من قال: إن الصلاة بمعنى الرحمة. هذا ليس بصحيح[2]، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، الملائكة لا يمكنهم أن يرحموه، لكن يمكن أن يثنوا عليه، أو أن يدعوا له، والله ﷻ في حقّه الثناء، فمعنى صلاة الله ﷻ

(١) قال البخاري: **(قال أبو الْعَالِيَةِ: صَلَاةُ اللهِ ثَنَاؤُهُ عليه عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ)**. انظر: فتح الباري (٨/ ٥٣٣).

(٢) انظر: جلاء الأفهام لابن القيم (ص١٦٠و ما بعدها).

على نبيِّه هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى؛ لهذا جاء في الحديث الصحيح: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيهِ بِهَا عَشْرًا**»[1]؛ يعني: من أثنى عليَّ؛ أي: مَنْ قال: اللَّهُمَّ صل على محمد. سأل الله ﷻ أن يثني على نبيِّه في الملأ الأعلى، فإن الله ﷻ يجزيه من جنس دعائه، وهو أنه يثني عليه بذلك عشر مرات في ملئه الأعلى، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على نبينا محمد.

قال: (ودينُهُ باقٍ) فهو ﷺ توفي ودفن في حجرة عائشة ﵂، ودينه باق إلى قيام الساعة، لا يقبل الله ﷻ من أحد دينًا إلا هذا الدين، (**وَهَذَا دِينُهُ**) الضمير يرجع إلى أي شيء؟ **الجواب:** إلى ما سبق إيضاحه في هذه الرسالة، هذا الذي وصف لك فيما قبل هو دينه، معرفة العبد ربه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، ومعرفة العبد نبيه ﷺ. **(وهذا دينُه)** ﷺ.

قوله: (**لا خيرَ**) هذا من صفاته ﷺ أنه (**لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ. وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ**) وهو ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم، ومن رأفته بالمؤمنين ورحمته بهم أنه اجتهد أن يؤدي الأمانة كاملة، لا خير يقرب إلى الله، ويكون محبوبًا إلى الله إلا بيَّنه ﷺ لهذه الأمة، وأعلى ذلك التوحيد، ويتبع ذلك جميع الأمور من الفرائض والواجبات والمستحبات، ومن المناهي التي اجتنابها فرض، ونحو

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄.

ذلك المسنونات، حتى قال رجل لسلمان ﷺ: «**قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ، قَالَ: نَعَمْ**»[(١)]؛ يعني: حتى هيئة الجلوس أثناء قضاء الحاجة، فإنه علمنا ﷺ كيف يكون ذلك إقبالًا واستدبارًا، وما ينبغي أن يكون إذا ذهب المرء أين يذهب؟ كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا ذَهَبَ الْمَذْهَبَ أَبْعَدَ**»[(٢)]؛ أي: لقضاء حاجته ونحو ذلك، علمنا ﷺ كل شيء، من أعلى أمر وهو التوحيد، بيَّنه بيانًا شافيًا مفصلًا، إلى أقل الأمور، كلها بيَّنها ﷺ، فالحجة قائمة على أمته، وأنه ﷺ سيكون شهيدًا على هذه الأمة، وأنَّه بلغهم الرسالة، ودلهم على كل خير، يحبه الله ويرضاه، كذلك لا شَرَّ إلا حَذَّرها منه، لا شَرَّ كان أو لا شر سيكون في هذه الأمة إلا حَذَّرها منه، فحذر النبي ﷺ أمته من الشرور التي كانت في وقته، من الشرك بالله بأنواعه، ومن أنواع المعاصي والآثام، وأنواع المعاملات الباطلة، وكذلك ما سيحدث في المستقبل، فإن الله ﷻ أطلع نبيَّه على ما سيكون، فحذر النبي ﷺ أمته من ذلك، مثلما جاء في الحديث: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**» قالوا: يا رسول الله فارس والروم؟ قال: «**فَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ**»[(٣)]،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١)، والنسائي في الكبرى (١/٦٦)، وابن ماجه (٣٣١) من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٣١٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

أو كما جاء في غير هذه الرواية[١]، ولها ألفاظ كثيرة، فحذرها من تقليد فارس والروم، وحذر النبي ﷺ أمته من الفتن التي ستظهر بأنواعها، ومنها: فتنة الخوارج الذين خرجوا على الصحابة وخرجوا على ولاة أمر المسلمين، فقد حذَّر من البدع بأنواعها كما جاء في تفسير قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وكما قال ﷺ: **«وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي: الأَهْوَاءَ - كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»**[٢]، ونحو ذلك من أنواع ما أخبر به النبي ﷺ أمته محذرًا.

فهو ﷺ لهذه الأمة رؤوف رحيم، لا خير إلا دَلَّها عليه وأرشد، ولا شر إلا حذر منه ونهى، سواء في ذلك ما حدث في وقته، أو ما سيحدثُ بعد موته ﷺ بقليل، أو ما سيكون إلى قيام الساعة، حتى إنه حذر أمته وشدد التحذير في أمر المسيح الدجال، حتى إنه قال ﷺ: **«إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ»** - يعني: بعد وفاته ﷺ - **«فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ»**[٣]، وهذا يدل على عظم ما دل النبي ﷺ هذه الأمة عليه.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرج البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: **«قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»**.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨)، والإمام أحمد في المسند (٤/ ١٠٢) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

(٣) أخرجه مسلم مطولًا (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

الشَّرْح

قال رحمه الله: (وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالإِنْسِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾)،

طاعةُ الرسول ﷺ فرض على الجن والإنس؛ لأنَّ النبي ﷺ بُعث إلى الناس جميعًا، قال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وقال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]؛ لأنهم اتبعوا هذا الرسول، بعد أن سمعوا هذا القرآن.

قال: (وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ)، فالدين كمل، والدينُ هو: ما يدين به المرء، وما يكون عادَّة له في عبادته، يألفه ويعتاده؛ لأن أصل الدين هو العادة[١]، كما قال الشاعر[٢]:

تَقُولُ إِذَا دَرَأْتُ لَهَا وَضِينِي ... أَهَــذَا دِيــنُــهُ أَبَــدًا وَدِيــنــي

هذه عادته، وسمي الدين دينًا؛ لأنه يلتزمه الإنسان، وما كان من الاعتقادات، وما كان من العبادات يفعله بتكرر، حتى يصبح له عادة، نعم الدين ليس عادة، لكن أصل تسمية الدين سمي به؛ لأنه له شبه بالعادة، من حيث لزومها وكثرة فعلها وترداد صاحبها لها.

قوله: **(وَأَكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ)** إذًا فليس في الدين نقصان، ليس

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ١٥٣): «الدِّين: العادة، تقول: ما زال ذلك دَيدَنَه ودَيدَانه ودِينَه ودَأْبَه وعادَتَه». وانظر أيضًا: المصباح المنير (ص١٠٨) «دَانَ» بالإسلام «دِينًا» بالكسر تعبد به و«تَدَيَّنَ بِهِ» كذلك فهو «دَيِّنٌ» مثل ساد فهو «سَيِّدٌ»، و«دَيَّنْتُهُ» بالتثقيل وكلته إلى دينه، و«تَرَكْتُهُ وَمَا يَدِينُ» لم أعترض عليه فيما يراه سائغًا في اعتقاده، و«دِنْتُهُ» «أَدِينُهُ» جازيته.

(٢) البيت للمثقب العبدي. انظر: طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (١/ ٢٧٣)، وعمدة القاري (١٨/ ٢٥٨).

فيه مجال للزيادة، فمن أراد التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإنما يكون ذلك بالتقرب عن طريق رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يكون متبعًا لسُنَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الدين كمل فلا سبيل إلا هذا السبيل، كما قال ابن القيم[(١)]:

فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ   أَعْنِي سَبِيلَ الحَقِّ وَالإِيمَانِ

والهجرة: من الهجرة إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطاعته، واتباع سُنَّته، وامتثال أمره، والانتهاء عن نهيه، والاهتداء بهديه، وألا يعبد الله إلا بما شرع، ينسلخ القلب ويترك كل ما سوى الله عَزَّوَجَلَّ، وسوى رسوله من الذين يطاعون، ويتجه بطاعته إلى الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله.

قال: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]).

وقال: (وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١])، وقد مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين يدَّعون أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حي لم يمت، وأنه يحضر، روحه تحضر، وهو يحضر، وينتقل، ونحو ذلك، هؤلاء مكذبون للقرآن، كفرةٌ بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال لنبيِّه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾، ستموت ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وإنهم سيموتون ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إنكم جميعًا أنت وهم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾، وقال عَزَّوَجَلَّ في الآية الأخرى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

ومن المعلوم ما حَصَل مِنْ قيام أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الناس، بعد

---

(١) انظر: النونية لابن القيم مع شرحها لابن عيسى (٢/٢٥٨).

موت الرسول ﷺ خطيبًا، قائلًا فيما يروى: «**مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قد مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعبد اللهَ، فإن اللهَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ**»، ثم تلا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾. قال عمر رضي الله عنه: «**كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ الْآيَةَ إِلَّا حِينَ تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ** رضي الله عنه»[(١)]. لكن هو بعد موته في حياة برزخية، هي أكمل أنواع الحياة البرزخية، فهو حي، حياته أكمل من حياة الشهداء، وهو قد مات، وقد توفاه الله عز وجل، وانقطع عن هذه الدنيا، حياته أكمل من حياة الشهداء، فهو ﷺ قد توفي وانقضى أجله، وهو بالرفيق الأعلى بالجنة، وعند الله عز وجل بأعلى المقامات ﷺ.

قال لما ذكر موته ﷺ: (**وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ**) خص هنا البعث بالذكر، مع أن مناسبته هي في ذكر اليوم الآخر، وهي المرتبة الثانية من الأصل الثاني، اليوم الآخر معناه: أنه يبعث الناس بعد الموت، هنا قال: (**وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ**)؛ وذلك لسبب وهو أنه في وقت الشيخ رحمه الله كان يكثر في البادية إنكارُ البعث بعد الموت، وقد جاء في رسائل كثيرة للشيخ من العلماء بيان أن البعث بعد الموت حق، وأنَّ مَنْ كَفَر بالبعث وأنكره فهو كافر بالله العظيم، ليس بمؤمن ولا مسلم، وإنْ صلى وصام وزعم أنه مسلم، نص هنا على هذا لأجل الاهتمام بالمسألة ووضعها في هذا الموضع المناسب؛ لأنه ذَكَر وفاة النبي ﷺ وذكر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٥٤) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

﴿رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾، فناسب أن يقرر البعثَ بعد الموت لجميع الناس.

قال: (**وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ**)، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿۞مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، (**وَقَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ [نوح: ١٧، ١٨]، **وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم: ٣١]).

قال: (**وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ**) مثل أولئك الأعراب في البادية، الذين كانوا في وقت الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويكثر إلى الآن في بوادي بعض البلاد العربية أنهم يكذبون بالبعث، فيعتقدون أن التزام الدين إنما يحصل للإنسان السعادة في دنياه، وأن روحه تكون في نعيم أو في جحيم، يكذبون بالبعث بعد الموت، قال هنا: (**وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧]) وجه الاستدلال: أنه قال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فوصف الذين يزعمون أنهم لن يبعثوا بأنهم من الذين كفروا.



وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

الشَّرْح

مَنْ كَذَّبَ برسولٍ من الرسل فقد كَذَّبَ بالرسل أجمعين، ومحمد ﷺ خاتم النبيين وخاتم المرسلين، وكل دعوة لنبوة أو دعوة للرسالة بعده فهي ضلال، وهي كفر بالله عز وجل، فمنْ وقت الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم إلى يومنا هذا لم يزل يظهر من يدعي النبوة، والنبي ﷺ خاتُم المرسلين وخاتم النبيين وخاتمهم، خاتَمهم وخاتِمهم(١).

قال: (وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾) هذا وحي خاص وحي رسالة، والمراد بالنبيين هنا المرسلون.

---

(١) قال البغوي في تفسيره (٣/ ٥٣٣): «وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ خَتَمَ اللهُ بِهِ النُّبُوَّةَ، وقرأ ابنُ عامر وابن عاصم خاتَم بفتح التاء على الاسم؛ أي: آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لأنه ختم به النبيين فهو خاتِمهم».

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ، يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ[1].

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ - لَعَنَهُ اللهُ - وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[2] وَاللهُ أَعْلَمُ.

تَمَّتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ، وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٣١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

الشَّرح

قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ﴾ ما يأتي بعدها هو مضمون البعث، بعثهم لأي شيء؟ لما يأتي بعد **(أَنْ)**، وهو ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، وعبادة الله سبق تفسيرها مفصلًا في الأصل الأول، وهو معرفة العبد ربه، هنا لمَّا ذكر الطاغوت كان مناسبًا لأهميته، أن يذكرَ معنى الطاغوت، قال: **(وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ** ـ بهذا الدليل ـ **الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالْإِيمَانَ بِاللهِ)**، ما معنى الطاغوت إذًا؟ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ)**.

الطاغوتُ صيغةٌ مبنيةٌ للكثرة والسَّعة؛ لأنها من طغى يطغى طغيانًا، ومعنى ذلك: التجاوز تجاوز الحد، يقال: طغى الماء إذا تجاوز الحد، طغى الرجل إذا تجاوز حدَّه[1]، والطاغوت مبني من الطغيان، لكنه للكثرة مثل ملكوت، رحموت ونحو ذلك. ما الطاغوت؟ الطاغوت: اسمٌ لكل ما تجاوز به العبدُ حَدَّه، كل ما تجاوز به العبد حدَّه؛ أي: الحد الشرعي له، معلوم أنّ الشرع حدَّ للأشياء حدودًا، وبَيَّن علاقة المسلم بها، فإذا تجاوز العبدُ بشيء ما حَدَّه، فذلك الشيء طاغوت.

قال: **(مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ)** إذا عُبد أحدٌ غير الله عَزَّوَجَلَّ فذلك الغير طاغوت هذا العابد، متى يكون

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/١٩)، ولسان العرب (١٥/٨).

طاغوتًا؟ إذا كان راضيًا بهذه العبادة، أما إذا كان يكرهها فإنه لا يسمى طاغوتًا؛ لأنه يتبرأ منه والمتبرئ من الشيء ليس من أهله كما قال ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩]، فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون، قالوا: سنكون وعيسى وعزير ـ وعدُّوا آلهة ـ في جهنم فنعم الصحبة، فأنزل الله ﷻ بعده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ ـ ١٠٣][1]، فدَلَّ على أَنَّ الذي لا يرضى بعبادته فإنه ليس بمذموم، لهذا عُبدت الأنبياء والرسل، وعبد الصالحون، وكلهم يتبرؤون ممن عبدهم؛ فعيسى عليه السلام عُبد بعد رفعه، وقال له ربه ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧]، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾[2]؛

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٩٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤١٦)، والضياء في المختارة (١٠/ ٣٠٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢) قال البيضاوي في تفسيره (٢/ ٣٤٨): «التوفي أخذ الشيء وافيًا، والموت نوع منه»، وانظر: تفسير البغوي (١/ ٣٠٨)، وتفسير القرطبي (٦/ ٣٧٦).

أي: قبضتني، قبضت بدني ورفعتني عنهم، واستوفيت مدتي على الأرض، المدة الأولى، كنت أنت الرقيب عليهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨]. . . إلى آخر الآيات.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ**) مَنْ يُتبع، يُقلد، ويهتدى بهديه (أو مُطاع) إذا كان اتُّبِعَ أحدٌ فجاوز العبدُ بهذا المتبع حَدَّه الذي أذن له به شرعًا، فقد صار ذلك طاغوتًا له إذا كان راضيًا بذلك، وإن كان لا يرضى فهذا هو الذي اتخذه طاغوتًا، وذاك ليس بطاغوت.

بيَّن ذلك **بقوله**: (**والطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ**)[1]، إبليس لعنه الله هو رأس الطواغيت لم؟ لأنه عُبد، ولأنه متبوع، ولأنه مطاع وهو راض بذلك، أطيع في معصية الله وهذه غير مأذون بها، ويعتبر عند من أطاعه أنه مقدم، وأن طاعته هَنِيَّة، ولهذا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢]، الاستجابة هنا في المتابعة والطاعة، وقال عَزَّ وَجَلَّ في آية سورة يس: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ

---

(١) قال الطبري في تفسيره (١٩/٣): «والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له إنسانًا كان ذلك المعبود أو شيطانًا أو وثنًا أو صنمًا أو كائنًا ما كان من شيء».

﴿لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يس: ٦٠] فقوله: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾؛ أي: بالطاعة كما هو تفسيرها.

(**وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ**) هذا القيدُ مهم، مَنْ عُبِدَ مِنْ دون الله، ورضي بهذه العبادة فهو من الطواغيت، بل من رؤوس الطواغيت.

و(**وَمَنْ دعا الناسَ إلى عبادَةِ نفسِهِ**) هذا أعظم، الأول يُعَبدُ وهو ساكت لم يدعُ إلى عبادة نفسه، يُطاعُ وتكون طاعته دينًا، في غير طاعة الله ﷻ وطاعةِ رسوله، ويرضى بذلك، هذا طاغوت، والأعظم منه يدعو إلى نفسه، مثلما يفعل بعض مشايخ الطرق الصوفية، ورؤوس الضلال، ورؤوس الرافضة، ورؤوس الإسماعيلية، ونحو ذلك. كل هؤلاء يعظمهم أتباعهم فوق الحد الشرعي، فيتخذونهم مطاعين، فيتخذونهم متابَعين من دون رسول الله ﷺ.

قال: (وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ)، من ادعى شيئًا من علم الغيب فهو من جنس الشياطين، فهو كاهن من الكهنة، أو ساحر من السحرة، أو مدعي لعلم الغيب، هذا من الطواغيت.

قال: (**وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ**) الحاكم بغير ما أنزل الله فيه تفصيل:

إذا حكم بغير ما أنزل الله معتقدًا أن حكمه جائز، وأن له أن يحكم، وحكمه قرين لحكم الله أو مساوٍ لحكم الله، أو أفضل من حكم الله أو نحو ذلك. فإن هذا يعد طاغوتًا. أما إن حكم بغير ما

أنزل الله وهو يعلم أنه عاص في حكمه، وأن حكم الله ﷻ أفضل، وأن حكم الله ﷻ هو المتعين، ولكن غلبته نفسه وشهوته بأن حكم بغير ما أنزل الله في بعض المسائل، كما يحصل لبعض المفتونين من القضاة أنهم يحكمون في مسائل بشهوتهم، كما كان يحدث في نجد من قرون قبل الدعوة، أنه كان يُرشى القاضي بمالٍ فيحكم لأحد الخَصْمين بغير حكم الله ﷻ، وهذا هو الذي جاء فيه الحديث الذي رواه أبو داود وغيره بإسناد قوي؛ أنه ﷺ قال: «**الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ، وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ في الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ**»(١) والعياذ بالله، هذا النوع يحكم لأجل مال، يحكم لأجل رِشوة بغير ما أنزل الله، هذه معصية من المعاصي، ولا شك أن معصية سمّاها الله ﷻ كفرًا، أعظم من معصية لم يسمها الله ﷻ كفرًا، كما يقول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في رسالته (تحكيم القوانين) فإذًا؛ هذا الصنف من الناس فعلهم معصية.

هناك نوع آخر حدث في هذا الزمن، وهو تحكيم القوانين؛ أن يستبدل الشرع بقوانين وضعية، يستبدل الشرع استبدالًا بقوانين، يأتي بها الحكام من عند غير الله ورسوله، يترك الدين، ويؤتى بتلك القوانين.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٧٣)، والترمذي (١٣٢٢)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٦١)، وابن ماجه (٢٣١٥) من حديث بريدة رضي الله عنه. قال أبو داود: (وهذا أصح شيء فيه).

فهذه كما يقول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول رسالته (تحكيم القوانين) ما نصه[(١)]: (**إن من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، للحكم به بين العالمين، وللرد إليه عند تنازع المتنازعين، معاندة ومناقضةً، لقول الله** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩])، ورسالته هذه بسَط فيها القول، وهي رسالة دقيقة مهمَّة في هذا الباب.

إذًا؛ فصار تحكيم القوانين كفرًا أكبر بالله؛ لأنه استبدال شريعة مكان شريعة، وبدل شريعة الإسلام يأتون بشريعة فرنسا، أو شريعة أوروبا، أو شريعة إنجلترا، شريعة أمريكا، هذا استبدال، فإذا كان الحكم به غالبًا صار تحكيمًا؛ أي: صار الحكم في أكثر أمور الشريعة بهذه الأحكام القانونية صار استبدالًا، فمتى يكون كفرًا؟ **الجواب:** إذا كان استبدالًا، ومتى يكون استبدالًا؟ **الجواب:** إذا كان تحكيم القوانين غالبًا، كما ذكر سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتاواه[(٢)] أيضًا مقيِّدًا: متى يكون الحكم بالقانون كفرًا؟ قال: إذا

---

(١) انظر: رسالة تحكيم القوانين، الطبعة الثانية، الرياض (١٤٠٣هـ)، (ص١)، وهي ضمن فتاوى ورسائل سماحة الشيخ (١٢/ ٢٨٤)، رقم (٤٠٦٥).

(٢) **نص السؤال**: هل تجب الهجرة من بلاد المسلمين التي يحكم فيها بالقانون؟ **الجواب**: البلد التي يحكم فيها بالقانون ليست بلد إسلام. تجب الهجرة منها، وكذلك إذا ظهرت الوثنية من غير نكير ولا غيرت فتجب الهجرة فالكفر بفشو الكفر وظهوره. هذه بلد كفر. أما إذا كان قد يحكم فيها بعض الأفراد أو وجود كفريات قليلة لا تظهر فهي بلد إسلام. انظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٦/ ١٨٨ رقم ١٤٥١).

كان غالبًا فاشيًا. لم؟ لأنه استبدل شريعةً مكان شريعة، فإذا غلب ذلك صار استبدالًا، وهذا قيد مهم، وهذه المسألة يكثر فيها الكلام في هذا العصر بين كلام متعلمين وعلى سبيل تعلم، وبين كلام جهال، وقلَّ من يحرر الكلام فيها على نحو ما بيَّنه العلماء بدقة وتفصيل.

قال: (والدليل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]).

قال بعد ذلك: (وهذا هو معنى لا إلـه إلا الله) ما معنى لا إلـه إلا الله؟ هو قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾؛ لأن الكفر بالطاغوت هو معنى النفي بـ(**لا إله**)، والإثبات وهو قوله: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ هو المستفاد من قوله: (**إلا الله**).

قال: (وفي الحديث: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»)، هذا حديث معاذ رضي الله عنه[1] فيه ذكر أشياء من

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وقال: (حديث حسن صحيح)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٩٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٠)، والطبراني في الكبير (١١٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٩)، عن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ. قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شيئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ**، ثُمَّ قَالَ: **أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**» قَالَ: **ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى**: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ **حتى بلغ**: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧]، =

أبواب الخير، وهو من الأحاديث العظيمة التي لكل جملة منه شواهد كثيرة، ولهذا هو حديث حسن بمجموع شواهده لجمله المختلفة.

قال معاذ رضي الله عنه: (ثمَّ قال: **«أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟»** قلت: بلى يا رسول الله، قال: **«رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ»**؛ لأن الأمر ـ الذي هو الدين ـ رأسه الإسلام، فإذا قُطع الرأس فلا حياة، فإذا ذهب الإسلام فلا حياة للمرء في الدين، فقال: **«رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ»**، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

قال: **«وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»** العمود: هو ما يقوم عليه البناء، فإذا كان ثَمَّ أشياء يقوم عليها البناء فإنَّ بالصلاة يقوم بناء الدين، وقوله: **«عَمُودُهُ»**؛ لأن الصلاة هي الركن العملي الذي به يحصل الامتثال لمقتضيات الإيمان العملية؛ أي: بركن الإيمان الذي هو العملي، فالإيمان: قول واعتقاد وعمل، والعمل عموده الصلاة، فإذا ذهبت الصلاة فلا قيام في ذلك؛ لهذا قال عمر رضي الله عنه: **«لَا حَظَّ فِي الإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ»**[1]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: **«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ**

= ثُمَّ قَالَ: **«أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ»** قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: **«رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ»** قُلْتُ: بَلَى يا نَبِيَّ اللهِ «فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: **كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»** فَقُلْتُ: يا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ: **«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»**.

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٣٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ١٢٥)، =

الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»(١).

قال: «وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»، وهذا تشبيه للأمر بالجَمَل، والجَمَل أعلاه ذروة السنام، والجمل متحرك، والجهاد أيضًا يبعث على الانتشار، فهو سبب انتشار الإسلام، وامتداد الدخول في الدين، فمثَّلَ ﷺ الدين بالجمل، وجعل الجهاد من هذا الجمل ذروة السَّنام؛ لأنه بارز بين متميز؛ فالإسلام تميز من بين الأديان كتميز الجمل بذروة سنامه بالجهاد، فالجمل متميز بالسنام بعامة وبذروة السنام، والإسلام تميز بالجهاد في سبيل الله، والجهاد أنواع، والمراد به هنا: جهاد الأعداء، وهو على مرتبتين: واجبة، ومستحبة، والواجب أيضًا على قسمين: واجب عيني، وواجب كفائي كما هو معلوم في مكانه من الفقه(٢).



= وابن أبي شيبة في مصنفه (٤٣٨/٧)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٨٩٢/٢)، والدارقطني في سننه (٥٢/٢)، والبيهقي في الكبرى (٣٥٧/١).

(١) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) انظر: الإبهاج للسبكي (١٠٠/١)، والموافقات (١٧٧/٢)، وإعانة الطالبين (٢٧٢/٢).

خاتمة الرسالة

وبهذا تمت هذه الرسالة النافعة المباركة، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل التوحيد، الذين يُعلون رايته، وينافحون عنه، ويُدافعون عنه، وعن أهله، ونسأله سبحانه العفو والغفران من جميع الزلل والسيئات، وقد اختصرنا في آخر هذا الشرح بعض المسائل، فنسأل الله ﷻ أن يجعل فيما ذكرناه الكفاية والنفع، وكان الانتهاء منها يوم الأربعاء الثامن من ربيع الأول لعام أربعة عشر وأربعمائة وألف. اللَّهُمَّ اجعل بقية أعمارنا خيرًا مما سلف منها، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، وسلم تسليمًا مزيدًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.



فهرس المراجع

١ - **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية**، اسم المؤلف: عبيد الله محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي، دار الراية للنشر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٢ - **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، اسم المؤلف شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، دار النشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة الأولى، تحقيق: أنس مهرة.

٣ - **إثبات صفة العلو**، اسم المؤلف: ابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٤ - **إثبات عذاب القبر**، اسم المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي أبو بكر، دار النشر: دار الفرقان، عمان الأردن، ١٤٠٥هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: د. شرف محمود القضاة.

٥ - **اجتماع الجيوش الإسلامية**، اسم المؤلف: ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ.

٦ - **الأحاديث المختارة**، اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، دار النشر: مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.

٧ - **أحكام القرآن**، اسم المؤلف: أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد قمحاوي، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.

٨ - **الإحكام في أصول الأحكام**، اسم المؤلف: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار النشر: دار الحديث، القاهرة، ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى.

٩ - **الإحكام في أصول الأحكام**، اسم المؤلف: علي بن محمد الآمدي، المكتب الإسلامي، طبعة ١٤٠٢هـ، تعليق: الشيخ عبد الرزاق عفيفي.

١٠ - **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، اسم المؤلف: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي أبو عبد الله، دار النشر: دار خضر، بيروت، ١٤١٤هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش.

١١ ـ **إرشاد الفحول**، اسم المؤلف: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٢ ـ **الاستغاثة في الرد على البكري**، اسم المؤلف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: دار الوطن، الرياض، ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الله بن محمد السهلي.

١٣ ـ **الاستقامة**، اسم المؤلف: شيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مكتبة السُّنَّة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ.

١٤ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٥ ـ **أضواء البيان**، اسم المؤلف: محمد الأمين الشنقيطي، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.

١٦ ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، اسم المؤلف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد محيي الدين، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

١٧ ـ **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، اسم المؤلف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

١٨ ـ **الأغاني**، اسم المؤلف: أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر بيروت.

١٩ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، اسم المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة السُّنَّة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ.

٢٠ ـ **الألقاب**، اسم المؤلف: للشيرازي.

٢١ ـ **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، اسم المؤلف: القاضي عياض بن موسى اليحصبي، دار النشر: دار التراث، المكتبة العتيقة، القاهرة، تونس، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٧٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: السيد أحمد صقر.

٢٢ ـ **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، اسم المؤلف: علي بن سليمان المرداوي أبو الحسن، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٢٣ ـ **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، اسم المؤلف: جمال الدين بن هشام الأنصاري، دار النشر: دار الجيل، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، الطبعة الخامسة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٢٤ ـ **الإيضاح في علوم البلاغة**، اسم المؤلف: الخطيب القزويني، تحقيق: بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت.

٢٥ ـ **بدائع الفوائد**، اسم المؤلف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، هشام عطا وعادل العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٢٦ ـ **البداية والنهاية**، اسم المؤلف: عماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ.

٢٧ ـ **البرهان في أصول الفقه**، اسم المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي، دار النشر: الوفاء، المنصورة، مصر، ١٤١٨هـ، الطبعة الرابعة، تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب.

٢٨ ـ **تاريخ مدينة دمشق**، اسم المؤلف: ابن عساكر، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٥م.

٢٩ ـ **التبصرة في أصول الفقه**، اسم المؤلف: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي أبو إسحاق، دار النشر: دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد حسن هيتو.

٣٠ ـ **التبيان في أقسام القرآن**، اسم الؤلف: ابن القيم، دار الفكر، بيروت.

٣١ ـ **تحفة المودود بأحكام المولود**، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.

٣٢ ـ **الترغيب والترهيب**، اسم المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٣٣ ـ **التسهيل في علوم التنزيل**، اسم المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ.

٣٤ ـ **التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣٥ ـ **التعريفات**، اسم المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٦ ـ **تعظيم قدر الصلاة**، اسم المؤلف: محمد بن نصر بن حجاج المروزي، تحقيق: عبد الرحمٰن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٣٧ ـ **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
٣٨ ـ **تفسير ابن جرير الطبري**، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.
٣٩ ـ **تفسير ابن كثير**، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠١هـ.
٤٠ ـ **تفسير أبي السعود**، اسم المؤلف: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث، بيروت.
٤١ ـ **تفسير البغوي، معالم التنزيل**، تحقيق: محمد النمر، وعثمان صميرية وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ.
٤٢ ـ **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل)**، اسم المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن البيضاوي، دار الفكر، بيروت.
٤٣ ـ **تفسير القرآن**، اسم المؤلف: اسم المؤلف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، دار النشر: دار الوطن، الرياض ـ السعودية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، الطبعة الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم.
٤٤ ـ **تفسير القرطبي**، اسم المؤلف: الجامع لأحكام القرآن، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٥ ـ **تفسير القرطبي**، طبعة دار الشعب، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٦ ـ **تفسير النسفي، المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، اسم المؤلف: عبد الله بن أحمد النسفي.
٤٧ ـ **التقرير والتحبير**، اسم المؤلف: ابن أمير الحاج، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٧هـ.
٤٨ ـ **التمهيد**، اسم المؤلف: يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.
٤٩ ـ **التوقيف على مهمات التعاريف**، اسم المؤلف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار النشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.
٥٠ ـ **تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**، اسم المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض
٥١ ـ **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، اسم المؤلف: زين الدين أبي الفرج عبد الرحمٰن بن شهاب الدين البغدادي، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، الطبعة السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس.

٥٢ ـ **الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار**، اسم المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض.

٥٣ ـ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر، دار النشر: مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ، تحقيق: د. محمود الطحان.

٥٤ ـ **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، اسم المؤلف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٥٥ ـ **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)**، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٦ ـ **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، اسم المؤلف: عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، دار النشر: مير محمد كتب خانه، كراتشي.

٥٧ ـ **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، اسم المؤلف: محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله الحنفي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٥٨ ـ **حادي الأرواح**، اسم المؤلف: ابن القيم، تحقيق: بشير عون، ط. مكتبة المؤيد.

٥٩ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، اسم المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار النشر: دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ، الطبعة الرابعة.

٦٠ ـ **درء تعارض العقل والنقل**، اسم المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبية، الرياض، طبعة ١٣٩١هـ.

٦١ ـ **الدرر السنية في الأجوبة النجدية** (مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا)، جمع عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ.

٦٢ ـ **الديباج على مسلم**، اسم المؤلف: عبد الرحمٰن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، دار النشر: دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري.

٦٣ ـ **الرد على الجهمية**، اسم المؤلف: ابن منده، تحقيق: علي محمد ناصر الفقيهي، المكتبة الأثرية، باكستان.
٦٤ ـ **الرسائل الشخصية**، اسم المؤلف: محمد بن عبد الوهاب، دار النشر: مطابع الرياض، الرياض، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب.
٦٥ ـ **رسالة تحكيم القوانين**، اسم المؤلف: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
٦٦ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، اسم المؤلف: أبو الفضل محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٧ ـ **الروض المربع**، اسم المؤلف منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، طبعة ١٣٩٠هـ.
٦٨ ـ **روضة الناظر وجنة المناظر**، اسم المؤلف: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الزاحم.
٦٩ ـ **روضة الناظر**، اسم المؤلف: ابن قدامة المقدسي، تحقيق: عبد العزيز عبد الرحمٰن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
٧٠ ـ **زاد المسير**، اسم المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمٰن بن الجوزي الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.
٧١ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**، اسم المؤلف: ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.
٧٢ ـ **الزهد**، اسم المؤلف: هناد بن السري الكوفي، تحقيق: عبد الرحمٰن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٧٣ ـ **السُّنَّة**، اسم المؤلف: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
٧٤ ـ **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
٧٥ ـ **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
٧٦ ـ **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
٧٧ ـ **سنن الدارقطني**، اسم المؤلف: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، دار النشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

٧٨ ـ **سنن الدارمي**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٧٩ ـ **السنن الكبرى**، اسم المؤلف: النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٨٠ ـ **السنوسية مع شرحها أم البراهين**، ضمن مجموعة مهمات المتون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٩هـ.

٨١ ـ **سير البيضاوي (أنوار التنزيل)**، اسم المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرحمٰن البيضاوي، دار الفكر، بيروت.

٨٢ ـ **شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، اسم المؤلف: عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري، دار النشر: الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، تحقيق: عبد الغني الدقر.

٨٣ ـ **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، اسم المؤلف: قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، دار النشر: دار الفكر، سوريا، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٨٤ ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي**، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.

٨٥ ـ **شرح الألفية لابن الناظم**، طبعة المكتبة العثمانية.

٨٦ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، اسم المؤلف: ابن أبي العز الحنفي، دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١هـ، الطبعة الرابعة.

٨٧ ـ **شرح القصيدة النونية**، اسم المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

٨٨ ـ **شرح اللمع**، طبعة الإمام.

٨٩ ـ **شرح النووي على صحيح مسلم**، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٩٠ ـ **شرح قطر الندى**، طبعة المكتبة العصرية.

٩١ ـ **شرح كتاب الورقات**، اسم المؤلف: الجويني، الدكتور سعد الشثري، كنوز أشبيليا، الرياض.

٩٢ ـ **الشريعة**، اسم المؤلف: أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، دار النشر: دار الوطن، الرياض ـ السعودية، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، الطبعة الثانية، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي.

٩٣ ـ **الشريعة**، اسم المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى، مطابع الأشراف، لاهور.

٩٤ ـ **شعب الإيمان**، اسم المؤلف: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٩٥ ـ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، اسم المؤلف: ابن القيم، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.

٩٦ ـ **الشكر**، اسم المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، دار النشر: المكتب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، الطبعة الثالثة، تحقيق: بدر البدر.

٩٧ ـ **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٩٨ ـ **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٩٩ ـ **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

١٠٠ ـ **الضعفاء الكبير**، اسم المؤلف: أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٠١ ـ **طبقات فحول الشعراء**، اسم المؤلف: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

١٠٢ ـ **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، اسم المؤلف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٠٣ ـ **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: زكريا علي يوسف.

١٠٤ ـ **العدة شرح العمدة**.

١٠٥ ـ **العظمة**، اسم المؤلف: أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٠٦ ـ **العقيدة الواسطية**، اسم المؤلف: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، دار النشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض، ١٤١٢هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد بن عبد العزيز بن مانع.

١٠٧ ـ **العقيدة**، اسم المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: عبد العزيز السيروان دار قتيبة، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٠٨ ـ **علل الحديث**، اسم المؤلف: عبد الرحمٰن بن محمد بن إدريس بن مهران الرازي أبو محمد، دار النشر: دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محب الدين الخطيب.

١٠٩ ـ **علوم الحديث**، اسم المؤلف: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن الشهرزوري، دار النشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، تحقيق: نور الدين عتر.

١١٠ ـ **عمدة القاري شرح البخاري**، اسم المؤلف: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث، بيروت.

١١١ ـ **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، اسم المؤلف: العلامة أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

١١٢ ـ **العين**، اسم المؤلف: أبو عبد الرحمٰن الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١١٣ ـ **غريب الحديث**، اسم المؤلف: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، طبعة ١٤٠٢هـ.

١١٤ ـ **الغنية عن الكلام وأهله**، اسم المؤلف: الخطابي.

١١٥ ـ **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء**، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار العاصمة، الرياض.

١١٦ ـ **فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم**، اسم المؤلف: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، طبعة المطابع الحكومية بمكة المكرمة.

١١٧ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

١١٨ ـ **فتح القدير شرح الجامع الصغير**، اسم المؤلف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت.

١١٩ ـ **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، اسم المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٢٠ ـ **الفروع**، اسم المؤلف: شمس الدِّين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، مراجعة: عبد السَّتَّار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.

١٢١ ـ **الفوائد البهية**.

١٢٢ ـ **القاموس المحيط والقابوس الوسيط**، الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط، اسم المؤلف: مجد الدين محمد بن يعقوب.

١٢٣ ـ **القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط**، اسم المؤلف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

١٢٤ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال**، اسم المؤلف: عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، دار النشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، الطبعة الثالثة، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.

١٢٥ ـ **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب** عز وجل، اسم المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية ـ الرياض، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، الطبعة الخامسة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان.

١٢٦ ـ **كشاف القناع عن متن الإقناع**، اسم المؤلف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، دار النشر: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ، تحقيق: هلال مصيلحي ومصطفى هلال.

١٢٧ ـ **كشف الخفاء ومزيل اللباس، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، اسم المؤلف: إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

١٢٨ ـ **كشف الشبهات للإمام المجدد**، اسم المؤلف: محمد بن عبد الوهاب، بحاشية ابن عثيمين، طبعة دار المعالي.

١٢٩ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، اسم المؤلف: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله أبو طاهر القسطنطني، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤١٣هـ.

١٣٠ ـ **اللباب في علل البناء والإعراب**، اسم المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، دار النشر: دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: د. عبد الإلـه النبهان.

١٣١ ـ **لسان العرب**، اسم المؤلف: ابن منظور جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٣٢ ـ **لمعة الاعتقاد**، اسم المؤلف: عبد الله بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٣٣ ـ **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية**، شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، اسم المؤلف: العلامة محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، مكتبة أسامة، الرياض.

١٣٤ ـ **المبدع في شرح المقنع**، اسم المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٤٠٠هـ.

١٣٥ ـ **المجتبى من السنن**، اسم المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمٰن النسائي، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

١٣٦ ـ **مجموع الفتاوى**، اسم المؤلف :شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

١٣٧ ـ **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، تأليف: سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ـ السعودية، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٣٨ ـ **المجموع شرح المهذب**، اسم المؤلف: النووي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م.

١٣٩ ـ **مجموع مؤلفات ورسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب**، توزيع: رئاسة البحوث العلمية والإفتاء. الرياض السعودية.

١٤٠ ـ **المحصول في علم أصول الفقه**، اسم المؤلف: الفخر الرازي، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٤١ ـ **مختار الصحاح**، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.

١٤٢ ـ **مختصر التحرير**، اسم المؤلف: ابن النجار.

١٤٣ ـ **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**، اسم المؤلف: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد حامد الفقِّي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

١٤٤ ـ **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، اسم المؤلف: جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، الطبعة الأولى، تحقيق: فؤاد علي منصور.

١٤٥ ـ **المستدرك على الصحيحين**، اسم المؤلف: الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٤٦ ـ **مسند أبي يعلى**، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٤٧ ـ **مسند إسحاق بن راهويه**، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٤٨ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة، مصر.

١٤٩ ـ **مسند البزار**، تحقيق: محفوظ الرحمٰن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٥٠ ـ **مسند الحميدي**، اسم المؤلف: أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت.

١٥١ ـ **المسوّدة في أصول الفقه**، اسم المؤلف: آل تيمية، مجد الدين أبو البركات عبد السَّلام بن عبد الله بن الخضر، شهاب الدِّين أبو المحاسن عبد الحليم بن عبد السَّلام، شيخ الإسلام تقيِّ الدِّين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، جمعها وبيَّضها شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن محمد الحرَّاني الدّمشقي الحنبلي، حقّق أصوله وفصَّله وضبط شكله وعلَّق حواشيه: محمد محيي الدِّين، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٥٢ ـ **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، اسم المؤلف: الإمام أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض الأندلسي المالكي، طبع ونشر المكتبة العتيقة، تونس، دار التراث، القاهرة.

١٥٣ ـ **مصنف ابن أبي شيبة**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٥٤ ـ **مصنف عبد الرزاق الصنعاني**، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٥٥ ـ **المعجم الأوسط**، اسم المؤلف: أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.

١٥٦ ـ **المعجم الصغير**، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

١٥٧ ـ **المعجم الكبير**، اسم المؤلف: أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
١٥٨ ـ **معنى لا إله إلا الله**، اسم المؤلف: الإمام بدر الدين محمد عبد الله الزركشي، دار النشر: دار الاعتصام، القاهرة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، الطبعة الثالثة، تحقيق: علي محيي الدين علي القرة راغي.
١٥٩ ـ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، اسم المؤلف: جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة.
١٦٠ ـ **المغني**، اسم المؤلف: موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.
١٦١ ـ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦٢ ـ **منهاج الدين في شعب الإيمان**، للحليمي.
١٦٣ ـ **منهاج السُّنَّة النبوية**، اسم المؤلف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١٦٤ ـ **الموطأ**، للإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد االباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
١٦٥ ـ **النبوات**، اسم المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
١٦٦ ـ **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، اسم المؤلف: الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦٧ ـ **نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد**، اسم المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، الطبعة الأولى، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي.
١٦٨ ـ **نقط المصحف**، اسم المؤلف: أبو عمرو الداني، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
١٦٩ ـ **النهاية في غريب الأثر**، اسم المؤلف: ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ.
١٧٠ ـ **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار**، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل، بيروت.

فَهْرَس المَوْضُوعَات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

